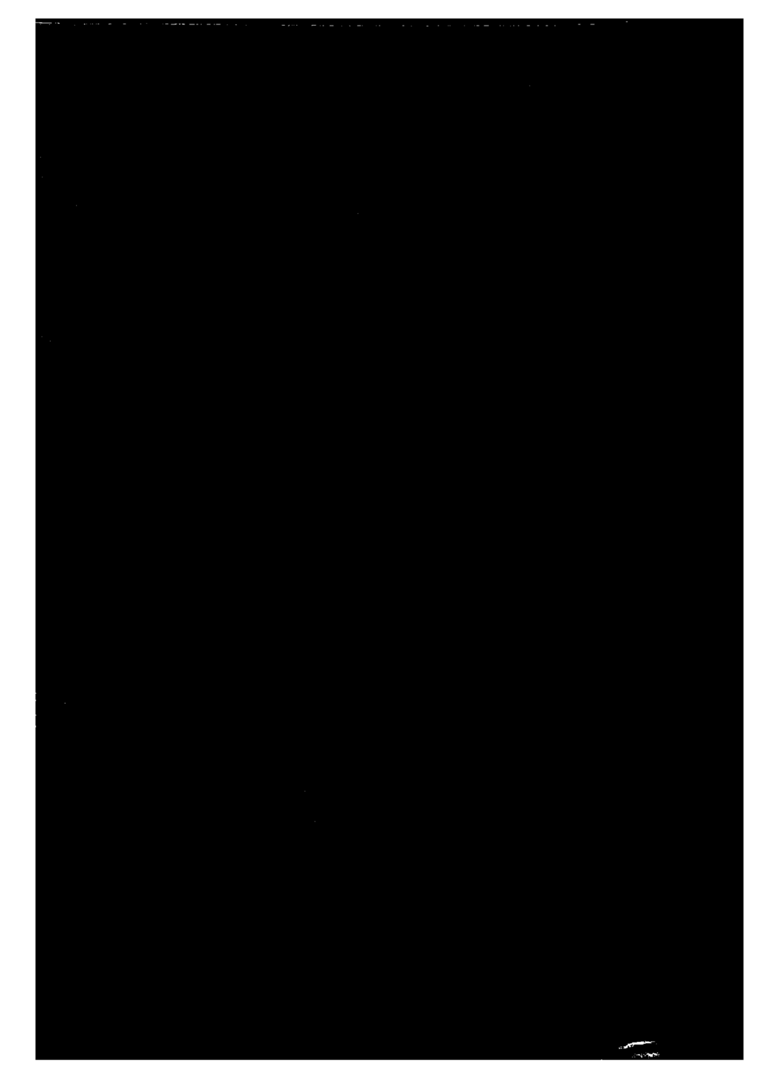

Bibliotheca Alexandrina
0035857



نظـــارة المعـــارف العموميـــة



تأليف

حضرات محمد عاطف بك والشيخين محمد نصار واحمد ابراهيم
وعبد الجواد افندى عبـد المتعال من موظفى نظارة المعـارف العمومية



قررت نظارة المعارف العمومية هذا الكتاب لتلاميذ المدارس الثانوية

(حقوق الطبع محفوظة للنظارة)

وقد نقحه وصححه وزاد فيه وضبط المهم من ألفاظه صاحب الفضيلة الاستاذ الفاضل
الشيخ حمزة فتح الله مفتش أول اللغـــة العربيـــة بالنظارة

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الاميرية
١٩٠٦

الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية
رقم التصنيف ....
...ral Organization of the Alexandria Library (GOAL
Bibliotheca Alexandrina
رقم التسجيل ٣٤٩٤٨



بسم الله الرحمن الرحيم

تقسيم الكلام العربى الى منثور ومنظوم

كلام العرب نوعان منثور ومنظوم . فالمنظوم هو الكلام الموزون المُقَفَّى أى الذى تكون أوزانه كلها على رَوِىّ واحد وهو القافية . والمنثور هو الكلام غير الموزون وينقسم الى سَجْع ومُرْسَل فالسجع هو الذى يؤتى به قطعا ويُلْتَزَم فى كل كلمتين منه قافية واحدة والمرسل هو الذى يُطْلَق إطلاقا ولا يُقَطَّع أجْزَاء بل يُرْسَل إرسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها . والقرآن الكريم وان كان من المنثور خارج عن نوعيه السابقين فلا يُسَمَّى مُرْسَلا مطلقا ولا مُسَجَّعا بل تفصيل آيات ينتهى الى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ثم يعاد الكلام فى الآية الأخرى بعدها من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية

قال ابن رَشيق فى العُمْدة وكان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب الى الغِناء بمكارم أخلاقها وطِيْب أعراقها وذِكْر أيامها الصالحة وأوطانها النازحة وفرسانها الأنْجاد وسُمَحائها الأَجْواد لتَهُزّ أنفُسَها الى الكرم وتدُلّ أبناءَها على حسن الشِيَم فتوهّموا أعاريض جعلوها موازين الكلام فلما تمّ لهم وزْنُه سمّوه شِعرا لأنهم شَعَروا به أى فَطَنوا

وزعم الرواة أن الشعر كله انما كان رَجَزا أو قِطَعا وأنه انما قُصّد على عهد هاشم بن عبد مناف وكان أوّل من قصده مهلهل وامرؤ القيس وبينهما وبين مجىء الاسلام مائة ونيف وخمسون سنة

وأوّل من طوّل الرَّجَز وجعله كالقصيد الأغْلَب العِجْلى شيأ يسيرا وكان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ثم أتى العَجّاج فى الدولة الاموية فافتنّ فيه فالاغلب والعجاج فى الرجز كامرئ القيس ومهلهل فى القصيد

وسُئل أبو عمرو بن العلاء الحضرمى هل كانت العرب تُطيل قال نعم ليُسْمَع منها قيل هل كانت توجِز قال نعم ليُحْفَظ عنها . ويستحب عندهم الاطالة عند الاعذار والانذار والترغيب والارهاب والاصلاح بين القبائل كما فعل زهير والحارث بن حلِزّة ومن شابههما والا فالقِطَع أطْيَر فى بعض المواضع والطوال للمواقف المشهورة

الكلام على النظم والنثر فى عصر الجاهلية

النظــــــم

كان الشاعر العربى يقول الشعر بالبديهة لحدّة خاطره فيرتجل القول ارتجالا وقد يتعمد القول فى بعض الأحيان ويُجهد خاطره فيه فقد كان لزهير بن أبى سُلْمَى قصائد لُقِّبَت بالحَوْلِيّات كان ينظم الواحدة منها ثم يُهَذّبها بنفسه ثم يَعْرضها على أصحابه فلا يُشْهرها حتى يأتى عليها حَوْل

وقد وَلَجَ الشعراء فى عصر الجاهلية أبوابا كثيرة من الشعر فوصَفوا ومَدَحوا وهَجَوا ونَخَروا ودوّنوا الاخبار وضربوا الامثال ورغّبوا وأرهبوا ولم يتركوا شيأ وقع تحت حسّهم حتى تناولوه بمقالهم فأجادوا وأبدعوا مع سهولة فى اللفظ ومتانة فى التركيب وتَوَخٍّ للحقيقة وبُعْد عن الغُلُوّ . ولقد تركوا فيما تركوه من أشعارهم ما يمكن أن يستخرج منه بيان لعاداتهم وسائر أحوالهم ومع أن منهم من سكن البادية على خشونة فى العيش قد أتوا فى كلامهم بالعجب العجاب من السهولة والانسجام وروائع الحكم ودقيق الشعور والوِجْدان كما ترى ذلك فيما أوردناه فى هذا الكتاب من كلامهم وجَيِّد أشعارهم وكان الشعر ديوان علمهم ومستودع حكمتهم والضابط لأيامهم وقيد كلامهم والحاكم لهم والشاهد عليهم وله من

نفوسهم أسمى مكانة وأرفع قدر ومما يدلك على علو قدر الشعر أن القبيلة من العرب كانت اذا نبغ فيها شاعر أتتها القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الأطعمـة واجتمعت النساء يلعبن كما يصنعن بالأفراح وتباشروا به لأنه يحمى أعراضهم ويدفع عن أحسابهم ويُخلّد مآثرهم ويشيّد بذكرهم

وكان للشعر تأثير فى النفوس وسلطة عليها حتى كانت تخشى بأسه الامراء وتتحاماه الكبراء وطالما وضع قوما ورفع آخرين . قال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين ومما يدل على قدر الشـعر عندهم بكاء سـيد بنى مازن مُخَارِق بن شهاب حين أتاه محمـد بن المُكَعْبَر العنبرى الشاعر فقال له ان بنى يربوع قد أغاروا على إبلى فاسْعَ لى فيها فقال كيف وأنت جار بنى ودّان فلما ولّى عنـه محمـد حزن مُخارق وبكى حتى بلّ لحيته فقـالت له ابنته ما يبكيك فقال وكيف لا أبكى وقد اسـتغاثنى شاعر من شـعراء العرب فلم أُغثه والله لئن هجانى ليَفْضَحَنّى قوْلُه ولئن كفّ عنى ليقتُلَنّى شُـكْره . ثم نهض فصاح فى بنى مازن فردّت عليه إبله

ومما رواه صاحب الأغانى وغيره أن أعشى قيس كان يأتى سُوق عُكاظ كل عام فيتجاذبه الناس فى الطريق للضيافة طمعا فى مدحه اياهم والتنويه بهم فى عكاظ فمرّ يوما ببنى كلاب وكان فيهـم رجل يقال له

المحلّق وكان مِئْناثا مُمْلقا له ثمانى بَنَات لا يَخْطُبهنّ أحد لمكان أبيهنّ من الفقر وخمول الذكر فقالت له امرأته مايمنعك من التعرّض لهذا الشاعر واكرامه فما رأيت أحدا أكرمه الا وأكسبه خيرا فقال ويحكِ ماعندى الا ناقتى فقالت يُخْلفها الله عليك . فتلقّاه قبل أن يسبقه أحد من الناس وكان الأعشى كفيفا يقوده ابنُه فأخذ المُحَلّقُ بخطام الناقة فقال الأعشى من هذا الذى غلبنا على خطام ناقتنا فقيل المحلق قال شريف كريم ثم قال لابنه خَلّه يقتادها فاقتادها الى منزله وأكرمه ونحر له الناقة وجعلت البنات يدرن حوله ويبالغن فى خدمته فقال ماهذه الجوارى حولى فقال المحلّق بنات أخيك وهُنّ ثمان نصيبهنّ قليل فقال الأعشى هل لك حاجة فقال تُشَيّد بذكرى فلعلى أُشْهَر فتُخْطَب بَنَاتى فنهض الأعشى من عنده ولم يقل شيأ فلما وافى عكاظ أنشد قصيدته التى أنشأها فى مَدْحه وهى نَيْف وأربعون بيتا وفيها يقول

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة * الى ضوء نار باليَفَاع تُحَرّقُ

تُشَبّ لمَقْرورَيْن يصطليانها * وبات على النار الندى والمُحَلّق

فسارت القصيدة وشاعت فى العرب ولم تمض سنة على المحلق حتى زَوّج بناته ويسرت حاله اه

وكان لشُــعراء العرب أنَفَة من التَكَسُّب بالشعر حتى نشأ النـابغة الذُّبْيانى قُبَيل الاســلام فدح الملوكَ وقبل الصلَة على الشعر وجاء بعده الأعشى وقد أدركَ الاســلام ولم يُسْــلِم بجعل الشعر مَتْجَرا وانتجع به أقاصى البــلاد وقصــد ملكَ العجم فأثابه وأجزل عطيته . وكان زُهير ابن أبى سُلْمَى ممن أفاد بشعره بمدائحه لهَرِم بن سنان . على أن شيأ من ذلك لم يضَعْ من قَدْر الشعر ولم يَحُطّ من قيمته لقلّة مَن كانوا يتكسبون بشعرهم فى ذلك العصر

ومدة العصر الجاهلى نحو مائة وخمسون سنة ومن أشهر ماقيل فيه من الشعر المعلّقات السبع وهى سبع قصائد من أجود الشعر العربى وأحســنه أسـلوبا ويقال انها كتبت بالذهب على الحرير وعلقت على الكعبة تنويها لها وتعظيما لشأنها وكان العرب يتناشدونها فى مجتمعاتهم مترنّمين بمـا فيها من محاسن الشيَم مُعْجَبين بمـا اشتملت عليه من المعانى الشريفة والتشبيه الحســن البديع وحســن الوصف ودقة المعنى وغير ذلك من المحاسن

وأصحابها هم امرؤ القيس وطَرَفَة بن العبــد وزهير وعمرو بن كُلْثوم ولبيد وعنترة والحارث بن حلزة وكلهم من فحول شــعراء الجاهلية وممن اشتهر فى العصر الجـاهلى من الشعراء غير أصحـاب المعلقات وكان من

فحول الشعراء النابغــة الذُّبْيانى والأعشى والمُهَلْهِل وعَبِيد بن الأبْرص والسَّمْوءل والشَّنْفَرى ودُرَيد بن الصِّمَّة وأَوْس بن حَجَر وحاتم الطائى

النــــــثر

قد أثر عن العرب من منثورهم فى العصر الجاهلى بعضُ الامثال والحِكَم والخُطَب والوصايا مما عَلِق بالضمير لحسنه وحَرَصت عليه النفس لنفاسته

(الامثال) جمع مَثَــل وهو جملة من القول مقتطعــة من أصلها أو مرسلة بذاتها فَتُنْقَل عما وردت فيه الى مايصح قصده بها من غير تغيــير يلحقها فى لفظها والعرب من أكثر الأمم أمثالا للحكمة المُودَعة فى نفوسهم ولفصاحة ألسنتهم وميلهم الى الايجاز فى القول . وقد أُلِّفت مجموعات للامثال وطُبِع بعضها ومن ذلك مجموعة للميدانى جمع فيها أكثر من ستة آلاف مثل

(الحِكَم) جمع حِكْمة وهى الكلام المعقول الموافق للحق المصون عن الحشو والعرب من أكثر الأمم ايرادا للحكمة فى عبارات حسنة الأسلوب متينــــة التركيب كلها من جوامع الكلم صادرة عن خبرة ودراية وصفاء نفس

(الخُطَب والوصايا) الخطب جمع خطبة والوصايا جمع وصية وكُلٌّ من الخطبة والوصــية يُرَادُ به جملة من القول يقصد فيها الى الترغيب فيما

ينفع الناس من أمور معاشهم ومعادهم والتنفير مما يضرهم وقد تشتمل على الفخر والمدح ونحو ذلك

والفرق بين الخطب والوصايا أن الخطب تكون فى المَشَاهد والمَجَامع والايام والمواسم والتفاخر والتشاجر ولَدَى الكُبَرَاء والأُمَرَاء ومن الوفود فى أمرٍ مُهِمّ وخَطْبٍ مُلِمّ . وأما الوصايا فانها تكون لقوم مخصوصين فى زمن مخصوص على شئ مخصوص وكثيرا ما كانت تصدر من شخص لعشيرته أو سيد لقبيلته عند حلول مرض أو محاولة نُقْلَة أو ماشابه ذلك

وسيرد عليك فى هــذا الكتاب أمثــلة لكل ماتقدّم تُفَصّل لك مُجْمَلَه وتُوَضّح لك مبهمه

السبب الذى دعا العرب الى الخَطَابة وما يتعلق بذلك(١)

لايخفى ما كانت عليــه العرب أيام جاهليتهم من الأنَفَة والتفــاخر بالأحساب والأنساب والمحافظة على شرفهم وعلو مجدهم وسودهم حتى حدث ماحدث بينهم من الوقائع العظيمة ولا شك أن كل قوم يتفق لهم مثل ذلك هم أحوج الناس الى مايستنهض هممهم ويوقظ أعينهم ويقيم قاعدهم ويشجع جَبَانهم ويشدّ جَنَانهم ويثير أشجانهم ويستوقد نيرانهم صيانة لعزهم أن يُسْتَهَان ولشوكتهم أن تُسْتَلَان وتَشَفِّيا بأخذ

(١) بلوغ الارب فى أحوال العرب

الثار وتحرزا من عار الغلبة وذُلّ التمار . وكل ذلك من مقاصد الخطب والوصايا فكانوا أحوجَ اليها بعد الشعر لتخليد مآثرهم وتأييد مفاخرهم

ولقد كان لكل قبيلة من قبائلهم خطيب كما كان لكل قبيلة شاعر على ماذكره الجاحظ فى كتاب البيان . وقد ألف فى خطبهم كتب كثيرة وذكر الجاحظ فى البيان والتبيين نبــذة صالحة من خطب الجاهليــة والاسلام وكذا ابن عبد ربه فى العقد الفريد

وكان للعرب اعتنـاء بالخطيب فى جاهليتهم وللخطباء عنـاية بخطبهم فكانوا يتخيرون لها أجزل المعانى و ينتخبون لها أحسن الألفاظ تحصيلا لغرضهم ونيلا لمقصــدهم فان الألفاظ الرائقــة والمعـانى الجزلة أوقع فى النفوس وأشدّ تأثيرا فى القلوب ولذلك ورد انّ من البيان لسحْرا . والأُذُن للكلام البليـغ أصْغَى وأوْعَى والترغيب فى العـاجل والارهـاب فى الآجل اللذان هما من أهم مقاصــد الخَطابة ومطالبها العالية ان لم يكونا بعبارات تَخْلُبُ القلوب وتأخذ بمجامعها فلا تأثير فيهـا ولا فائدة منهـــا

ومن عاداتهم فى الخطابة أن الخطيب اذا تفاخر أو تنافر أو تشاجر رفع يده ووضعها وأدى كثيرا من مقاصده بحركات يده فذلك أعون له على غرضه وأرهب للسامعين له وأوجب لتيقظهم

ومن عاداتهم فيها أَخْذ المِخْصَرة بأيديهم وهي مايتوكأ عليه كالعصا ونحوها وكانوا يعتمدون على الارض بالعصيّ ويشيرون بالعصا والقنا وكانوا يستحسنون في الخطيب أن يكون جهير الصوت ولذا مدحوا سعة الفم وذموا صغره

ومن فحول خطباء الجاهلية قُس بن ساعدة الايادي وأكثم بن صيفي التميمي وذُو الاصْبَع العَدْواني وعمرو بن كُلثوم التَّغْلِبي وقيس بن زهير

أسواق العرب في الجاهلية

واهتداؤهم الى تهذيب لغتهم وتوحيدها وعنايتهم بذلك

كان للعرب أسواق يقيمونها في أوقات معينة وينتقلون من بعضها الى بعض للبيع والشراء وكان يحضرها العرب بما عندهم من المآثر والمفاخر ويتناشدون الاشعار ويلقون الخطب . وكانوا يتحاكمون الى قضاة نصبوا أنفسهم لنقد الشعر وبيان غثّه من سمينه وتفضيل شاعر على آخر فكانوا يُفَضّلون من سَهُلت عبارَته وكان لها النصيب الأوفر من الفصاحة وحسن البيان مع التحرز من العيب والابتعاد عن النقص ويتخيرون من لغات العرب ماحلا في الذوق وخف على السمع . فكانت هذه الاسواق أندية علمية ومجتمعات لغوية أدبية اهتدى بها العرب الى تهذيب لغتهم لفظا وأسلوبا وجَعْل لغة

الشـعر والخَطَابة لغـة واحدة بين جميع القبائل باذلين فى ذلك جهد المستطيع منها مَجَنَّة وذو المجاز وعُكَاظ

وأشهر هـذه الأسواق سُوق عُكَاظ من عَكَظه يَعْكظه عَكْظا عَـركَه وهى موسم للعرب من أعظم مواسمهم وعكاظ نخل فى واد بين نخـلة والطائف من بلاد الحجاز وبينـه وبين الطائف عشرة أميـال وكانوا يتبايعون فى هذه السوق ويتعاكظون ويتفاخرون ويتَحَاجُّون وينشد الشعراء ماتجدّد لهم وقد كثر ذلك فى أشعارهم كقول حسان .

سأنشر إنْ حَيِيت لهم كلاما * يُنَشَّر فى المَجَنَّـــة مَعْ عُكاظ

وفيها كان يخطب كل خطيب مِصْقَع . وكان كل شريف انما يحضر سوق بلده إلا سوق عكاظ فانهم كانوا يتوافَوْن بهـا من كل جهة ومن كان له أسير سَعَى فى فدائه ومن كانت له حكومة ارتفع الى الذى يقوم بأمر الحكومة

وكانت تقوم هـذه السوق من أوّل ذى القَعْدة الى العشرين منـه على المشهور واتُّخذت عكاظ سُوقا بعد عام الفيل بخمس عشرة سـنة وتُركت بعد أن نهبها الخوارج سنة تسع وعشرين ومائة

ولعكاظ فضل على اللغة العربية فى العصر الجاهلى اذ لولاها لأصبحت لغـة العرب لغـات لايتفاهم أصحابها وانفصلت كل منهـا عن الاخرى

وقتا ما ذلك لأن لغات القبائل العربيـة كان بينها تفاوت فى اللهجة والاسـلوب واللفظ وكان هـذا التفاوت يقل ويكثر تبعـا لضعف وقو العلاقات التى ترتبط بها قبيلتان أو عدة قبائل وتبعا لاختلاف عوامل المكان والزمان والاجتماع التى يؤثر اختلافها أعظم تأثير فى اللغـة . فلما عَظُم شأن عكاظ وأمّها الشعراء والخطباء من كل مكان كان معظم همهم انتقـاء الألفاظ الفصيحة المشهورة عنـد أكثر القبائل لاسـيما قريش طمعا فى أن تنتشر أقوالهم بين العرب كافة قال قتادة كانت قُرَيش تَجْتَبِى أى تختار أفضلَ لغات العرب حتى صار أفضل لغاتها لغتها فنزل القرآن الكريم بها ولو اتبع كل شاعر أو خطيب لهجـة قومه ولغـة قبيلته وحدهـا لم يجـد من يستحسنها غيرهم ووقفت عن الشهرة ولم تروها القبائل الأخرى فيفوته الافتخار بها

وبذلك كان الشـعراء والخطبـاء يبثون وحدة اللغـة فى أشعارهم وخطبهم فيمـا بين القبائل المختلفة متبعين فى ذلك لغـة قريش غالبا . وانما اختاروا هذه اللغة على غيرها لما كان لها من السيادة على لغات قبائل الحجاز ونجد ولما كان لقريش من رفيع القدر وعلو المنزلة بين جميع العرب

تاريخ الكتابة والخط عند العرب

كان الغالب على العرب فى بعض عصر الجاهلية الأمية والذين يعرفون الكتابة والقراءة منهم نفر قليل جدًا . والزمن الذى ابتدئ فيه باستعمال الخط العربى قديم غير معـين . وأول من كتب بالعربيـة على أشهر الأقوال أهل اليمن قوم هود عليه السلام وكانوا يسمون خطهم بالمُسْنَد وهو الخطّ الحِمْيَرى وكانوا يكتبونه حروفا منفصلة ويمنعون العامة من تعلمه حتى تعلمه ثلاثة نفر من طيئ فتصرفوا فيه وسموه بخط الجزم لانه اقتطع من خط حمير ثم علّموه أهل الأنبار ومن الانبار انتشرت الكتابة العربية فأخذها عنهم أهـل الحيرة وتداولوها ولما قدم الحيرة حَرْب بن أميـة القُرَشى جدّ معاوية بن أبى سفيان نقل هذه الكتابة من الحيرة الى الحجاز بعد أن عاد الى مكة والصحيح أن أهل الحجاز انما لُقِّنُوا الكتابة من الحيرة ولُقِّنها أهل الحيرة من التبابعة وحِمْيَر كما ذكره ابن خلدون قال وقد كان الخط العربى بالغا مبالغه من الاتقان والاحكام والجودة فى دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف وانتقل منها الى الحـيرة لما كان بها من دولة آل المنـذر نُسَبَاء التبابعـة والمجدّدين لملك العرب بأرض العـــراق

العلوم والمعـارف عنـــــد العرب

في عصر الجاهلية

العرب غير البـائدة يرجعون الى أصلين وهما قحطان وعدنان . أما قحطان وهم عرب اليمن فقد كانوا على جانب عظيم من المدنية والحضارة والغـالب منهم سكن البـلاد المعمورة وبنوا القصور وشـيدوا الحصون وكانت لهم مدن عظيمة قد شرح حالها أهـل الاخبار شرحا وافيـا . وكان لهم ملوك وأقيال دوّخوا البـلاد وأوغلوا فى الارض واسـتولوا على كثـير من أقطارهـا شرقا وغربا . كل ذلك يدل على وقوفهم على العلوم التى لابد منها فى حفظ النظام وعليها مدار المعاش وسياسة المدن وتدبير المنازل والجيوش وتأسيس الامصار واجراء المياه مما لايمكن وجوده مع الجهل وعدم المعرفة

وأما بنو عدنان ومن جاورهم من عرب اليمن بعد أن فرقتهم حادثة سيل العرم فقد كانوا على شريعة موروثة وعلم منزل وهو ماجاء به ابراهيم واسمعيل عليهما السلام الى أن اختل أمرهم وتغير حالهم فاشتغلوا بما سمحت به قرائحهم من الشعر والخطب أو ماحفظوه من أنسابهم وأيامهم أو مااحتاجوا اليـه فى دنيـاهم من الأنواء والنجوم أو من الحـروب ونحو ذلك . وكان لهم حظ وافر من معرفة الطب المبنى فى غالب الأمر

على التجربة وكذلك التاريخ فقد تضمن شـعرهم شيئا كثيرا منـه . غير أن تدوين شئ من ذلك فى عصر الجاهلين لم يكن لغلبـة الأميـة والاعتماد على الذاكرة وقد نقل مانقل منـه بالرواية والسماع . وكان يقال لهـم الأمة الأمية قال تعالى (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) اه بتصرف من كتاب بلوغ الارب فى أحوال العرب

وقال ابن خلدون وياقوت ما كان فى القديم لأحد من الأمم فى الخليقة ما كان للعرب من المُلْك ودُوَل عاد وثمود والعمالقة وحِمْيَر والتبابعة شاهدة بذلك وقد ملكوا مصر والروم واستعملوا عليها أحد القياصرة وتوغلوا فى الهند والصين وبلاد الفرس والترك والتُّبَّت وأخذوا الأتاوى من القسطنطينية وذكروا ذلك فى أشعارهم وغير ذلك مما لانطيل به ثم دولة مضر فى الاسلام بنى أمية وبنى العباس .

حالة اللغة العربية وآدابهـا

من ابتـداء ظهور الاسـلام الى الدولة العباسـية

جاء الاسـلام ولغات العرب ولهجاتهم متشعبة غير أن لغتين منها كانت لهما السـيادة على سائرها . الاولى لغة قريش وكانت فى مكة وما جاورها . والثانية لغة حِمْيَر وكانت فى بلاد اليمن

وقد تقدم فى الكلام على عكاظ أن الشعراء والخطباء كانوا يُؤْثِرون لغة قريش على سائر لغات العرب ويبثّونها بين القبائل كافة فى خطبهم وأشعارهم وكان ذلك قبل ابتداء نزول القرآن الكريم بنحو خمس وعشرين سنة

ولما كان القرآن الحكيم منزلا بلغة قريش أصبحت السيادة لها على لغة حمير وغلبت عليها وعلى جميع لغات العرب ودان لها الخطباء والشعراء وسائر المتكلمين بالعربية وصارت بعد ذلك هى اللغة المُتَداوَلة فى المكاتبات والمؤلفات فى جميع العلوم الى يومنا هذا والفضل فى بقائها وحفظها انما يرجع الى الكتاب المجيد وحده ولما فتح المسلمون بلاد الشام والعراق والفرس ومصر وافريقية والمغرب وغير ذلك من البلاد انتشرت اللغة العربية بانتشار العرب وتغلبت على لغاتها الاصلية ولكنها لم تَعُمّ جميعَ الناس دفعة واحدة شأن كل لغة جديدة فى مبدأ انتشارها

ولقد كان هذا الانتشار سببا لظهور اللحن على لسان من تكلم بالعربية من غير أهلها وكذا على لسان بعض أهلها من المخالطين لهؤلاء . وهذا أمر كان مُتَوَقَّع الحصول لأن اللغة مَلَكة صناعية تؤخذ مفرداتها وأساليبها بالتلقين

فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم فى مخاطبتهم وكيفية تعبيرهم عن

مقاصـدهم كما يسمع الصـبي استعمال المفردات فى معانيها فيلقنها أولا ثم يسمع التراكيب بعـدها فيلقنها كذلك ثم لايزال سماعهم يتجـدد فى كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر الى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم . فلما خالط العرب غيرهم صار الناشئ منهم يسمع فى العبارة عن المقاصـد كيفيات أخرى غير الكيفيات التى كانت للعرب فيعـبر بها عن مقصوده ويسمع كيفيات العرب أيضا فاختلط عليـه الأمر وأخذ من هـذه وهذه . ولقد وفى ابن خلدون فى مقدمته هذا المقام حقه من البيان

وانك لترى اليوم من المتكلمين بلغتنا من الافرنج ما يوضح لك ذلك من لهجتهم وأساليب عباراتهـم التى هى فى الحقيقة أساليب لغتهـم الاصلية صبغوها بصبغة عربية

ولقد ظهر شئ من اللحن فى كلام الموالى والمتعربين من أول عهد الاسلام . من ذلك ماروى أن رجلا لحن بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم فقال أرشدوا أخاكم فقد ضل . وكتب كاتب لأبى موسى الاشعرى الى عمر رضى الله عنـه فلحن فكتب عمر الى أبى موسى أن اضرب كاتبك سوطا واحدا . غير أن اللغـة فى العصر الاول كانت ملكتها مستحكمة وما ظهر من اللحن كان يسـيرا . وفى أوائل الدولة الأموية

أخذ اللحن يفشو وينتشر وانتقل من الاعاجم الى العرب أنفسهم من أبناء الخلفاء والامراء والخاصة والعامة . ومن شواهد ذلك أن زيادا لمّا أوْفد ابنه عُبَيد الله الى معاوية كتب اليـه معاوية انّ ابنكَ كما وَصَفْتَ ولكن قَوّمْ لسانَهَ . وجاء رجل الى زياد وهو أمير البصرة فقال أصلح الله الأمير تُوُفّي أبَانا وترك بَنُونا فقال زياد متعجبًا مُنْكرا توفى أباناه وترك بنونا . وقالت ابنـة أبي الاسود الدُّؤَلي له يوما ماأحسنُ السماء فقال نُجُومُها فقالت انى لم أرد هذا أو انما تعجبت من حسنها فقال لها اذًا فقولى ماأحسنَ السماءَ وافتحى فاكِ . وسمع أبو الاسود قارئا يقرأ قوله تعالى (ان الله بريء من المشركين ورسوله) بجرّ رسوله فأكبر ذلك وقال عز وجه الله أن يبرأ من رسوله . وكان هذا سببا فى وضع علامات الاعراب للمصحف بأمر زياد . وقال الحجاج يوما للشَّعْبي كم عطاءَكَ فقال ألْفَين قال ويحكَ كم عطاؤكَ فقـال ألفان قال كيف لحنت أوّلا قال لحن الأمير فلحنت فلما أعرب أعربت . وقيل لعبد الملك بن مَرْوان لقـد عجل اليـكَ الشَّيْب ياأمير المؤمنـين فقال شيّبَني ارتقـاء المَنَابر وتَوَقُّع اللَّحْن . وكان الوليد بن عبـد الملك كثير اللحن وله فى ذلك نوادر كثـيرة

الكتابة والخط

كان انتشار الكتابة قبل الاســلام قليلا بين العرب كما تقدم ومنـذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم انتشرت الكتابة للحاجة اليها فى كتابة الوحى والرسائل التى كان ينفذها رسول الله صـلى الله عليه وسـلم الى الملوك والامراء وقد أمر بعد غزوة بدر من لم يكن لها فداء من الأسرى أن يعلّم عشرة من أطفال المسلمين الكتابة

ولما كثرت الفتوح فى مدة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنـه وضع ديوانَ الخراج وديوان الجيش لضبط الاعمال وكان ذلك فى المحرم سـنة عشرين

وقد كان ديوان الخراج والجبايات فى بلاد العراق والشام ومصر يُكتب فيه بغير العربية الى زمن عبـد الملك بن مروان وابنه الوليـد حين ظهر فى العرب ومواليهم مَهَرة فى الكتابة والحساب فنقـل ديوان العراق من الفارســية الى العربية والذى نقله هو صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج وكان يكتب بالعربية والفارسـية . ونقل ديوان الشـام من الرومية الى العربية والذى نقله هو سليمـان بن سعد والى الأردُن وأكمله لسنة من ابتدائه ووقف عليه كاتب عبـد الملك فقال لكُتّاب الرُّوم اطلبوا العيش من غير هـذه الصناعة فقـد قطعها الله عنكم .

ونقل ديوان مصر من القبطية الى العربيـــة والذى نقله هو عبـــدالله ابن عبدالملك بن مروان فى خلافة الوليد بن عبدالملك سنة سبع وثمانين وأصبحت الدواوين الاسلامية بعد ذلك تكتب كلها بالعربية

وأول كتاب كتب باللغـــة العربيـــة هو القرآن الكريم وقد كتبت المصاحف العثمانية بخط الجزم (وسمى بالخط الكوفى بعد انشاء الكوفة) واستعمل فى عهـــد بنى أمية مع ترقيه فى درجات الحسن تبعا لحضارة الأمة . وقد كان المصحف خاليا من الشكل والنقط غـــير أنه لكثرة المسلمين بسرعة انتشار الدين وظهور اللحن والتحريف خُشىَ على القرآن الكريم من ذلك فقام أبو الاسْوَد الدُّؤَلى ووَضع له علامات الاعراب فى أواخر الكلمات بِصْبغ يُخالف لَون المداد الذى كُتب به المصحف . وجعل علامة الفتح نُقْطة فوق الحرف والضم نقطة الى جانبه والكسر نقطة فى أسفله والتنوين مع الحركة نقطتين وذلك فى خلافة معاوية . ثم ان الحجاج فى مدة عبدالملك بن مروان أمر نصر بن عاصم أن يضع له النقط والشكل لأوائل الكلمات وأواسطها وخالف فى ذلك طريقة أبى الاسود لئلا يلتبس النقط بالشكل . وبعد ذلك جاء الخليل بن أحمد فتمم بقيـــة علامة الاعجام (الشكل) كالشّدّة والصـلّة والقطعة وهذب جميع العلامات فجعل الضمة واوا صغيرة فوق الحرف والكسرة ياء صغيرة

تحته والفتحة ألفا مسطوحة فوقه والشدة رأس شين والصلة رأس صاد وسمى كل هذه العلامات بالشكل أخْذاً من شكال الدابة الذى تقيد به فكأن شكل الكلمة يقيدها عن الاختلاف فيها وكان المعروف من الخط فى ذلك العصر نوعان . أحدهما يستعمل فى كتابة المصاحف ونحوها والمسكوكات مما يُحتاج فيـه الى التأنق والاجادة وحُسْن النَسق . وثانيهما يستعمل فى كتابة الرسائل ونحوها مما يُطلَب فيـه الاسراع ولا يُحتاج فيـه الى التأنق وزيادة التحسين . والنوع الاول هو المعروف بالخط الكوفى وأما النوع الثانى فانه أصل خط النَسْخ ارتقى فى الحُسْن والجَوْدة شيأ فشيأ حتى تحوّل الى ما هو عليه اليوم

ثم ان الخط بنوعيه انتقل الى الامصار التى انتشر فيها الاسلام وتنوعت أشكاله ورسومه فانتقل فى عصر الأمويين الى افريقية وتولد منه الخط المغربى المستعمل الآن فى المغرب الاقصى والجزائر وتونس وطرابُلُس

النثر والنظم وفضل القرآن الكريم

على اللغة العربية فى تهذيبها وترقيتها

قد أخذت اللغـة العربية عنـد ظهور الاسـلام وِجْهَةً دينية من القيام بالدعوة الى الدين والوعظ وتبيين العقائد الصحيحة وقواعد الاسلام وأصوله وأحكامه وحكمه وآدابه

وانك لترى فى كلام الصدر الاول من أهل الاسلام الحَثّ على اتّباع الدين والتمسك به واعلاء كلمة الحق والعمل للآخره والأخذ من الدنيا بنصيب والتحذير من الاسترسال مع الشهوات والأهواء والنظر الى خيرات الأقاليم التى فتحها المسلمون والتطلع اليها خوف الوقوع فى الزّلل . فترى رسائل هذا العصر المنير وخُطَبه تُرَدّد صدى الكتاب العزيز حاثة على الفضيلة مُنَفّرة من الرذيلة . وكلُّها جاء فيه اللفظ تابعا للمعنى لم يُتَعَمّد فيه ضَرْبٌ من ضروب الصنعة الكلاميـة صادرة عن شعور حىّ ووجدان صادق ولذا نَفَذت الى سُوَيداء القلوب وأصابت مواقع الوجدان . واذا كان الكلام خارجا من القلب فانه يقع فى القلب واذا لم يكن صادرا الاعن اللسان فانه لايتجاوز الآذان . وقد قضت هذه الحكم والمواعظ والخطب والنصائح على الرذائل والأوهام بالزوال وفَسَحت للفضائل والحقائق فرأت أهلا ومكانا سهلا فحلّت بهاالنفوس والعقول وقويت العزائم وعَلَتْ الهِمَم فساد المسلمون جميع الأمم

ويرى الناظر الى حالة اللغة فى عصر الدولة الاموية انها انتقلت الى حالة أجل مما كانت عليه لانتقال القوم من البداوة الى الحضارة ومن سكنى الخيام الى سكنى القصور فاتسعت مداركهم وزادت تَجاربهم وقوى فيهم الخيال وكثرت التصورات وانتقلوا من حال الى حال فأشعر

ذلك نفوسهم معانى جديدة ووجدانا وعلما لم يكونا من قبل . فاحتاجوا الى العبارة عن ذلك عما يلائمه من الالفاظ والتراكيب وساعدهم على صوغ العبارات فى القالب اللائق بها قوة اللغة واتساعها وأخذهم بزمامها . وقد ظهر ذلك فى خطبهم ورسائلهم ظهورا بيّنًا

وكانت موضوعاتها فى الغالب الوعظ والارشاد والذود عن الحقوق وايقاف الاطماع عند حدّها وكبْت الخارجين وتأليف الاحزاب وتوحيد الكلمة

وكانت العبارات لاتزال آخذة اسلوبا حيًّا مؤثرا مع إحكام صنعة وحسن عبارة وجودة مقاطع

الخَطَـــــابة

كانت خُطَب الصدر الاول من الاسلام فى أسمى طبقات الفصاحة والبلاغة كما ترى ذلك فى خطب الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة والتابعين كمعاوية وزياد وعبد الملك والحجّاج وقَطَرىّ بن الفُجَاءة وأبى حمزة وواصل بن عطاء . والفضل فى ارتقاء الخَطابة يرجع الى الكتاب المبين من وجوه كما بيّن ذلك صاحب كتاب أشهر مشاهير الاسلام قال فى بيان هذه الوجوه

(١) ان القرآن الكريم وانْ نزل بلغة القوم التى بها يتخاطبون وبفصاحتها يتفاخرون الا أن أساليبه العالية التى أعجزت خطباءهم

وفصحاءهم وأخذت بمجامع قلوبهم ألبستهم ملكة من البلاغة فى تخيّر الأساليب غيّرت ملكتهم الاولى وأطلقت ألسنتهم من الوحشية والتعمق الذى كان ديدن كثير من خطبائهم حتى انهم كانوا يعيبون الخطيب المصقع اذا لم يكن فى كلامه شئ من آى القرآن. روى الجاحظ أن العرب كانوا يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل وفى الكلام يوم الجمع آى من القرآن فان ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار وحسن الموقع

(٢) ماجاء فى القرآن من الترغيب والارهاب على الاسلوب البالغ حد الايجاز وما كان له من التأثير فى الضمائر والأخذ بشكائم النفوس أعانهم على التفنن فى أسالب الوعظ الخطابى عنـد حلول الأزمات أو الحاجة الى تأليف قلوب الجماعات حتى لقد كان الخطيب البليغ يدفع بالخطبة الواحدة من الملمات مالا يدفع بالبيض المرهفات

ويملك من قلوب الرجال مالا يملك بالبدر والاموال

(٣) أن الاسلام بما هذّب من أخلاقهم وألان من طباعهم وعدّل من شيمهم أدخل من الرقة على عواطفهم مارق به كلامهم وكثّر المعانى المؤثرة فى النفوس اختيارهم فى مخاطبتهم وخطبهم

(٤) أن الاسـلام بما مهدلهم من سبيل الفتح ومخالطة الامم وبما منحهم من سعة السلطان والسيادة على الشعوب وفر لهم الاسباب

الداعيــة الى التوسع فى الخطابة بما تتطلبه حاجة التوسـع من الملك وتقتضيه عادات الأمم المحكومة وأخلاقها اه بتصرف يسـير فى العبارة

وكان الخطباء فى هذا العصر يمسكون بيدهم العصا أو المخصرة كما كان عليه خطباء الجاهلية قال عبد الملك بن مروان لوألقيت الخيزرانة من يدى لذهب شطر كلامى

الرســـــــائل

فى صدر الاسلام كانوا يكتبون من فلان الى فلان وجرى على ذلك الصحابة والتابعون حتى ولى الوليد بن عبـد الملك فامر أن لايكاتبـه الناس بمثل مايكاتب بعضهم بعضا وبقى الحال كذلك الاما كان من عمر ابن عبد العزيز ويزيد بن الوليد حيث اتبعا السنة الاولى وبعد ذلك رجع الامر الى ما كان عليه الوليد

وفى أواخر الدولة الأموية أخذت الرسائل أسـلوبا غير الذى كانت عليه ودخلتها الصنعة والقصد الى تنميق اللفظ وابتدأ ذلك الانقلاب بعبد الحميد بن يحيى الكاتب وهو أول الطبقة الثانية من الكتاب . وكانت الرسائل قبل عبد الحميد موجزة غالبا ثم طولت لاقتضاء المقام تطويلها

النظـــــــــم

قد انصرف العرب عن الشعر والمنافسة فيه فى أول عصر الاسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوّة والوحى وما أدهشهم من أساوب القرآن ونظمه فَأُخْرِسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض فى النظم والنثر زمانا ثم استقر ذلك وأُونِسَ الرُّشْد من الملّة ولم ينزل الوحْى فى تحريم الشعر وحَظْره وسمعه النبى صلى الله عليه وسلم وأثاب عليــه فرجعوا حينئذ الى ديدنهم منــه . وكان لعُمَر بن أبى ربيعــة كبير قريش لذلك العهد مقامات فيه عالية وطبقة مرتفعة وكان كثيرا ما يَعْرِض شعْرَه على ابن عباس فيقف لاستماعه مُعْجَبا به ثم جاء من بعــد ذلك المُلْك والدولة العزيزة وتَقَرَّب اليهم العرب بأشعارهم يمتدحونهم بها ويجيزهم الخلفاء بأعظم الجوائز على نسبة الجودة فى أشــعارهم ومكانهم من قومهم ويحرصون على استهداء أشــعارهم يَطّلعون منها على الآثار والاخبار واللغة وشرف اللسان . والعرب يطالبون وليدهم بحفظها ولم يزل هذا الشأن أيام بنى أميـــة وصدراً من دولة بنى العبـاس اهـ من المقــدّمة لابن خلدون من الفصل الحسين من الكلام على العلوم

وقال حمّاد الراوية أمَرَ النُّعمانُ فنُسِخت له أشعار العرب فى الطُّنُوج أى الكراريس فكُتِبت له ثم دَفَنها فى قَصْره الأبْيض

فلما كان المختار بن عُبَيد قيل له انّ تحت القصر كنزًا فاحتفره فأخرج تلك الأشعار فمن ثَمّ كان أهل الكوفة أعلم بالاشعار من أهل البصْرة . وقال ابن خلدون أيضا ان كلام الاسلاميين من العرب أعلى طبقة فى البلاغة من كلام الجاهلية فى منثورهم ومنظومهم فانّا نجد شعْر حسّان بن ثابت وعمر بن أبى ربيعة والحُطَيْئة وجرير والفرزْدق ونُصَيْب وغَيْلان ذى الرُّمّة والأحْوص وبَشّار ثم كلام السَّلَف من العرب فى الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية فى تَرَسُّلهم وخُطَبهم ومُحَاوَرَتهم للملوك أرفع طبقة فى البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كُلْثوم وزُهَير وعَلْقمة بن عَبَدَة وطَرَفة بن العَبْد ومن كلام الجاهلية فى منثورهم ومحاورتهم والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة . والسبب فى ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الاسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام فى القرآن الكريم والحديث الشريف اللذين عجز البشر عن الاتيان بمثلهما لكونها وَلَجَتْ فى قلوبهم ونشأت على أساليبها نفوسهم فنهضت طباعهم وارتقت مَلَكاتهم فى البلاغة على مَلَكات مَن قَبْلهم من أهل الجاهلية ممّن لم يَسْمَع هذه الطَبَقة ولا نشأ عليها فكان كلامهم فى نَظْمهم ونَثْرهم أحسنَ ديباجةً وأصفى رَوْنقا من أولئك وأرْصَف مَبْنى وأعْدَل تثقيفا بما استفادوه من الكلام العالى الطبقة اهـ

والشعراء الذين أدركوا الجاهليــة والاسلام يُسَمَّون المُخَضْرَمين (من الخَضْرمة وهى الخَلْط لانهــم جَمعوا بين العَصْرَين الجاهلى والاســلامى) ومن أشهرهــم حسّــان بن ثابت والنابغــة الجَعْــدى وكَعْب بن زُهَير والعَبّاس بن مِرْداس والحُطَيْئة . وأما الذين لم يُدْرِكوا عصر الجـاهلية بل نَشَأوا فى الاســلام بعد هؤلاء المخضرمين فانهم يسمون بالاسلاميين ومن أشهرهــم جَرير والفَرَزْدق والأَخْطَل وذو الرُّمّة والكُمَيت وبَشّار ابن بُرْد آخرهم وهو ممن أدرك العصرين الاموى والعباسى

وكلا الفريقين يُستَشْهَد بكلامه فى اللغة ويُحْتَجّ به .

وقد امتاز الشعر فى هــذا العصر ببلاغة فى المعنى ومتانة فى التعبير وإحكام فى التركيب مع رقة وحُسْن تصرف فى القول وسَعة فى التصوّر فاق فى كل منها الشعر الجاهلى .

ولم يزل للشــعر من المكانة فى النفوس فى العصر الأموى وصــدر من العصر العبــاسى مثـــل ما كان له فى العصر الجــاهلى وان كان بعض المخضرمين كالحطيئــة والاســلاميين كالأخطل وجرير اتّخــذوه صــناعة للتكسب وطَلَب الرِّزْق من الســادات والامراء والخلفاء فانّ ذلك لم يَحُطّ من قَدْره ولم يَخْضــد من شوكــته ومن شواهد ذلك مارواه الجاحظ فى البيان عن أبى عبيدة قال كان الرجل من بنى نُمَـير

اذا قيـــل له ممن الرجل يقول نُميرى كما ترى فما هو إلاّ أنْ قال جرير

فَغُضّ الطّرْف إنّكَ من نمير * فلا كعبـا بلَغْتَ ولا كلابا

حتى صار الرجل من بنى نمير اذا قيل له ممن الرجل قال من بنى عامر .

وروى الجاحظ أيضا عن أبى عبيـدة قال كان الرجل من بنى أنْف الناقة اذا قيـــل له ممن الرجل قال من بنى قُرَيْع فما هو الا ان قال الحطيئـــة

قَوْمٌ هُمُ الأنْفُ والأذْنابُ غيرُهُمُ * ومَن يُسَوّى بأنف النـاقة الذَنَبا

حتى صـار الرجل منهم اذا قيـــل له ممن الرجل قال من بنى أنف النـاقة

العـــلوم والمعـارف

جاء القرآن المجيد بحكمه السامية وأحكامه العادلة كافلا لمن عمل به سعادة الدنيا والآخرة فوجد فيـــه المسلمون غُنْيَتَهم وجَعَلوه هو والسُّنّة النّبَوية عُمْـدَتَهم ومَرجعَهم مدّة الخُلَفاء الراشـدين والدولة الأموية . وكان الصحابة رضوان الله عليهم يفهمون دقائق الكتاب ويدركون حكَمه وأسراره ويعرفون أحكامه من غير احتياج الى تعلم العـــلوم اللسانيـــة كالنحو والصرف وعلوم البلاغة ومتْن اللغـــة لانّ الكتاب كان مُتَنَزّلا بلُغَتهم التى هم بها يتخاطبون وكانوا على علم تام بالحوادث التى نزل فيها

القرآن وبأسـباب النزول والناسخ والمنسوخ وأنواع النسخ والمحكم والمتشـابه والمجمل والمفصل الى آخر علومه التى أفردها الأئمة بالتآليف وغاية الاشتغال بهـذه العلوم اللسانية انما هو الوصول الى معرفة اللغة كما كانت تعرفها العرب . ولم يكن لديهم من بقايا قدمائهم فى العلوم الدنيوية الا البعض كالطبّ الذى ورثوه عن أسلافهم . ولا يذهبن بك الوهم الى أن الدين الاسلامى يصدّ عن الاشتغال بالعلوم والفنون الدنيوية اذ الكتاب العزيز جاء حاثا على النظر فى ملكوت السموات والارض منبها الى الانتفاع بكل ما يمكن الانتفاع به من هذه الخليقة بصريح العبارة فى الآيات العديدة غير أن المسلمين فى أول ظهور الاسلام كان يمنعهم عن الاشـتغال بهذه العـلوم انصرافهم الى القيام بدعوته وتَصَـدّيهم لتهـذيب جميع العـالَم وترقيته وتخليص مَن حَولَهـم منَ الأمَم من شوائب الأوهام والرذائل . فكانوا خُصَمَاء للعـالَم كله . فلما تضمخ الخافقان بطيب عبيره وارتوى الأغصـان من عُذَيب نَميره واستقرت من الدين دعوته وعلت كلمته ونفذت شوكته وُجّهت العناية الى تلك العلوم الدنيوية فى أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية . وقد ظهرت آثار العـلوم العقلية فى أوائل القرن الثانى وترجمت جملة من الكتب العلمية والصناعية

وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين يستظهرون الاحاديث النبوية ولا يكتبونهـا وجرى التابعون على سنتهم حتى كانت خلافة عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه فكتب الى الافاق (انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم واجمعوه) ودوّنه بأمره محمد بن شهاب الزُّهْرى المتوفّى سنة ١٢٥ وكان ابتــداء تدوين الحــديث على رأس المـائة . وبعد ذلك دُوّنت كُتُب الحديث تباعا فى عصر العباسيين ووجهت اليها العناية حتى ضبطت ضبطا محكما

وأما البراعة فى الآداب من العلم بوقائع العرب وتاريخهم وقول الشعر وانشـاء البليغ من النثر فانهـا قد بلغت فى خلافة بنى أميــة مبلغا لم تبلغه أمة قط فى مثل مدّتها . وقد كان الخلفاء من بنى أمية يعْلُون مَنْزلتها ويرفعون مكانات الشعراء والخطباء والعلماء وكذا الدولة العبّاسية وأخبار المهدى مع المفضّل وحمّاد وحديث الرشيد مع الأصمعىّ حلية تلك القلادة وقال الامام أبو الحسن بن سعيد العسكرى بلغ من عناية بنى أمية وشغفهم بالعلم انهم ربمـا اختلفوا وهم بالشام فى بيت من الشعر أو خَبَرٍ أو يومٍ من أيام العرب فيُبردون فيــه البَريد الى العراق حتى قال أبو عبيدة ما كنا نفقد فى كل يوم راكبا من ناحية بنى أميّة ينيخ على باب قتَـادة يسأله عن خَبَرٍ أو نَسَب أو شعر فقدم عليه رجل من

عنـد أبنـاء الخلفاء من بنى مروان فقـال له من قَتَـل عامرا وعمرا التغلبيَّين يومَ قِضَّةَ فقـال قتلهما جَحْـدَر بن ضُبَيْعَةَ بن قَيس بن ثَعْلَبـة فشخَصَ بها ثم عاد اليه فقال أجَلْ قتلهما جحدر ولكن كيف قَتَلهما جيعا فقـال اعْتَوَرَاهُ فطعَن هذا بالسِّنَان وهذا بالزُّجّ فَعَادَى بينهما ثم قال ولم يزل المأمون حين دخل العراق يراسـل الأصمَعِيّ فى أن يجيئه ويحرص على ذلك والشيخ يعتذر بضعفٍ وكِبَرٍ ولم يُجِب فكان الخليفة يجمع المسائلَ ويُنْفِذها اليه الى البصرة اهـ باختصار

وقد كتب شئ من التـاريخ فى زمن معاوية رضى الله عنه وقال ابن خلكان أنه رأى تأليفا لوهب بن منبه المتوفى سـنة ١١٦ فى أخبار ملوك حمير وأشعارهم

وكان وضع علم العربية فى آخر عهد الخلفاء الراشدين بسبب انتشار اللحن وأول من وضعه وأسس قواعده أمير المؤمنين علىّ بن أبى طـالب كرم الله وجهه وأخذه عنه أبو الأسْوَد الدُّؤَلى وأتمّه

قال أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الانبارى فى كتابه تاريخ الادباء بعد كلام مانصه

وسبب وضع على كرم الله وجهه لهـذا العلم ماروى أبو الاسود قال دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب فوجدت فى يده رُقْعة فقلت

ماهذه ياأمير المؤمنين فقال انى تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء (يعنى الاعاجم) فأردت أن أضع شيئا يرجعون اليه ويعتمدون عليــه . ثم ألقى الىّ الرقعة وفيها مكتوب (الكلام كله اسم وفعــل وحرف فالاسم ماأنبأ عن المسمى والفعــل ماأنبئ به والحرف ماأفاد معنى) وقال لى انحُ هــذا النحْو وأضفْ اليــه ماوقع اليك واعلم ياأبا الاسود أن الاسمـاء ثلاثة ظـاهر ومضمر واسم لاظاهر ولا مضمر وانمـا يتفاضل الناس ياأبا الاسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر (وأراد بذلك الاسم المبهم) . قال ثم وضــعت بابى العطف والنعت ثم بابى التعجب والاستفهام الى أن وصلت الى باب انَّ واخواتها فكتبتها ماخلا «لكنَّ» فلما عرضتها على أمير المؤمنين عليه السلام أمرنى بضم «لكن» اليها . وكنت كلما وضعت بابا من أبواب النحو عرضــته عليه الى أن حصلت مافيــه الكفـاية فقـال ماأحسن هــذا النحوَ الذى نحوتَ فلذا سُمّى «النحو»

وأخذ عن أبى الاسود جمع من الطُّلَّاب من أشهرهــم نصر بن عاصم المتوفى سنة ٨٩ بالبصرة وهو واضع النقط والشكل للمصحف كما تقدم . وجاء بعده جمع من أئمة العربية أحكموا ترتيب القواعد وأكثروا من الادلة والشواهد وسيرد عليك ترجمة بعضهم فى هذا الكتاب

حالة اللغـــة العربيـــة وآدابهـا

فى عصر الدولة العباسية وما بعدها

جاءت الدولة العباسية وقد انتشرت العرب فى أنحاء المعمورة وامتد ملكهم شرقا وغربا من الهند الى الاندلس ودانت لهم أمم كثيرة مختلفة اللغات واللهجات دخل أكثرهم فى الاسلام واختلطوا بالعرب وتكلموا بلغتهم فكثر المتكلمون بالعربية من غير العرب وهم كما تعلم من الاعاجم الذين لم تكن العربية ملكة فيهم كالعرب فسرى الفساد الى اللغة وفشا اللّحْن والتحريف . وكان أوّل ماظهر ذلك فى المُدن والأمصار ثم دبّ الى البَدْو بعد زمن طويل لقلة اختلاطهم بالأعاجم . ومن لم يختلط منهم لم تفسد لغته . وكانت سرعة الفساد وبطؤه تابعين لكثرة المخالطة وقلتها

ولما تغلب العجم من الديلم والسلجوقية على الممالك الاسلامية فى بلاد فارس والعراق والشام زاد فساد اللغة وكاد اللسان العربى يذهب لولا الكتاب المجيد . وبعد أن سقطت الدولة العباسية وتغلب التتر والمُغُول بالمشرق (ولم يكونوا وقت تغلبهم مسلمين ثم دخلوا فى الاسلام بعد ذلك) أخذت اللغة العربية فى البلاد الفارسية وماجاورها فى الاضمحلال حتى لم يبق لها رسم فى الممالك الاسلامية بالعراق العجمى وخراسان وبلاد فارس وأرض الهند وبلاد الروم إلاّ فى كُتُب الحديث والدِّين وبعض كتب

العلم حتى ان كثـيرا من مؤلفاتها كتب بغير اللغة العربية كالتركيـة والفارسية والهندية وذهبت أساليب اللغـة من النثر والنظم الا قليلا وبقيت العربيـة ببلاد العرب والعراق العربى والشام ومصر وبلاد المغرب ثم تشرّف بالاسلام أولئك المتغلّبون فعاد فى بلادهم الى العربية بعض رُوَائها وفاض بعد أنْ غاض مَعِينُ رَوَائها غير أن لغـة الكلام أصبحت بعيدة عن لغـة الكتابة لكثرة مادخلها من التغيير والتبديل واتسعت مسافة الخلف بينهما. فالكتابة لاتزال باللغة العربية الصحيحة فى الكتب المعتبرة وأما الكلام فقـد تغلبت عليه اللغة العامية وهى خليط من اللغة العربية بعد تحريف كلماتها وتغيير أساليبها ولهجتها مع بعض كلمات وأساليب من لغات أخرى امتزجت بها . وهذه اللغة العامية كل يوم فى تقلب وتغير لاختلاف المخالطين لأهلها من الاعاجم وتفاوت سلطتهم قوة وضعفا. ولذا تجد اللغات العامّية تختلف فى لهجتها وبعض كلماتها باختلاف البلاد والعصور كما ترى ذلك فى لغة أهل مصر والشام وبلاد المغرب اذا قارنتها بعضها ببعض وفى لغـة أهل الجزائر اليوم ولغتهم قبل ذلك بخمسين سنة

ولقـد أتى فى مصر والشام زمن طويل على اللغة العامّية زاحمت فيه اللغة العربية الصحيحة فى الكتابة وفى بعض المؤلفـات كما ترى شيأ

من ذلك فى تواريخ ابن اياس والجبرتى والانس الجليـل وربمـا تعمّـد مؤلفوها ذلك لافهام العامّة وتراه أيضا فى كتابة الدواوين بمصر فى القرن المـاضى ولا تزال آثاهـا ظاهرة الى اليوم ظهورا بينا فى بعضها وقليلة أو نادرة فى بعضها الآخر

بل كانت لغـة الدواوين فى مصر بعضها لايفهم لبعده عن كل من اللغة العامية واللغة الصحيحة

ولكن عناية الله تعالى تداركت هذه اللغة الشريفة وهى على آخر رمق من حياتها بعلماء أفاضـل أخذوا بناصرهـا من زمن غير بعيد ونهضوا بها نهضة لم تكن فى الحسبان حتى أرجعوا اليها بعض مافقدته من قوتها

النـــثر والنظـــم

اتسع نطاق النثر فى العصر العباسى اتساعا عظيما ودونت به جميع العلوم من دينية وأدبية ورياضية وطبية وفلسفية وغير ذلك مما وضعه المسلمون أو ترجموه من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية

وقد استدعى هذا وضعا جديدا لكثير من الالفاظ بحسب اصطلاحات العلوم والفنون كما ترى ذلك فى اصطلاحات علوم الدين والأدب والرياضة والطب والفلسفة من الأوضاع العرفية المستحدثة

وكانت عبارة التأليف من ابتداء تدوين العلوم الى حوالى القرن الرابع خالية من التعقيد حسنة الأسـلوب متينة التركيب قريبة المأخذ لاسيما علوم الأدب والشريعة أصولا وفروعا حتى كتب القواعد النحوية من اللغة

وكذا كان شأن الرسائل والتحرير فى أى غرض كان فى ذلك العصر الذى زهت فيـه العلوم وحييت الآداب وعمت الحضارة والمدنية وبلغ كل ذلك غايته من الارتقاء بين الأمة الاسلامية . غير أنه دخل شئ من التكلف فى النثر والنظم ولكنه كان مستترا بحسن السبك وإحكام الصنعة فى الغالب ولم يكن ليؤثر فى جملة المنظوم والمنثور تأثيرا كبيرا لقلته ولحسن التصرف فيه وبعـد ذلك أخذت هـذه الحيـاة الادبية فى الضـعف تبعـا لضعف الخلافة العباسـية العربيـة وكثر التكلف فى الكتابة والنظم ومال كثير من الكتاب الى السجع وكاد بعضهم يهمل جانب المعنى لاهيًا عنه بالالفاظ وتنميقها والجناس ونحوه من المحسنات اللفظية حتى صنفت كتب بالكلام المسجوع كتاريخ العتبى والفتح القدسى لكن عبارة التأليف فيهما وفى كثـير من الكتب لاتزال راقيـة عالية الأسـلوب وكذا بعض الرسـائل والمحررات حتى دخلت اللغـة فى دور الانحطاط بسقوط الدولة العباسـية شـيأ فشـيأ الى عصرنا هذا حيث أخذت تستعيد بقدر الامكان ما كان لها من حسن الأسلوب ومتـانة

التركيب مع البعد عن تكلف السجع والجناس والقصد الى المعنى . والفضل فى ذلك يرجع للنهضة العامّة فى مصر والشام كما تقدّمت الاشارة الى ذلك فى الفصل السابق

النظـــــــم

قد فسحت الحضارة وسعة العمران لشعراء الدولة العباسيه مجالا لم ينفسح للشعراء قبلهم فذهبوا فيه المذاهب وتفننوا وأبدعوا وتصرفوا فى المعانى وأجادوا السّبك وأحكموا الصنعة وفاقوا فى الرقّة والسهولة والتفنّن فى القول مَن تقدّمهم من شعراء الدولة الأموية . ولا عجب فى ذلك فقد وصفوا ماشاهدوه مما امتلأت به أيدى الفاتحين من خيرات الاقاليم وما وقع تحت حسهم من آثار الامم التى تغلبوا عليها واللغة فى عنفوان شبابها والخلفاء من أكبر أنصارها (والناس على دين ملوكهم) وانك لترى العجب فى كلام شعراء العباسيين الى نهاية القرن الثالث فقد بلغوا الغاية فى كل ماتكلموا فيه واستمر الشعر فى قوّته بعد القرن الثالث غير أن الشعراء المجيدين أخذ عددهم يقلّ شيأ فشيأ حتى انتهوا بالطُّغْرائى المتوفى سنة ٥١٣ وجاء بعد هؤلاء قوم اشتهروا ولكنهم لم يبلغوا شأو من تقدّمهم وكان آخرهم صفىّ الدين الحلّى المتوفى سنة ٧٤٠ وبعد ذلك أصبح النظم كالنثر فى حكمه ضعفا وقوة حتى عصرنا هذا

وشعراء الدولة العبـاسـية يسمون بالمولدين وقد امتـاز شعرهم بالرقة والسهولة وعذوبة اللفظ والتوسع فى التشبيه والمجـاز والكناية والتوغل فى الخيـال مع القرب من الحقيقة احيـانا وقد أكثر المتأخرون منهم من المحسنات البـديعة حتى صار لكلامهم مَسْحة ظاهرة من الحُسْن من دونها معنًى تافه أو غلوّ غير مقبول

وقد كان لكل شاعر طريقـة امتاز بها فى شعره وقد جمع بعضهم بين النثر والنظم واتفق له فى كل منهما كلام جيد كالبديع والخوارزمى والميكالى والشريف الرضى . ولقـد كان للشـعر مكانة فى النفوس وسلطان عليها الى صـدر الدولة العباسية ثم فقد تأثيره بعد ذلك لكثرة المتبـذلين من الشـعراء فى المدح والهجو ولغُلُوّهم فى ذلك وكذبهـم ولانحطاطهم من أعين العظماء خصوصاً غير العـرب الذين لايقع من نفوسهم الشعر الجيد موقعه من نفس العربى

وقد زاد المولدون أوزانا للنظم كالموشح والسلسلة والدوبيت وتفننوا فى النظم فخمّسوا وشطّروا وتصرفوا فيه تصرفا كثيرا

وفحول شعراء المولدين والمجيـدون من كتابهم كثيرون فمن الفريق الاول بعـد بشـار بن برد مسـلم بن الوليـد وأبو نُوَاس وأبو العَتَاهية وأبو تمّام والبُحْتُرِى وابن المُعْتَزّ وابن الرُّومى والمتنبِّى والشريف الرَّضِى

وأبو العلاء المعرّى وأبو فراس والحَسن بن هانئ الاندلسى وابن خَفَاجة والطُغْرائى

. ومن الفريق الثانى بعد عبد الحميد بن يحيى ابراهيم الصُّولى والحسن ابن وهب والجاحظ وابن العَميد والصابئ وابن عبّاد والخوارزمى والبديع والحريرى والقاضى الفاضل وعبد اللطيف البغدادى

الخط العـــــربى

فى عصر العباسـيين توجهت العناية الى تجويد الخط وتحسينه وخالفت أوضاعه فى بغـداد أوضـاعه فى الكوفة فى الميل الى اجادة الرسوم وجمال الشكل . واخترعت الأقلام المختلفـة فظهر قلم الثلث والثلثين والنصف نظرا لاستقامة ثلث الحروف أو ثلثها أو نصفها وغير ذلك من الاقلام الأخرى . واستمر الخط آخذا فى الارتقاء والجودة حتى ظهر ببغـداد الوزير الكاتب أبو على محمـد بن على بن مقـلة المتوفى سـنة ٣٢٨ واخترع نوعا من الخط سمى بالخط البـديع . وقد اشتهر بين الكتّاب أن هذا الخط البديع هو خط النسخ الشائع اليوم نقله ابن مقلة عن الخط الكوفى . ونفى ذلك بعض الباحثين مستدلين بوجود خط النسخ قبـل زمن ابن مقـلة كما شاهـدوا ذلك فى بعض المصحف والرسائل التى كتبت قبل ابن مقلة . والظاهر أن ابن مقلة لم يخترع

خط النسخ اختراعا ولكنه تصرف فيه تصرفا بديعا ونقله الى صورة امتاز بها عن أصله فى الجودة والحسن . وهذا مقام لايزال محتاجا الى البحث والتحقيق . وكان ابن مقلة يضرب به المثل فى حسن الخط . وتلاه فى ذلك أبو الحسن على بن هلال الكاتب الشهير المتوفى سنة ٤٢٣ وقد أقر له أهل زمنه بالسابقة وعدم المشاركة فى حسن الخط وهو الذى هذب الخط العربى ونقحه بعد ابن مقلة

ثم ان الخط الكوفى أهمل بتوالى الايام وحل محله خط النسخ . وقد تفنن الترك فى تحسين الخط وتنويعه فاخترعوا خط التعليق والرقعة وأوصلوا النسخ والثلث الى أقصى درجات الحسن والاتقان كما هو مشاهد الآن

والخط العربى منتشر فى البلاد الاسلامية كلها تكتب به العربية والتركية والفارسية والافغانية ولسان أردو بالهند ولسان الملايو بجزيرة جاوة وما حولها

العلوم والمعارف

قد اعتنى الخلفاء والعلماء فى عصر الدولة العباسية بتدوين العلوم الاسلامية فوضعوا أصول الفقه وصنفوا فى فروعه واستنبطوا أحكامه ودونوا الاحاديث النبوية وتفسير القرآن الكريم وعلوم العربية واستخرجت علوم البلاغة ووضعت لها القوانين والشواهد ووضع

العَروض وحصرت أوزان الشعر العربية فى دوائرها الخمس . وألفوا وترجموا كتبا فى الطب والهيئة والهندسة وسائر العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية وتقويم البلدان والتاريخ العام وتاريخ الاشخاص . واعتنوا باللغة وضبطها وتصرفوا فيما ترجموه فنقحوا وهذبوا وزادوا واستنبطوا وأصلحوا كثيرا من أغلاطه . وقد وسعت اللغة العربية كل العلوم التى ألفت بها أو نقلت اليها ولم يدخل من الالفاظ الاعجمية الا شئ يسير وأكثر ماوقع ذلك فى الكتب التى عربها بعض من لايحســنون العربية . وتفصيل الكلام على هذه العلوم واشتغال المسلمين بها وعنايتهم بتهذيب ماترجموه منها وجعله صالحا لأن ينتفع به كل ذلك يحتاج الى تأليف الأسـفار الكبار ليوفى حقـه من البحث والشرح . غير أنا ذاكرون مختصرا وجيزا مناسـبا للمقام مقتطفا مما كتبـه كبار مؤرخى المسلمين ومحققو المؤرخين من الافرنج المنصفين وأفاضـل الكتاب المعاصرين فى مآثر العرب وعلومهم ومعارفهم ومالهم من الفضل على العالم كله فى ذلك كله مازجين أحيانا كلامهم بعضه ببعض أو مصرحين بنسـبة القول الى قائله حسب اقتضاء المقام ذلك فنقول

أول من اعتنى بالعلوم وتدوينها من الخلفاء العباسـيين أبو جعفر المنصور وقد أخذ فى انشاء المدارس للطب والشريعة وكان مع براعتـه

فى الفقه وفرط شـغفه به قد جعل جزأ من زمنـه خاصا بتعلم العلوم الفلكية وترجم فى زمنه كتاب أُوقْلِيدِس فى الهندسة والهيئة والحساب

وأكمل حفيده الرشـيد ماشرع فيــه وأمر بأن يلحق بكل مسجد مدرسـة لتعليم العلوم بأنواعها . وكان باذلا جهده فى احيـاء العـلوم والآداب ونشرها وكتب فى أيامه مصـنفات كثيرة فى العلوم الاسـلامية وغيرها مما ترجم عن اليونانيــة ومن ذلك كتاب المَجَسْطى الذى ألفــه بَطْلِيموس فى الرياضة السماوية وقيل ان هذا الكتاب تُرْجم فى زمن المأمون بأمره . وكان المترجمون قوما من السريان غير مسلمين وقد أحســن الخلفاء صِلَتهم وأفاضوا عليهم النِعَم وكان أكثرهم غير متمكن من العلوم التى نقلوها الى العربيـة فوقع فيها الغلط الكثير فصححه بعـد ذلك الراسخون فى العلم من العرب فى عصر المأمون وما بعده كما صححوا كثيرا من غلط اليونانيين أنفسهم . وكان اشتغال العرب بالعلم للعمل به فتناولوا الكتب التى ترجموها من قوم كان حظهم منها حفظها على انها من نفائس الذخائر ومآثر الجيل الغابر وقد ظهر أثرُ العمل فى عصر الرشيد ومن ذلك السـاعة الدقاقة المتحركة بالماء التى أرسلها الى شرلمان ملك فرنسا وعظيم أوربا لعهده ففزع الأوربيون منها لذلك العهد وتوهموا انها آلة سحرية قد كمنت فيها الشـياطين وان ملك العرب ماأرسلها

اليهم الا لتغتالهم وتوقع بهم شر ايقاع . وقد اجتمع فى حضرة الرشيد كثير من أكابر العلماء وكان يأتى بهم ويرفع منزلتهم وكلما سافر لحج بيت الله الحرام استصحب معه مائة من العلماء

ولما أفضت الخلافة الى المأمون وجه عنايتـه الى العلوم والآداب وشُغف بالعلم كل حياته ولم يكن يجالس الا العلماء وقد جمع وترجم كثيرا من كتب الفرس واليونان فى الهيئـة والطبيعيات وتخطيط الاراضى والموسـيقا . وغرس للعلم والادب جنانا ناضرة فزكا نبتها وتفتح نَوْرُها وطاب ثمرها ووصلت به دولة العلم الى أَوْج قوتها ونالت به أكبر ثروتها. وكانت بغداد فى عهده مدرسة علمية كما كانت دار خلافة . وكان من شروط صلحه مع ميشل الثـالث أن يعطيه مكتبة من مكاتب الآستانة وقد فعل . وقد ألف علماء العرب فى زمنـه أرصادا وأزياجا فلكية وحسبوا الكسوف والخسوف وذوات الأذناب وغيرها ورصدوا الاعتدال الربيعى والخريفى وقدروا ميـل منطقة فلك البروج وقاسـوا الدرجة الارضية وأصلحوا بأمره غلط بعض الكتب التى ترجمت قبل زمنه

وجاء الواثق بعد المأمون وحذا حذوه فى الاشـتغال بالعلوم واقتدى بالخلفاء الوزراء والأمراء فى زمنهم وبعده وأخذوا جميعا بناصر العلماء وشدوا أزرهم ورفعوا منزلتهم

فأخذ العلماء فى الاشـــتغال بكل علم وكل فنّ أمكن الاشـــتغال به فى ذلك العصر وبنوا علومهم على التجربة والمشاهدة. قال أحد فلاسفة الاوربيين ان القاعدة عنـــد العرب هى «جرّب وشاهد ولاحظ تكن عارفا» وعنـــد الاوربى الى مابعـــد القرن العاشر من التاريخ المسيحى «اقرأ فى الكتب وكرّر مايقول الاساتذة تكن عالمـا» اه فانظر الفرق وقارنه بمـا تجـــده الآن من فرط عنـايتهم بالبحث وما ينجم عنـــه من اصلاحهم الخطأ فيما لايحصى مما كانوا أثبتوه حتى انّ فطاحل منصفيهم لم يجدوا بدّا من الاعتراف بامكان أن يثبت لهـــم غدا ضـــد ماأثبتوه اليوم كما ثبت لهـــم اليوم ضـــد ماأثبتوه أمس ولا من الاقرار بعـــدم الوقوف على كنه الكثير من ظواهر الكون التى ينتفعون بخواصها

ومن العلوم التى كان للعرب فيها اليـــد البيضاء علم الهيئة والهندسة وسائر العـــلوم الرياضـــية فإن مازادوه عليها من مخترعاتهم وما أصلحوه من اغلاط اليونانيين قبلهم جعل لهم الحظ الأوفر فى هـــذه العلوم . قال ديلاَمْبِر فى تاريخ علم الهيئة اذا عددت فى اليونانيين اثنين أو ثلاثة من الراصـــدين أمكنك أن تعدّ من العرب عددا كبيرا غير محصور . وعن العرب أخذ الافرنج الارقام الحسابيـــة وعلم الجبر والمقابلة الذى هو من وضع العرب أخذوه باسمه ومسماه . وقال بعض المؤرخين انّ

ديوفنتوس الاسكندرى من أهل القرن الرابع للميلاد هو أول من ألف في الجبر وكتبه لاتزال موجودة الى الآن . والحق ان هذه الكتب ليس فيها الا قواعد استخراج القوى وحل بعض المسائل وليس فيها أصول الفن وقواعده الاساسية التى امتاز بها وصار فنا مستقلا . ونظير ذلك علوم البلاغة قالوا ان مؤسسها وواضعها هو الامام عبد القاهر الجرجانى مع أن العلماء قد سبقوه الى الكلام فى بعض مسائلها ولكنهم لم يبلغوا بذلك أن جعلوها علما ذا أصول وقواعد كما جعلها

وقد اكتشف العرب قوانين لثقل الاجسام مائعها وجامدها ووضعوا لها جداول فى غاية الدقة والصحة . واخترعوا البندول للساعة اخترعه ابن يونس المصرى . والبوصلة البحرية واخترعوا بيت الابرة أيضا . وهم أول من استعمل الساعات الدقاقة للدلالة على أقسام الزمن وأول من أتقن استعمال الساعات الزوالية لهذا الغرض

ومن علومهم التى وضعوها ولم يُسبَقوا اليها علم الكيميا الحقيقية فهى من اكتشاف العرب دون سواهم وعنهم أخذها الاوربيون وانك لاتستطيع أن تعدّ مجرّبا واحدا عند اليونانيين ولكنك تعدّ من المجرّبين مئين عند العرب

وقد اشتغلوا بالطب والصيدلة ولهم فى ذلك المؤلفات العديدة النافعة ومركّبات الادوية الصالحة . وهم أول من استحضر المياه والزيوت بالتقطير

والتصعيد وأوّل من استعمل السكر فى الادوية وكان غيرهم يستعمل العسل . وكان حكام الاندلس يعتنون بادارة الصيدليات فيفحصون أدويتها ازالة للغش ويُسَعّرونها رفقا بالفقير وفَضْلهم فى الطب على أوربا لاينكر . وقد برعوا فى الجراحة وكان النساء بالاندلس يباشرن كثيرا من العمليات الجراحية بغيرهنّ من الاناث وذلك مايَحُث عليه أهل أوربا وأمريكا اليوم . ولهم فى هذه الفنون مؤلفون يعدّون فى الطبقة الاولى من علماء العالم فى العلوم التى اشتغلوا بها ولا تزال مؤلفات كثير منهم باقية الى اليوم كقانون ابن سينا ومفردات ابن البيطار واذا رجّحت القول بأن يونان أخو قحطان غاضبه فرحل من اليمن ونزل مابين الافرنجة والروم فاختلط نَسَبُه بهم كانت تلك الكتب اليونانية انما هى بضاعة العرب ردّت اليهم

ولم يكن اشتغالهم بالجغرافية والتاريخ العام وتاريخ الاشخاص أقل من اشتغالهم بالعلوم السابقة فلهم السياحات العديدة حول أفريقية وآسية وجانب من أوربا وقد رسموا ماا كتشفوه رسما حسنا ولهم فى تقويم البلدان مؤلفات عديدة بعضها مطبوع وبعضها غير مطبوع فمن الاوّل تقويم البلدان لأبى الفداء ومعجم ياقوت طبعا فى أوربا ومن الثانى نزهة المشتاق للشريف الادريسى محمد بن محمد الصقلى كان

فى القرن السادس الهجرى وهو الذى صنع لرجار الفرنجى ملك صقلية سنة ١١٥٣ أول كرة أرضــية عرفت فى التاريخ زنتها من الفضــة ١٤٤ أقة رسم فيها جميع أنحاء الارض فى زمانه رسما غائرا مشروحا بالاستيفاء وصنف له أيضا كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق مرتبا على الاقاليم السـبعة وصف فيــه البلاد والممالك مسـتوفاة مع ذكر المسافات بالميل والفرسخ . ومؤلفاتهم فى التاريخ تفوق الحصر . والفضل الاول فى الاشــتغال بهذه العلوم يرجع الى مدرســة بغداد التى كانت ينبوعا أصليا استمدت منه سائر المدارس الاسلامية . قال بعض مؤرخى الافرنج ان العرب استقاموا عدة قرون على الطريقة التى وضعها علماء مدرسة بغداد واتبعوا قواعدهم وهى الانتقال من النظر فى المسببات الى اجتلاء الاسباب لا يعولون الا على ما اتضحت صحته وعرفت حقيقته

وقد أنشئت المدارس العديدة تباعا وجمعت اليها العلماء ولم يخل منها قطر من الاقطار الاسلامية . وازدانت بهذه المدارس بغداد والبصرة والكوفة وبُخَارَى وسَمَرْقَنْد وبَلْخ وأصفهان ودمشق وحلب فى قارة آسية والاسكندرية والقاهرة ومراكش وفاس وسبتة والقيروان فى قارة أفريقية وأشبيلية وقرطبة وغَرْناطه وغيرها من مدن الأَنْدَلُس العسديدة فى قارة أوربا . وكان بالقاهرة وحدها عشرون مدرسة فى القرن الرابع وفى قرطبة

وحدها من بلاد الاندلس ثمانون مدرسة فى مدة الحَكَم بن عبد الرحمن الناصر المتوفى سنة ٣٦٦

وأصبحت الاندلس بعد ذلك فى أواخر القرن الخامس غاصة بالمكاتب والمدارس الجامعة ولم تَخْلُ مدينــة من مدنها من مدارس متعددة . قال جيبون فى كلامه على حماية المسلمين للعلم فى الشرق والغرب ان ولاة الاقاليم والوزراء كانوا ينافسون الخلفاء فى اعلاء مقام العلم والعلماء و بسط اليــد فى الانفاق على اقامة بيوت العلم ومساعدة الفقراء على طلبه . وكان عن ذلك أن ذَوْق العلم ووِجْدان اللذة فى تحصيله انتشرا فى نفوس الناس من سَمَرْقَنْد وبُخَارَى الى فاس وقرطبة . أنفق وزير واحد لأحد السلاطين (هو نظام الملك) مائتى ألف دينار على بناء مدرسة فى بغداد وجعل لهـا خمسة عشر ألف دينار تصرف فى شؤونها كل سنة . وكان الذين يُغَذَّون بالمعارف فيها ستة آلاف تلميذ فيهم ابن أعظم العظماء فى المملكة وابن أفقر الصناع فيها . غير أن الفقير يُنفَق عليه من الرَّيع المخصَّص للمدرسة وابن الغنى يكتفى بمال أبيه والمعلمون كانوا يُنْقَدون أجورا وافرة اهـ

وجميع المدارس الطبيــة فى البلاد الاسلامية أخذت نظام امتحانها عن مدرسـة الطب فى القاهرة وكان من أشــد النظامات وأدقها . ولم

يكن لطبيب أن يمارس صناعته الا على شريطة أن تكون بعد شهادة بأنه فاز فى الامتحان على شذته . وأول مدرسة طبية أنشئت فى قارة أوربا على هذا النظام المحكم هى التى أنشأها العرب فى ساليرت من بلاد ايطاليا . وأول مرصد فلكى أقيم فى أوربا هو الذى أقامه العرب فى أشبيلية من بلاد الاندلس

وقد تعددت المراصد الفلكية فى البلاد الاسلامية شرقا وغربا ومن أشهرها مرصد بغداد المنشأ على قنطرتها وقد رصدت به عدة أرصاد وصححت جملة أزياج . ومرصد المراغة الذى أنشأه نصير الدين الطوسى بأمر هولاكو خان ولما أتم كوبلاى خان أخو هولاكو فتح الصين نقل مؤلفات علماء بغداد اليها . ومرصد سمرقند الذى أنشأه تيمورلنك . ومرصد دمشق الذى أنشأه الوغ بك مرزا محمد حفيد تيمورلنك وكان من أعلم علماء الفلك وله زيج مشهور معتبر الى هذا العصر . وكان بمصر مرصد جبل المقطم أنشأه ابن يونس الفلكى الشهير صاحب الزيج الحاكى

وأما دور الكتب فلم تكن عناية الدول الاسلامية بها أقل من عنايتهم بالمدارس فقد كان فى القاهرة فى أوائل القرن الرابع مكتبة تحتوى على مائة ألف مجلد منها ستة آلاف فى الطب والفلك لاغير . ومكتبة الخلفاء فى الاندلس بلغ مافيها ستمائة ألف مجلد وكان فهرسها

أربعة وأربعين مجلدا . وقد حققوا أنه كان ببلاد الاندلس وحدها سبعون مكتبة عمومية وكان فى هذه المكاتب مواضع خاصة للطالعة والنسخ والترجمة . وبعض الخاصة كانوا يولعون بالكتب ويجعلون ديارهم معاهد دراسة لما تحتوى عليه وأما ضخامة تآليفهم فما لايحصره العدّ وحسبك فى المشرق كتاب قيْد الأوابد للامام البَجْنَرِيهى المتوفى سنة ٥٥٩ من قرى خراسان فى ٤٠٠ مجلد وفى الاندلس لاحمد ابن آبان كتاب العالَم نحو ١٠٠ سفر بدأ فيه بالفَلَك وختم بالذّرّة والأعجب الأغرب كتاب فلك الأدب الذى تعاقب على تأليفه من جهابذة الاندلسيين ٦ فى ١١٥ سنة آخرها سنة ٦٤٥ هـ

ولقد أحرق أهل اسبانيا من الكتب الاسلامية بعد جلاء المسلمين عنها مايدهش لبيان عدده السامع ويحار المتأمل ويتوقف قلم الكاتب جاء فى المجلد الثالث من المقتطف وجه ٧ مانصه

ليقل لنا أهل اسبانيا أين الثمانون ألف كتاب التى أمر كردينالهم شيمنز بحرقها فى ساحات غَرْناطة بُعَيد استظهارهم عليها فأحرقوها وهم لايعلمون مايعملون حتى أفْنَوا على ماقال مؤرخهم ربلس ألف ألف وخمسة آلاف مجلد كلها خطها أقلام العرب . وليتهم يخبرون كم من كتاب لعبت به نيرانهم بعد ذلك حتى لم يبقوا من معارف العرب ولم

يذروا . ومايقولون عن السفن الثلاث التى ظفروا بها مشحونة بالمجلدات العربية الفخمة وطالبـة ديار سلطان مراكش فسلبوها وألقوا كتبها فى قصر الاسكوريال سنة ١٦٧١ ميلاديه (الموافقة سنة ١٠٨٢ هجرية) حتى لعبت بها النيران فأكلت ثلاثة أرباعها ولم يستخلصوا منها الا الربع الاخير . حينئذ استفاقوا من غفلتهم وعلموا كُبْر جَهَالتهم ففوضوا الى ميخائيل القصيرى الطرابلسى المارونى ترتيبها وكتابة أسمائها فكتب لهم أسماء ١٨٥١ كتابا منها فعلى مافى هـذه الكتب وما بقى فى أفريقية والمشرق قصَر أهل هذه الايام معارف العَرب وحتى هذه لم يستوعبوا جميع مافيها اه

وأما مكاتب بغداد فانه لما فاجأها التتار بالهجوم بعد قتل الخليفة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين جعلوا دأبهـم السلب والنهب وأخذوا كتب العلم التى كانت فى خزائنها وألقوها بدجلة فعبَرت عليها جنودهم .

فأضف هذه النفائس الى ماأحرقه أهلُ اسبانيا وتصوّر مقـدار ذلك كله ثم انسُبْ مابقى من الكتب الاسلامية الى ماأُتلف منها وتفكّر بعد ذلك فى ان هذه الملايين من الكتب انما خُطّت بالقلم قبـل أن تُعْرَف المطبعة واحكم بعـد ذلك وأنت منصف فى حكمك بأن العرب لم تسبقهم أمة اعتنت بالعلم اعتناءهم واهتمت به اهتمامهم

وتتميما للفائدة نذكر ما ورد فى مجلة المقتطف فى ستها الثالثة فى صفحة ٩١ و ٩٢ تحت عنوان فضل العرب وهو خاتمة مقال نشر فى تلك السنة فى بيان مآثر العرب وعلومهم وبعض علمائهم وقد اقتطفنا من هذا المقال الجامع شذرات ضمناها مقالنا السابع وهاهو ماذكر تحت هذا العنوان

فى القرون الوسطى قصد أهل أوربا مدارس الاندلسيين وكانت على غاية الاتقان وقرؤا العلم فيها ثم تزودوه منها الى بلادهم . ففى سنة ٨٧٣ للمسيح أمر هرتموت رئيس دير مارى غالن جماعة من رهبانه بدرس اللغة العربية لتحصيل معارفها . وكان الرهبان البندكتيون يطلبون العلوم العربية بشوق لامزيد عليه وأشهر من تعلم العلم من العرب البابا سلفستر الثانى وأصله رجل فرنسى يسمى جربرت طاف على قسم كبير من أوربا طالبا المعارف حتى دبت قدمه فى الاندلس فرتع فى مدارس اشبيليه وقرطبة وصرف الى العلوم رغبته فلما ساغها هنيئا عاد الى دياره وما زال يسمو على اقرانه حتى تنصب بابا فشاد للعلم مدرستين الاولى فى ايطاليا والاخرى فى ريمز وأدخل الى أوربا معارف العرب والأرقام الهندية التى نقلها عنهم . ثم ثارت الحمية فى أهل ايطاليا وفرنسا وجرمانيا وانجلترا فطلبوا الاندلس من كل فج عميق وتناولوا المعارف من أهلها . قال مونتكلا فى تاريخ العلوم الرياضية ولم يقم

من الأفرنج عالم بالرياضيات الا كان عله من العرب مدة قرون عديدة . فمن جملة من نقل عنهم المعارف من أهل ايطاليا دوكريمونا قرأ علم الهيئة والطب والفلسفة بطليطلة وترجم عنهم المجسطى وكتب الرازى والشيخ الرئيس الى اللاتينية وليونادار البيزى نقل عنهم الحساب والجبر وأرنولد الفيلانوفى نقل عنهم الهيئة والطبيعيات والطب . وممن نقل عنهم من الانجليز راهب اسمه بلارد وآخر اسمه مورلى وآخر اسمه سكوت وكذلك روجر باكون الشهير فان ماحصله من المعارف فى الكيميا والفلسفة والرياضيات انما استخلصه من كتبهم وقد اقتبس من أقوال الحسن فى البصريات ومثله فيتليو الذى اشتهر بالبصريات فانه أخذ كثيرا عن الحسن . ولما عرف ملوك الأفرنج قيمة معارف العرب أمروا بترجمة كتبهم ومنهم نقل شارلمان فردريك الثانى الجرمانى والفونس الثانى القسطلى . والخلاصة أن الأفرنج نقلوا عن العرب مما نقله العرب عن غيرهم أو استنبطوه بأنفسهم الفلسفة والهيئة والطبيعيات والرياضيات والبصريات والكيماء والطب والصيدله والجغرافية والزراعة والفراسة وأخذوا عنهم عمل الورق والبارود والسكر والخزف وتركيب الادوية ونسج كثير من المنسوجات وأدخلوا منهم الى بلادهم دود القز وكثيرا من الحبوب والاشجار كالأرز وقصب السكر

والزعفران والقطن والسبانخ والرمان والتين ونقلوا عنهم دبغ الاديم وتجفيفه وقد استرد الانجليز هذه الصناعة بعد فقدها من الأندلس بجلاء العرب عنها ولا يزالون يسمون الجلود المدبوغة بها (موركو وكردوفان) نسبة الى مراكش وقرطبة

ولا تزال الالفاظ العربية مستعملة فى أكثر مباحث الافرنج الطبيعيه كالسمت والنظير والسموت والمقنطرات وأسماء النجوم والكحول والقلى والجبر والقطن والشراب والكيمياء وغيرها . ولولا لغة العرب لبقيت لغة أهل اسبانيا قاصرة كما كانت فأسماء أوزانهم وأقيستهم أكثرها عربى محرف كالقنطار والربع والشبر وكذلك أسماء قطع الماء ونحوها كالبحيرة والبركة والجب والكهف وغيرها كثير

فالمولدون كانوا فى زمانهم حلقة من سلسلة العلوم اتصلت بها علوم الاولين بالمتأخرين ولولاهم لفقد أكثر المعارف ان لم نقل كلها وما أحسن قول جريدة مدرسة ادنبرج الكلية فى هذا المعنى

(انا لمدينون للعرب كثيرا ولو قال غيرنا خلاف ذلك فانهم الحلقة التى وصلت مدنية أوربا قديما بمدنيتها حديثا وبنجاحهم وسمو همتهم تحرك أهل أوربا الى احراز المعارف واستفاقوا من نومهم العميق فى الاعصار المظلمة . ونحن لهم مدينون أيضا بترقية العلوم الطبيعية

والفنون الصادقة النافعة وكثير من المصنوعات والمخترعات التى نفعت أوربا كثيرا علما ومدنية) اهـ

أما تاريخ العلوم والآداب العربية من ابتداء الدولة العباسية الى الآن فانه ينقسم الى أربع مدد كبيرة

المدة الاولى تبتدى بخلافة أبي جعفر المنصور وتنتهى بمنتصف القرن الرابع تقريبا فهى نحو ٢٠٠ سنة وهى المدة التى صعدت فيها العلوم والآداب الى ذروة مجدها وأوج عزها وفاضت فيها ينابيع المعارف على جميع البلاد الاسلامية فأينعت جنأها ودنت للقاطفين أفنانها . وفيها أشرقت شموس الائمة المجتهدين وأجلاء المحدثين وكبار علماء الدين وأئمة العربيـــة وفحول الشعراء وأعاظم الكتاب ورجال الآدب وغيرهم من أساطين العلماء

المدة الثانية تتلاقى مع المدة الاولى فى نهايتها وتنتهى بسقوط الدولة العباسية سنة ٦٥٦ وفى هذه المدة ضعف أمر الخلافة العباسية باستيلاء الديلم والسلجيوقيين على السلطـــة ولم يكن هؤلاء الاعاجم يعرفون من قدر العلم كما كان يعرف الخلفاء من العرب ففترت الهمم بعض الفتور واقتصر كثير من أهل العلم على النظر فى كتب من قبلهم ووشوها بالحواشى . غير أنه نبغ فى هذه المدة عدد كبير فى كل علم وفن لاسيما

العلوم الرياضية والفلسفية وكان ذلك من أثر تلك الجَذْوَة التى اشتعلت فى المدة الاولى ولم يُخْمِدها ضعف الخلفاء بل بقيت بعدهم زمنا يقتبس منها المقتبس حتى أطفأها التتار فى بغداد والبلاد التى اســتولوا عليهـا من آسية ثم دخلوا فى الاسلام فتألق بعض وميضها كما سبق

المدة الثالثة تبتدى بسقوط الدولة العباسية وتنتهى باستيلاء محمد على باشا على مصر سنة ١٢٢٠ وفى أول هذه المدة أعدمت المعارف العربية فى بلاد فارس وما وراء النهر وبقيت زاهية فى مصر قليلا بفضل الجامع الازهر كل هذه المدة وكذلك فى بلاد المغرب فى دولة السعديين والاشراف بعدهم وفى أواخر هــذه المدة كانت العلوم العربيــة فى آخر رمق من حياتهـا . ولكن كان يلوح فى اثنـاء ذلك الزمن بصيص من نور العلم والعرفان ثم يختفى فقد ظهر من أكابر العلمـاء أبو الفداء وابن خلدون والمقريزى وابن حجر والســيوطى وابن منظور صـاحب لسان العرب والمجد صـاحب القاموس وابن الوردى الفقيه

المدة الرابعة تبتدى باستيلاء محمد على باشا على مصر وفى هذه المدة أخذت المعارف والآداب تدب فيهـا الحياة وتنمو فى مصر والشام بفضل ما طبع وألف من الكتب المختلفة النافعة

امرؤ القيس

(المتوفى ســنة ٥٦٦ م)

هو امرُؤُ القَيس بن حُجْر الكِنْدى وأمه فاطمة وقيل تَمْلكُ بنت ربيعه ابن الحارث أخت كُلَيب ومُهَلْهِل وقد ذكرها فى قوله

ألاهــل أتاها والحوادثُ جَمَّةٌ * بأنّ امرأ القيس بنَ تَمْلكَ بيْقَرا

أى أقام بالحَضَر وترك أهْلَه بالبادية ومعنى (امرئ القيس) رَجُل الشدّة وقيل القَيس اسم صَنَم وقد وُلد ببلاد بنى أسَد ولما شبّ تعلق بالشعر ونبغ فيه وهو أول من استوقف على الطُلول وشبه النساءَ بالظباء والمَها وأجاد الاستعارة والتشبيه وكان أبوه مَلكَ بنى أسَد فعَسَفهم عَسْفا شديدا فتمالئوا عليه وقتلوه وقد كان طَرَد ابنَه امرأَ القيس لتشبيبه بالنساء فى شعره وتنقُّله فى أحياء العرب يستتبع صَعَالِيكهم وذُؤْبانَهم وبينما هو يشرب الخمر بأرض اليمن بلغه قتل أبيه فقال ضيعنى صغيرا وحمّلنى ثِقْل الثار كبيرا لاصَحْوَ اليوم ولاسُكْر غدًا اليَوْمَ خَمْرٌ وغدًا أمْرٌ ثم انه استنصر ببعض أقْيَال العَرَب ورؤساء القبائل ومازال يتتبع بنى أسَد حتى ظفر بهم وحصلت له بعد ذلك وقائع كثيرة ثم مات بجبل يقال له عَسِيب ودفن بأنقرة سنة ٥٦٦ م وأشهر شعره المعلقة الطائرة الصيت التى مطلعها

قفانَبْكِ من ذِكْرَى حبيب ومنزل * بسَقط اللوا بين الدَّخول فحَوْمَل

النـابغـــة الذّبيـــانى

(توفى ســـنة ٦٠٤ م)

اسمه زياد بن معاوية بن ضباب ينتهى نسبه الى ذبيان ثم لمضر ويكنى أبا أمامة وانما سمى النابغة لقوله

وحلت فى بنى القين بن جسر * وقد نبغت لهم منا شؤن

وهو أحد الاشراف المقدمين على سائر الشعراء .

وقال عبـد الملك بن مروان لما دخل عليه وفد الشام أيكم يروى من اعتذار النابغة الى النعمان

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب

فلم يجد فيهم من يرويه فأقبل على عمر بن المنتشر وقال له أترويه قال نعم فأنشده القصيدة كلها فقال هذا أشعر العرب

والنابغة هـذا كان خاصا بالنعمان ومن ندمائه وأهل أنســه ثم انه وشى به الى النعمان فهرب منه ولم يرجع اليه الا بعد أن بلغه أنه عليل لا يرجى فأقلقه ذلك ولم يملك الصبر على البعد عنه مع علته فسار اليه فألفاه محمولا على سرير ينقل مابين الغمران وقصور الحيرة فقال لعصام حاجبه

ألم أقسم عليـك لتخبرنى * أمحمول على النعش الهمام

فانى لا ألام على دخــول * ولكن ماوراءك ياعصـــام

فانْ يَهلكْ أبُو قَابُوسَ يَهلكْ * ربيعُ الناس والبَلَد الحَرَام
ونُمسكْ بعــده بذِنَابِ عيش * أجَبِّ الظَهْر ليس له سَــنَام

ومات النابغة الذبيانى على جاهليته ولم يُدْرِكْ الاســلام سـنة ٦٠٤ ميـــلادية

زُهَــــير بن أبى سُــــلْمَى

(توفى ســـنة ٦٣١ م)

هو أبو كَعْب وبُجَيْر واسم أبى سُلْمَى رَبيعة بن رِيَاح ينتهى نَسَبُه لنِزار وهو أحد الثلاثة المُقَدَّمين على سائر الشــعراء وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة الذُبْيانى وعن عمر بن عبــد الله اللَّيثى قال قال عمر بن الخطاب رضى اللهُ عنه فى مســيره الى الجابية بعد قصــة طويلة هل تروى لشاعر الشعراء شيأ قلت ومن هو قال الذى يقول

فَلَوْ كان حَمْدٌ يُخْلِد الناسَ لَمْ تَمُتْ * ولَـكنّ حَمْـدَ الناسِ ليس بمُخْلِدِ

قُلْتُ ذالكَ زهير بن أبى سُلْمَى قال هو شاعر الشــعراء قلت وبِمَ كان شاعر الشعراء قال لأنّه كان لايُعَاظِل فى الكلام وكان يتَجَنَّب وَحْشى الشــعْر وكان لايَمْدح أحدا الا بمـا هو فيه ولما سأل معاوية الأحنفَ ابنَ قَيْس عن أشعر الشعراء قال هو زهير قال وكيف ذالكَ قال بقوله

فما يَكُ من خير أتَوْه فانما * تَوَارَثَهُ آباءُ آبائهـــم قَبْـــل

وقال ابن الاعرابى كان لزهير فى الشـعر مالم يكن لغـيره كان أبوه شاعرا وهو شاعر وخاله شاعر وابناه شاعران وهما كَعْب وبُجَير وأخْته سُلْمى شاعرة وأخْتُه الخَنْساء شاعرة وكان زهير يُضْرَب به المَثَل فى التنقيح فيقال حَوْلِيّات زهير لأنه كان يعمَل القصيدة ويَعرضها فى سَنة كاملة

أمَيّـــة بن أبى الصَّلْت

(توفى ســنة ٩ هـ)

ينتهى نَسَـبُه الى ثَقِيف وأُمُّه رُقَيّة بنت عبد شمس وهو من أهل الطائف ومن أكبر شـعراء الجـاهلية وكان ينظر فى الكتب ويقرؤها ويقـال انه حرّم الخمَر وشـكّ فى الأوثان والتمس الدين وطمع فى النُّبُوّة لأنه قرأ فى الكتب أن نَبِيّا يُبْعَث من العرب وكان يطمع أن يكون هو فلما بُعث النبى صلى الله عليه وسلم حَسَده وقال كُنت أرجو أن أكونه ويُنسب اليه أنه هو القائل

كُلُّ دِين يوم القيامة عند الله إلاّ دينَ الحَنيفـــة زُورُ

وأغْلب شعره متعلّق بذِكْر الآخرة حتى قال الاَصْمَعِىّ ذهب أمَيّة فى شعره بعامّة ذِكْر الآخرة ولكن يقال انه مات ولم يُسْلِم ومما قال فى مرض موته

كُلُّ عيش وان تَطَاوِل دَهْرا * منتَهى أمْره الى أن يَزُولا

ليتَنى كنتُ قبْل ماقَد بَدَالِى * فى رؤس الجبال أرْعَى الوُعُولا

ويقال انه قَضَى نَحْبَه فى قصر من قصور الطائف سنة ٩ هجرية

ومن شعره قصيدته فى الفخر التى يقول فيها

وَرِثنا المَجْدَ عن كُبْرَى نِزَارٍ * فأَوْرَثْنـا مَآثِرَنا بَنِينـا

الخَنْســاء .

(توفيت ســنة ٢٤ هـ)

اسمُها تُمَاضِرُ بنت عَمْرو بن الشَّرِيد ينتهى نَسَبُها لمُضَرَ والخنساء لَقَب غَلَب عليها وقد أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم يكن امرأة قطّ قَبْلَها ولا بعدها أشْعر منها ووَفَدَتْ على رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم مع قَوْمها فأَسْلَمَتْ معهم وكان رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم يَسْتَنْشدها ويُعْجبه شِعْرُها وكانت تُنْشده وهو يقول هِيهِ يا خُنَاس ولمّا بَلَغَها استشهاد بنيها الاربعة يوم القادسيّة بعد تحريضها لهم على القتال قالت الحمد لله الذى شرّفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يَجْمَعَنى معهم فى مُسْتَقَرّ رَحْمَته

سيدنا حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه

جدّه المُنْذر الخَزْرَجىّ ويُكْنَى أبَا الوَلِيد وهو من فحول الشعراء وقد قيل أنه أشعر أهل المَدَر وكان أحد المُعَمَّرِين المُخَضْرَمِين عَمّر مائة وعشرين سنة نصفها فى الجاهلية ونصفها فى الاسلام وكذا أبوه وجدّه

وأبو جدّه لايُعرف فى العَرَب أربعــة تَنَاسَلُوا من صُلْب واحد وعاش كُلُّ منهم ١٢٠ سنة غَيْرهم وعن أبى عُبَيدة قال فَضَل حَسَّان بن ثابت الشُّعَراءَ بثلاثة كان شاعر الانصار فى الجاهلية وشاعر النبى صلى الله عليه وسلم فى النُّبُوّة وشاعر اليَمَن كُلِّها فى الاسلام وفَضْله أوسع من أنْ تحيط به التآليف وكانت وفاته بالمدينة المنوّرة قبل الأربعين من الهجرة فى خلافة سيدنا علىّ رضى الله تعالى عنه

الأخطـــل

(توفى ســنة ٧١٢ م)

هو أبو مالك غِيَاث بن غوث بن الصَّلت من تَغْلِب قال أبوعبيدة ان سبب تلقيبه بالأخطل أنه هجا رجلا من قومه فقال له ياغلام انك لأخطل (أى سفيه) وكان نصرانيا من أهل الجزيرة ومات على دينه مع مخالطته لملوك المسلمين وأمرائهم وحُظْوَته لديهم وهو وجرير والفرزدق من طبقة واحدة وان اختلف الناس فى التفضيل بينهم وقد عاشوا كلهم فى زمن واحد وان كان الأخطل أكبَرهم سنًّا وقد كان يفضّل الأعشى فى الشعْر على نَفْسه وقال جَرير وقد سأله ابنه عن الأخطل أدْرَكْتُه وله نَابٌ واحد فلو أدركت له نابَين لأكَلَنى . ومما يحكى عن الأخطــل أنه طلّق امرأته وتزوّج بمُطَلَّقَة أعْرَابِىّ فبينما هى معــه اذ ذكرت زَوْجَها الأول فتنفست فقال

كـــلانا عَلَى هَمٍّ يَبِيت كأنّما * بجَنْبَيه من مَسّ الفِرَاش قُرُوح
عَلَى زوجها الماضي تَنُوح وإنّني * على زوجتي الأُخرى كذالكَ أنُوح

وقد كانت منزلة الأخطل عند عبد الملك بن مروان رفيعة يذكره اذا غاب ويقرّبه اذا حضر وله كثير من النوادر يضيق المقام عن ذكرها وكانت وفاته سنة ٧١٢ ميلادية

جـــــرير
(توفى ســـنة ١١٠ هـ)

هو ابن عطية بن الخَطَفَى وهو لقبه واسمه حُذَيفة بن بدر بن عوف ابن كُلَيب ينتهى نَسَبه لنزار ويكّنَى أبا حَزْرَة وهو والفَرَزْدَق والأخطل المقدّمون على شعراء الاسلام الذين لم يُدرِكُوا الجاهلية ولم يتعرّض لهم أحد من شعراء عصرهم إلا سَقَط وافتضح وكان أبو عمرو يُشَبّه جَرِيرا بالأعْشَى والفَرَزْدَق بزُهَير والأخطل بالنابغة وقد حَكَم مَرْوانُ بن أبى حَفْصة بين الثلاثة بقوله

ذَهَبَ الفَرَزْدَقُ بالفَخَار وإنّما * حُلْوُ الكلام ومُرُّهُ لجَـــرِير
ولقد هَجَا فأمَضّ أخْطَلُ تَغْلب * وحَوَى اللُّهَى بمديحه المشهور

فهو كما تراه حكم للفرزدق بالفَخَار وللأخطل بالمدح والهجا وبجميع فنون الشعر لجرير ومن كلامه فى الفخر

اذا غضبت عليكَ بنو تميمٍ * لقيتَ القومَ كلَّهُمُ غضابا

وقال يهجو بنى نُمير

فغُضّ الطرْفَ إنّكَ من نُميرٍ * فلا كعبًا بلغْتَ ولا كلابا

تُوفّى سنة ١١٠ هجرية

الفـــــــــرزدق

(توفى ســـنة ١١٠ هـ)

هو هَمّام ابن غالب بن صَعْصَعة التّميمى وكان أبوه من سَرَاة قومه ورَوَى الفَرَزْدق رحمه الله عن على بن أبى طالب وأبى هُرَيرة والحُسَين وابن عُمر وأبى سعيد الخُدْرى ووَفَد على الوَليد وسليمان ابنَىْ عبدالمَلِك ومدحهما

رَوَى معاوية بن عبدالكريم عن أبيه قال دخلت على الفرزدق فتحرّك فاذا فى رجليه قَيْد قلت ماهذا ياأبا فراس قال حَلَفْت أن لاأُخْرِجه من رِجْلى حتى أحفَظ القرآن واختَلَفت الناس فى المفاضلة بينه وبين جرير والاكثرون على أن جريرا أشعرُ منه وقد أنصف الأصفهانى حيث قال من كان يَميل الى جودة الشعر ونخامته وشدّة أسْره يُقَدِّم الفرزدق ومن كان يميل الى الكلام السَمْح الغَزِل يقدّم جريرا وله القصائد الغَرّاء فى الرثاء والفخر والهجو والمدح فمن ذلك قصيدته المشهورة فى مدح زين العابدين التى مطلعها

هذا الذى تَعرف البَطْحاءُ وَطْأَته * والبيت يعرفه والحِلّ والحَرَم

تُوفِّى سنة ١١٠ هجرية

عبد الحميد الكاتب

(توفى سنة ١٣٢ هـ)

هو أبو غالب عبد الحميد بن يحيى الكاتب البليغ المشهور وبه يُضْرَب المَثَل فى البلاغة حتى قيل فُتِحت الرسائل بعبد الحميد وخُتِمت بابن العَميد وكان فى الكتابة وفى كل فن من العلم والأدب إماما وهو من أهل الشام وكان أولا مُعَلِّم صِبْية ينتقل فى البُلْدان وعنه أخَذَ المُتَرَسِّلون ولطريقته لَزِموا ولآثاره اقْتَفَوْا وهو الذى سهّل سبيل البلاغة فى التَّرَسُّل وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات فى فصول الكتب فاستعمل الناس ذلك بعده وكان كاتبَ مَرْوان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموى آخر ملوك بنى أُمَيّة المعروف بالجَعْدى فقال له يوما وقد اهدَى له بعضُ العُمّال عَبْدًا أسْوَد فاستَقَلَّه اكْتُب الى العامل كتابا مُخْتَصَرا وذُمّه على ما فَعَل فكتب اليه لو وجَدْتَ لونا شرًّا من السَّواد وعَدَدًا أقَلّ من الواحد لأهْدَيْتَه والسلام ومن كلامه أيضا القَلَم شجرة ثَمَرَتُها الألفاظ والفكر بَحْرٌ لُؤْلُؤُه الحكمة وله رسائل بليغة وكان حاضرا مع مروان فى جميع وقائعه عند آخر أمره وقُتِل معه سنة ١٣٢ بقرية يقال لها بُوصِير من أعمال الفيوم بمصر

الامام أبو حنيفة النعمان

(٨٠ – ١٥٠ هـ)

هو ابن ثابت كان خزّازا يبيع الخزّ وقال الخطيب فى تاريخه ان أبا حنيفة أدرك أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وهُمْ أنَسُ بن مالك وعبدالله بن أبى أوْفَى بالكوفة وسَهْل بن سَعْد الساعدى بالمدينة وأبو الطُّفَيْل عامرُ بنُ وَاثلةَ بمكة ولم يأخذ عن أحد منهم ولم يَلْقَه كما قرَّر ذلك أهلُ النقْل وذكر الخطيب فى تاريخ بغْداد أنَّه أخَذ الفقْه عن حمّاد بن أبى سليمان وروى عنه عبدالله بن المبارك والقاضى أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشَّيْبانى وغيرهم

وكان رحمه اللهُ عالما عاملا زاهدا عابدا وَرِعًا كثير الخُشوع دائم التَضَرُّع الى الله تعالى ونَقَله أبو جعفر المَنْصور من الكوفة الى بغداد على أن يُوَلِّيه القضاءَ فأبَى وهو يقول له اتّق الله ولا تُرْعِ فى أمانتك الّا مَنْ يَخاف الله والله ما أنَا مَأمون الرِّضا فكيف أكون مأمونَ الغَضَب فقال له المنصور كذَبْتَ أنْتَ تصلح فقال له قد حَكَمْتَ لى على نَفْسك كيف يَحِلّ لك أن تُوَلِّى قاضيا على أمَانَتك وهو كذّاب وقيل انه تولى القضاء أياما قليلة بعد إهانة لَحِقَتْه بسبب امتناعه ثم تُوُفِّى عقبها وكان رضى اللهُ عنه شديدَ الكَرَم حَسَنَ المُواساة لاخْوانه ومن أحْسَن

الناس مَنْطقا وأحْلاهم نَغْمة وُلد سنة ٨٠ هجرية وتوفى سنة ١٥٠ وكانت وفاته ببغداد فى السجن لَيلى القَضاء وقيل انه لم يمت فى السجن وتُوُفى فى اليوم الذى وُلد فيه الامامُ الشافعى رضى الله عنه

بشار بن برد

(توفى سنة ١٦٧ ﻫ)

هو أبو معاذ بَشّار بن بُرْد الشاعر المشهور بَصْرى قدم بغداد وأصْلُه من طُخَارُسْتَانَ من سَبْىِ المُهَلَّب بن أبى صُفْرة وكان أكْمَهَ وُلد أعْمى وهو فى أوّل مَرْتَبة المُحْدَثين من الشُعَراء المُجيدين فمن شعره فى المَشُورة قصيدته المشهورة التى مطلعها

اذا بَلَغَ الرأىُ المَشُورةَ فاسْتَعِن * بحَزْمِ نصيحٍ أو نصيحة حازمِ

ومن شعره أيضا قوله

ياقوم أُذْنى لبعض الحَىّ عاشقة * والأذن تعشَق قبل العين أحيانا

قالوا بمن لاتَرَى تَهْذى فقلت لهم * الأُذْن كالعَيْن تُوفى القَلْبَ ما كانا

وكان يمدح المهدى بن المنصور أمير المؤمنين ورُمى عنده بالزَنْدَقة فأمر بضَرْبه فضُرب سبعين سوطا فمات من ذلكَ بالقُرْب من البَصْرة فجاء بعض أهله فحمله الى البصرة ودفنه بها وذلك سنة ١٦٧ وقد نيف على تسعين سنة

الامام مالك

(٩٥ – ١٩٧ هـ)

هو الامام أبو عبـــد الله مالك بن أنَس بن مالك بن أبى عامر الأَصْبحى نسـبة لذى أصْبَح من الأذْواء مُلوك اليَمَن إمام دار الهجْرة وأحَـد الائمة الأعْلام أخَـذَ القراءة عن نافع بن أبى نُعَـيم وأخَـذ العلم عن رَبيعة الرَّأى وأفْتَى معه عند السلطان وقال مالك قَلَّ رجل كُنْتُ أتعَلَّم منه مامَات حتى يَجيئَنى ويَسْتَفْتِيَنى وقال ابن وهْب سمعت مناديا ينادى بالمدينة ألَا لايُفْتِى الناسَ إلا مالك بن أنس وابن أبى ذئْب وكان مالك رضى الله عنه اذا أراد أن يُحَدّث توضأ وجلس على صدر فراشه وسَرَّح لحْيَتَه وتَمكَّن فى جُلُوسه بِوَقَار وهَيْبَة ثم حَدّث فقيل له فى ذلك فقال أُحبّ أنْ أُعَظّم حَديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أُحَدّث به إلا متمكنا على طهارة وكان يكره أن يُحَدّث على الطريق أو قائما أو مُسْتَعْجِلا وكان لايركب فى المدينـة مع ضَعْفه وكِبَر سـنّه ويقول لا أركب فى مدينـة بها جُثّة رسول الله صلى الله عليه وسلم مَدْفُونَة وقال الواقدى كان مالك يأتى المسجدَ ويَشْهد الصلوَات والجُمعة والجَنائز ويَعُود المَرْضَى ويَقْضى الحُقُوق ويَجْلس فى المسجد ويَجْتَمع اليه أصحابُه وكانت ولادته سنة ٩٥ هجرية وتُوُفّى سنة ١٧٩ بالمدينة ودُفن بالبَقيع

سيبويه

(١٢١ - ١٨٨ ﻫ)

وُلِدَ ونَشَأَ بقَرْية من قُرَى شيرازَ تُعْرَف بالبيضاء وكان ميلاده سنة ١٢١ وقيل بعد ذلك ثم قَدِم البَصْرة لتَلَقّي الحديث وروايته ويقال أنه بَيْنَما هو يَسْتَمْلي عَلَى حَمّاد قَوْلَ النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم ليس من أصحابي إلّا وقد أَخَذْتُ عليه ليس أبا الدَّرْداء قال سيبويه أبو الدرداء بالرفع ظانّاً انه اسمُ لَيس فقال حماد لَحَنْتَ ياسيبويه ومن ثَمّ عَكَفَ على الاشتغال على الخليل بن أحمد وغيره وأخذ اللُّغَة عن الأخْفش الأكبر ولم يَزَل مشتغلا حتى صار إمامَ الائمة في علوم اللغة ووَضَع كتابه في النحو الذى هو مَرْجع علماء النحو وتوفي سنة ١٨٨ على المشهور

الكسائي

(توفي سنة ١٨٩ ﻫ)

هو أبو الحسن عَليّ بن حمزة الكُوفي المعروف بالكِسائي أحَدُ القُرّاء السبعة كان اماما في النحو واللغة والقراءات ولم يكن له في الشعْر يَدٌ حتى قيل ليس في علماء العربية أجْهَل من الكسائي في الشعر وكان يُؤدب الأمينَ بنَ هارون الرشيد ويُعَلّمه الأدَبَ ورَوَى الكسائي عن أبي بكر بن عَيّاش وحمزة الزّيات وابن عُيَيْنة وغيرهم وروى عنه الفَرّاء

وأبو عُبَيد القاسم بن سلاّم وغيرهما وتوفى سـنة ١٨٩ بالرَّىّ وكان قد خرج اليها صُحْبة هارون الرشيد ويقال ان الرشـيد كان يقول دَفَنْتُ الفقْه والعربية بالرَّىّ لوفاة محمد بن الحَسَن الفقيه الحنفى يومئذ

أبو نُوَاس

(١٤١ – ١٩٨ هـ)

هو أبو على الحسن بن هانئ الشاعر المشهور كان جَدّه مَوْلى الجَرّاح ابن عبدالله الحَكَمىّ والى خُرَاسَان قيل انه ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج الى الكوفة ورُوى أنّ الخَصيب صاحب مصر سأل أبا نُوَاس عن نَسَبه فقال أغْنانى أدَبِى عن نَسَبِى وما زالت العلماء والاشراف يروون شعره ويَتَفَكّهُون به ويُفَضّلونه على أشعار القُدَماء وكان من أجود النـاس بَديهة وأرَقّهم حاشيةً حتى قال الجاحظ لا أعرف بَعْد بَشّار مُوَلّدًا أشْعَرَ من أبى نُوَاس

وكان أبو نُوَاس يعجبه شعر النابغة ويُفَضّله على زُهَير تفضيلا شديدا وكان المأمون يقول لو وَصَفَت الدنيا نَفْسَها لَمَا وَصَفَتْ بمثل قول أبى نواس

ألاَ كُلُّ حَىّ هَـالكٌ وابن هـالكٍ * وذُو نسَب فى الهالكين عَرِيق
اذا امْتَحَن الدُّنْيا لَبِيبٌ تـكَشَّفَتْ * له عن عَدُوّ فى ثِيـاب صَديق

وكانت وفاته سنة ١٩٨ ببغداد

الامام الشـافعي

(١٥٠ – ٢٠٤ هـ)

هو الامامُ أبو عبد الله محمد بن أدريسَ بن العباس القُرَشي يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عَبْد مَنَاف وكان رحمهُ اللهُ كثيرَ المَنَاقب جَمّ المَفَاخِر مُنْقَطِع القَرِين اجتَمَع فيه من العُلُوم بكتاب الله وسنّة الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة رضى الله عنهم وآثارهم وغير ذلك من معرفة كلام العرَب واللُّغَة العَرَبية والشِّعْر حتى انّ الاَصْمَعِيّ مع جلالة قدره فى هذا الشأن قرأ عليه أشعار الهُذَليّين مالم يَجْتَمع فى غيره حتى قال أحْمد بن حَنْبَل رضى اللهُ عنه ماعَرَفْتُ نَاسِخ الحَديث من منسوخه حتى جَالَسْتُ الشافعيّ وقال رضى اللهُ عنه قَدِمْت على مَالكَ بن أنَس وقد حفظْتُ المُوَطَّأ فقال لى أحْضِرْ مَن يَقْرَأ لكَ فقلت أنَا قارئ فقرأت عليه الموطأ حفظا فقال إن يَكُ أحَدٌ يُفْلِح فهذا الغُلاَم وكان سُفْيان بن عُيَيْنَة اذا جاءه شئٌ من التَفْسير أو الفُتْيا الْتَفَت الى الشافعي فقال سَلُوا هذا الغُلاَم وقال أحْمَد بن حنبل ماأحَدٌ مِمّن بيدهِ مَحْبَرةٌ أوْ وَرَق إلاّ والشافعِيّ فى رَقَبَته مِنّة فَفَضَائله أكْثر من أن تُعدّ وُلِدَ سنة ١٥٠ وقيل إنّه وُلد فى اليوم الذى تُوُفّيَ فيه الامام أبو حَنيفة وكانت ولاَدَتُه على الاصَحّ بمدينة غَزّة وحُمِل منها الى مكّة

وهو ابن سنتين فنشأ بها وقرأ القرآن الكريم وقدم بغداد سنة ١٩٥ فأقام بها سنتين ثم خرج الى مكة ثم عاد الى بغداد ثم خرج الى مصر ولم يزل بها الى أن توفى سنة ٢٠٤

الفـــــراء

(١٤٤ – ٢٠٧ هـ)

هو أبو زكرياء يحيى بن زياد الاسلمى المعروف بالفراء الديلمى الكوفى كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الادب وحكى عن أبى العباس ثعلب انه قال لولا الفراء لما كانت عربية لانه خلصها وضبطها ولولاه أيضا لسقطت لانها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد وتتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب أخذ النحو عن أبى الحسن الكسائى ولما اتصل بالمأمون أمره أن يؤلف مايجمع أصول النحو وما سمع من العربية فصنف الحدود وأمر المأمون بكتبه بالخزائن ثم ألف كتب المعانى وله كتابان فى المشكل وله كتاب اللغات وكتاب الجمع والتثنية فى القرآن وكتاب الوقف والابتداء وغير ذلك من الكتب وتوفى سنة ٢٠٧ فى طريق مكة وعمره ٦٣ سنة

أبو العتاهية

(١٣٠ - ٢١١ هـ)

هو أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم المعروف بأبى العَتَاهَيَة الشاعر المشهور وُلد سـنة ١٣٠ ببلدة تُسَمَّى عَيْنَ التَّمْر بالحجاز قُرْبَ المَدينة المُنَوَّرة ونَشَأ بالكوفة وسكَن بَغْـدَاد ومن شِعْره فى حضرة الخليفة المهدى

أَتَتْـه الخِلاَفـةُ مُنْقَادَةً * اليْـه تُجَـرِّرِ أذيَالَها
فَلم تَكُ تَصْلُحُ إلاّ لَهُ * ولَمْ يَكُ يَصْلُحُ إلّا لَها
ولو رَامَها أحَـدٌ غَيْره * لزُلْزِلَت الارضُ زِلْزَالَها
ولولَمْ تُطعْه نِيَاتُ القُلوب * لمَا قَبِـلَ اللهُ أعْمَالَهَا

وله فى الزُهْد أشعار كثيرة وهو من مُقَدَّمى المُوَلَّدين فى طَبَقة بَشّار وأبى نُوَاس وتُوُفّى سنة ٢١١ ببغداد وقبل وفاته قال أشْتَهى أن يجىء مُخَارِقُ المُغَنّى ويُغَنّى عند رأسى بهذين البيتين

اذا ما انقضَت عَنّى من الدهر مُدَّتى * فانَّ عَـزَاء الباكِيَات قَليـلُ
سَيُعْرَض عَنْ ذِكْرى وتُنْسى مَوَدَّتى * ويَحْدُث بعـدى للخَليـل خَليـلُ

الأَصْمَعِي

(١٢٢ - ٢١٦ هـ)

هو أبو سَعيد عبد المَلِكْ بن قُرَيْب وأَصْمَعُ جَدُّه الخامس وينتهى نَسَبه الى مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ وهو من أهل البِصْرة وقَدِمَ بَغْـداد فى خلافة هارون الرشيد ثم عاد الى البصرة ولما كانت خلافة المأمون دعاه اليه فلم يُجِب واحْتَجّ بكِبَر سنّه وضَعْف قُوّته فكان المأمون يَجْمَع المُشْكِلَ من المسائل ويرسلها اليه لِيُجِيب عنها

وقد كان الأَصْمَعِيّ اماما فى اللغـة والغرائب والمُلَح كثيرَ الحِفْظ قَوِيّ الذاكرة حتى قال بعضهم انه كان يحفظ ستة عشر ألف أُرْجوزة وقد ألّف نحو الاربعين كتابا أغلَبُها فى اللغة وما يختص بها

ومما يحكى عنه أنه اجتمع مع أبى عُبَيدة عند الفضل بن الربيع وقد ألّف كلٌّ منهما كتابا فى الخيل فسُئل الاصمعى عن كتابه فقال هو مُجَلَّد واحد وسئل أبو عُبَيدة عن كتابه فقال خمسون مُجَلّدا فقيل له قُمْ الى هذا الفَرَس وأمْسِكْ كلّ عُضْو منه وسَمّه فقال لستُ بَيْطارا وانما أخَذْت هذا عن العرب فقيل للاصمعى قُمْ أنْتَ وافْعَل فقام وجَعَل يَضَع يَدَه على كلّ عُضْو ويُسَمّيه ويُنْشِد ما قالت العرب فيه فلما فَرَغ أُعْطِى الفَرَس ويقال انه كان اذا أراد اغاظة أبى عبيدة يأتى اليه راكبا تلك الفَرَس وتُوُفِّى سنه ٢١٦ بالبِصْرة

أبو تمام

(١٨٨ - ٢٣١ هـ)

اسمُه حَبِيب بن أَوْس بن الحارث ينتهى نسبه الى طيئ ولد سنة ١٨٨ ونشأ بمصر وقد قيل انه كان يَسقِي الماءَ بالجَرّة فى جامع مصر وقيل كان يَخْدُم حائكا ويعمَل عنده ثم اشتغل وتنقّل الى أن صار واحد عصره فى ديباجة لفظه وفصاحة شعره وحُسْن أُسْلوبه وكان له من المحفوظات مالا يلحقه فيه غيره حتى قيل انه كان يحفظ أربعة عشر ألف أُرْجُوزة للعَرَب غيْرَ المَقَاطيع والقصائد وله كتاب الحَماسة الذى دَلَّ على غَزَارة فضله واتقان معرفته وحُسْن اختياره وله مجموع سَمّاه فُحُولَ الشعراء جَمَع فيه طائفة كثيرة من شعراء الجاهلية والمُخَضْرَمين والاسلاميين وتوفى سنة ٢٣١ هجرية

الامام احمد بن حنبل

(١٦٤ - ٢٤١ هـ)

هو أحمد بن محمد بن حَنْبَل ينتهى نَسَبُه الى عَدْنَان وُلِدَ فى بغداد سنة ١٦٤ وكان إمَامَ المُحَدِّثين صنّف كتابه المُسْنَد وجمع فيه من الحديث مالم يتّفق لغيْره وكان يحفظ أحاديثَ كثيرةً وكان صاحبَ الامام الشافعى رضى الله عنه ومن خواصّه ولم يَزَل مُصَاحِبَه الى أن

ارتحل الشافعي الى مصر وقال في حقه خَرَجْتُ من بغداد وما خلّفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل ودُعي الى القول بخلْق القرآن فلم يُجب فضُرب وحُبس وهو مُصرّ على الامتناع أخَذَ عنه الحديث جماعة من الأماثل منهم محمد بن اسماعيل البخاري ومُسْلِم بن الحجاج النيسابوري ولم يكن في آخر عَصْره مِثْلُه في العلْم والوَرَع توفي سنة ٢٤١ ببغداد

البخـــــارى

(١٩٤ - ٢٥٦ هـ)

هو أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن البخاري الحافظ الامام في علم الحديث صاحب الجامع الصحيح والتاريخ رَحَل في طَلَب الحديث الى أكثر مُحدّثي الامصار وكَتَب بخُراسانَ والجبال ومُدن العراق والحجاز والشام ومصْر وقَدم بغداد واجتمع اليه أهلها واعترفوا بفضله وشهدُوا بتفرّده في علْم الروَاية والدرَاية وحَكَى أبو عبد الله الحُميدي في كتاب جَذْوة المُقْتَبِس والخطيب في تاريخ بغداد أن البخاري لما قدم بغداد سمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعَمدوا الى مائة حديث فقَلَبوا مُتُونَهَا وأسَانيدَها وأعْطوْها لعشرة أنْفُس وأمَرُوهم اذا حضروا المجلس أن يُلْقُوا ذلك على البخاري وأخَذُوا الموْعِد للمجلس وقد حضره كثير من أصحاب الحديث فلما اطمأنّ المجلس بأهله انتدب اليه واحد من العشرة

فسأله عن حديثٍ من تلك الاحاديث فقال لاأعرفه ثم سأله عن آخر فقال لا أعرفه أيضا وهكذا حتى انتهى الجميع فلمّا علِم البخارى أنّهُم فرَغوا التفتَ الى الاوّل منهم وقال له أما حديثك الاوّل فهو كـــذا وحديثك الثانى فهو كذا والثالث والرابع على الوَلَاء حتى أتمّ العشرة وفَعَل بالآخَرِين كذلك وردّ مُتُونَ الأحاديث كلّها الى أسَانيدها وأسانيدها الى متونها فأقرّ له الناس بالحفْظ وأذْعَنُوا له بالفَضْـل ورَوَى عنــه أبُو عيسى الترْمذى وولُد سنة ١٩٤ وتوفى سنة ٢٥٦

مســــلم

(٢٠٦ – ٢٦١ هـ)

هو أبو الحُسَـين مُسْـلم بن الحَجاج بن مسلم القُشَيْرى النَّيسَابُورى صاحب الصحيح أحَد الأئمـة الحُفَاظ وأعْلام المُحدّثين رَحل الى الحجاز والعراق والشام ومصر وسمع يحيى بن يحيىَ النيسابورى واحمد بن حنبل وغيرهما وقدم بغــداد غيرَ مَرّة فروَى عنه أهلُها وقال الحافظ أبو على النيسابورى ماتحت أديم السماء أصَحّ من كتاب مسلم فى علْم الحديث وتُوفّى مسلم المذكور سـنة ٢٦١ بنيسابور وعُمْره خمس وخمسون سـنة وقال ابن الصلاح انه ولد سنة ٢٠٢

ابن الرومي
(٢٢١ – ٢٨٤ هـ)

هو أبو الحسن علي بن العباس الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكامنها ويبرزها في أحسن قالب وكان اذا أخذ المعنى لايزال يستقصي فيه حتى لايدع فيـــه فضلة ولا بقيـــة ومن كلامه وهو في مرض موته وكان الطبيب يتردد اليـــه ويعالجه بالأدوية النافعـــة فزعم انه غلط في بعض العقاقير قوله

غلط الطبيبُ عليَّ غلطةَ موردٍ * عجزت مواردُه عن الاصدار

والناسُ يلحَوْنَ الطبيبَ وانما * غلطُ الطبيبِ اصابةُ الأقدار

وكانت ولادته ببغداد سنة ٢٢١ وتوفي سنة ٢٨٤ .

ابن دريد
(٢٢٣ – ٣٢١ هـ)

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيد بن عتاهيـــة ينتهي نسبُه الى قحطان كان امام عصره في اللغة والادب والشعر وقال المسعودي في كتاب مروج الذهب في حقه كان ابن دريد ببغداد ممن برع في زماننا في الشعر وانتهى في اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها وكان يذهب في الشعر

كل مذهب وله تصانيف مشهورة منها كتاب الجَمْهَرة وهو من الكتب المعتبرة فى اللغة وكتاب الاشتقاق وكتاب السَّرْج واللِّجام الى غير ذلك من الكتب الجليلة وكانت ولادته بالبصرة سنة ٢٢٣ ونشأ بها وتعلَّم فيها وأخذ عن أبى حاتم السجستانى والرِّياشى وغيرهما ثم انتقل مع عمه الحُسَين الى عُمَانَ وأقام اثنتى عشرة سنة ثم عاد الى البصرة ثم خرج الى نواحى فارس ثم الى بغداد ومات بها سنة ٣٢١ ورثاه أحد البرامكة وهو جَحْظة بقوله

فَقَــدْتُ بابن دُرَيد كلَّ فائدة * لمَّا غـدا ثالثَ الأحجار والتُّرُبِ
وكُنْتُ أَبْكِى لفَقْـدِ الجُود مُنْفَرداً * فصرْتُ أَبْكِى لفقْد الجُود والأدَبِ

ابن عبد ربه

(٢٤٦ – ٣٢٨ هـ) (٨٦١ – ٩٤٠ م)

هو الفقيه العالم أبو عُمَر احمد بن عبد رَبِّه وقد اشتهر بأدبه فى الاندلس واتصلت شهرته الى الشرق وقد زاد فى شهرته وأبقى ذكره الآن كتابُ العقد الفريد المعروف فى الادب وقد عمّر أكثر من اثنتين وثمانين سنة كما يؤخذ من قوله فى قصيدته

ومالىَ لا أَبْكى لسَبْعينَ حِجَّةً * وعَشْرٍ أتت من بعدها سَنَتَان
ولسْتُ أُبَالِى من تَبَارِيحِ علَّتى * اذا كان عَقْـلِى باقِيًا ولسَانى

أبو الطيب المتنبي

(٣٠٣ – ٣٥٤ هـ)

اسمهُ أَحْمد بن الحســين بن الحسن الكِنْدى الكوفى المتنبي الشـاعر المشهور وانما قيــل له المتنبي لأنه ادّعى النُّبُوّة فى بادية السّماوة وتبعه خَلْق كثـير من بنى كَلْب وغيرهـم فخرج اليــه لؤلؤ أمير حِمْص نائب الاخْشـيديّة فَأَسَرَه وتَفَرّق أَصْحابه وحَبَسَه طويلا ثم استتابه وأطلقه ولمـا أُطْلق من السجن الْتحق بالأمير سيف الدولة ثم فارقه ودخل مصر سنة ٣٤٦ ومدح كافورا الاخشـيدى ولمّا لم يُرْضه هَجَاه وقصـد بلاد فارس ومدح عَضُد الدولة بن بُوَيْه فأَجْزَل صلَتَه ولمّا رجع من عنده عَرَض له فاتكُ بن أبى جهل الأَسَدى فى عدّة من أصحابه فقاتله فقُتل المتنبي وابْنُه وقيل ان السّبب فى قَتْله عضد الدولة لأنه لمّا وَفَد عليــه وَوَصَلَهُ بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مُسْرَجة مُحَلّاة وثياب مُفْتَخَرة دَسّ عليه مَن سأله أيْنَ هــذا العطاء من عطاء سـيف الدولة فقال له هذا أَجْزَل الا أنه عَطاءٌ مُتَكَلَّفٌ وسيفُ الدولة كان يُعْطى طَبْعًا فغضب عضد الدولة من ذلك وَجَهّز عليه قَوْما من بَنى ضَبّة فقَتَلُوه بعد أن قاتل قتالا شديدا وقد قال له غلامه لمّا انهزم أين قولك

الخيل والليـل والبَيْداء تَعْرفُنى * والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فقال قتلتنى قتلك الله ثم قاتل فقتل وكان قتله سنة ٣٥٤ ومولده سنة ٣٠٣ بالكوفة

أبو فراس

(٣٢٠ - ٣٥٧ هـ)

هو الحارث بن أبى العلاء ابن عم ناصر الدولة وسيف الدولة قال الثعالبي فى وصفه كان فرد دهره وشمس عصره أدبا وفضلا وكرما ومجدا وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة وشعره مشهور بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا فى شعر عبد الله بن المعتز وأبو فراس هذا يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام وكان المتنبى يشهد له بالتقدم فلا ينبرى لمباراته ولا يجترئ على مجاراته وكان سيف الدولة يعجب جدا بمحاسنه ويميزه بالاكرام على سائر قومه ويستصحبه فى غزواته ويستخلفه فى أعماله وقد أسره الروم فى بعض الوقائع وأقام بالأسر أربع سنين وله فى الأسر أشعار كثيرة من أجود ماقاله ومن شعره حين حضرته الوفاة سنة ٣٥٧ مخاطبا ابنته

أبنيتى لا تجزعى * كل الأنام الى ذهاب

نوحى علىّ بحسرة * من خلف سترك والحجاب

قُولى اذا كلّمتنى * فَعَيِيتُ عَن رَدّ الجَوَاب
زَيْنُ الشَبَاب أبو فرا * س لَم يُمتَّع بالشَبَاب

وولد سنة ٣٢٠

أبو الفرج الاصفهانى

(٢٨٤ - ٣٥٦ هـ)

هو على بن الحسين وجدّه السابع مَرْوانُ بن محمد آخر خلفاء بنى أمَيّة وُلد بأصْبهَانَ ونشأ ببغداد وقد كان من أعيان الأدباء وأفراد المُصَنِّفين وكان عالما بأيام الناس والأنساب والسيَر يحفظ من الشعر والأغانى والأخبار والآثار والأحاديث المُسْنَدَة والنَّسَب شيأ كثيرا جدًا مع الالمام بعلوم أخرى مثل اللغة والطب والنجوم وكان له من جَيِّد الشعر شئٌ كثير وألّف كثيرا من الكتب فى العلوم المختلفة وأشهر هذه الكتب كتاب الأغانى فى واحد وعشرين مُجَلَّدا

وقد كان أبو الفرج منقطعا الى الوزير المُهَلَّبى وله فيه مَدَائحُ وعاش فوق السبعين سنة وتوفى سنة ٣٥٦

الخوارزمى

(توفى ســـنة ٣٨٣ هـ)

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمىّ الشاعر المشهور وهو ابن اخت أبى جعفر محمد بن جَرِير الطَبَرى صاحب التاريخ والخوارزمى المذكور كان أحد الشعراء المُجِيدين اماما فى اللغة والأنساب أقام بالشام مدّة وسكن بنواحى حلب وكان يشار اليه فى عصره وحكى أنه قصد حضرة الصاحب بن عَبّاد وهو بأرَّجَانَ فلما وصل الى بابه قال لأحد حُجّابه قل للصاحب على الباب أحَدُ الأدَباء وهو يســـتأذن فى الدخول فدخل الحاجب وأعلمه فقال الصاحب قل له قد ألزمتُ نفسى أن لايدخل علىّ من الأدباء إلاّ مَن يحفظ عشرين ألف بيت من شعْر العرب فخرج اليـه الحاجب وأعلَمه بذلك فقال له أبو بكر ارجع اليه وقل له هـذا القَدْر من شِعْر الرجال أم من شعر النساء فدخل الحاجب فأعاد اليه ماقال فقال الصاحب هذا يكون أبا بكر الخوارزمى فأذن له فى الدخول فدخل فعرفه وانبسط له ولما رجع من الشام سكن نيسابور ومات بها سنة ٣٨٣

بديع الزمان

(توفى سنة ٣٩٨ هـ)

هو أبو الفضل احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهَمَذَانى الحافظ المعروف ببديع الزمان صاحب الرسائل الرائقة والمقامات الفائقة وعلى منْواله نَسَجَ الحَـريرىُّ مَقَامَاته واحتَـذَى حَذْوَه واقتفَى أثَرَه واعترف فى خطبته بفضله وانه الذى أرشده الى سلوك ذلك المنهج وهو أحد الفضلاء الفُصَحاء روى عن أبى الحسين احمد بن فارس صاحب المُجْمَل فى اللغة وعن غيره وله الرسائل البديعة وسَكَن هَرَاةَ من بلاد خُرَاسَان وكانت وفاته سنة ٣٩٨ مسموما بمدينة هراة وقيل انه مات من السكتة وعُجِلَ دفْنُه فأفاق فى قبره وسمع صوته بالليل وأنه نبش عنه فوجدوه وقد قبض على لحيته ومات من هول القبر

ابن زيدون

(سنة ٣٩٤ – ٤٦٣ هـ)

هو أبو الوليد أحمد بن عبدالله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومى الاندلسى القرطبى الشاعر المشهور قال ابن بسام صاحب الذخيرة فى حقه كان أبو الوليد خاتمة شعراء بنى مخزوم وكان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة وبرع أدبه وجاد شعره وعلا شأنه وانطلق لسانه ثم انتقل عن

قرطبة الى المعتضد عباد صاحب أشبيلية فجعله من خواصه يجالسه في خلواته ويركن الى اشاراته وكان معه في صورة وزير وله القصائد الطنانة منها قصيدته النونية المشهورة التي منها

نكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

حالت لبعدكم أيامنا فغدت * سودًا وكانت بكم بيضًا ليالينا

بالأمس كنّا وما يُخشى تفرّقنا * واليومَ نحنُ وما يُرجى تلاقينا

وكانت ولادته سنة ٣٩٤ بقُرْطُبَة وتوفي سنة ٤٦٣ بأشْبيلية

الشريف الرضى

(٣٥٩ - ٤٠٦ هـ)

هو أبو الحسن محمد بن الطاهر ينتهي نَسَبه الى زَين العابدين ابن الحسين رضي الله عنهما وهو المعروف بالموسَوى صاحب ديوان الشعر المشهور وقال الثعالبي في كتاب اليتيمة في ترجمته انه ابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل وقال أيضا انه اليومَ أبدَعُ أبناء الزمان وأنجب سادات العراق ولو قلتُ انه أشْعَرُ قُرَيش لم أبْعُد عن الصدْق ويشهد بذلك شعره وكَلَامُه الذي يجْمَع الى السَلاسة مَتَانَةً والى السُهولة رَصَانة

وكان والده يتولى قبلهما نقابة نُقَباء الطالبيّين ويحْكُم فيهم أجمعين

و ينظر فى المظالم ثم ردت هذه الاعمال الى ولده الرضى المذكور وأبوه حىّ

ومن غرر شعره ما كتبه الى الامام أبي العباس احمد بن المقتدر

عطفاً أمير المؤمنين فاننا * فى دوحة العلياء لانتفرق

ما بيننا يوم الفخار تفاوت * أبداً كلانا فى المعالى معرق

الا الخلافة ميزتك فاننى * أنا عاطل منها وانت مطوق

وديوان شعره مشهور وقد صنف كتاباً فى معانى القرآن الكريم وصنف كتابا آخر فى مجازاته وكانت ولادته سنة ٣٥٩ ببغداد وتوفى سنة ٤٠٦ ويقال انه جمع كتاب نهج البلاغة من مختار كلام أمير المؤمنين على رضى الله عنه

وقال الامام الذهبى فى ميزان الاعتدال من طالع كتاب نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه فان فيه السب الصريح والحط على السيدين أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما اه

ابن سيناء

(٣٧٠ — ٤٢٨ هـ)

هو أبو على الحسين بن عبدالله بن سيناء البخارى المشهور بالشيخ الرئيس كان من أشهر الحكماء والاطباء فهو ابقراط الطب وارسطو

الحكمة عنـد العرب والأفرنج وقد جمع فى فسيح صدره كتابات ارسطو وأوعى فى خزانة معـارفه حكمه وقواعده وقد نقـل الأفرنج عنه أكثر ماعنـدهم من كتابات جالينوس وابقراط ونشروا أشهر تآليفه فى اللغة العربية وترجموا أكثرها الى لغـاتهم وكان هو المعول عليه شرقا وغربا فى قواعد الحكمة والطب وقد اعترف له الجميع بالفضل فافتخر به الشرق وأخذ عنه ومدحه الغرب وانتفع بتصانيفه وكان والده من أهـل بلخ وانتقل الى بخارى وكان من العمال الكفاة واشتغل ابن سيناء بالعلوم والفنون ثم توجه نحوهم الحكيم أبو عبدالله النا تلى فأنزله عنده وابتدأ يقرأ عليـه كتاب ايساغوجى وأحكم عليه علم المنطق حتى برع ويقـال أنه فاقه كثيرا حتى أوضح له رموزا وفهمه اشكالات ثم اشتغل بعد ذلك بالعلوم الطبيعية والالهية وفتح الله عليه أبواب العلوم ثم رغب بعد ذلك فى علم الطب فتعلم حتى فاق فيه الأوائل والأواخر وأصبح عديم القرين تردد اليه الناس لتتعلم منه أنواعه والمعالجات المقتبسة من التجربة ويقال ان سنه اذ ذاك لم تزد عن ست عشرة سنة لانه لم يشتغل بغير المطالعة وكان اذا أشكلت عليه مسألة توضأ وقصد المسجد وصلى ودعا الله أن يسهلها عليـه وقد عالج الأمير نوح بن نصر السامانى صاحب خراسان من مرضه حين استحضره لما سمع بحكمته حتى برئ فاتصل به وقرب

منــه ودخل الى دار كتبه وكانت عديمة المثل فيها من كل فن فظفر
بما حصل عليه منها من ثمرات العلوم واتفق بعد ذلك أن حُرِقت خزانة
هـذه الكتب (ويقال ان أبا على هو السبب فى احراقها لينفرد بما
حَصّله منها) ولما اضطربت أمور الدولة السامانيــة خرج أبو على من
بخارى الى قَصَبة خوارزم ولم يزل ينتقل فى البلاد الى أن ذهب الى
جُرْجَانَ وصـنّف بها الكتاب الأوسـط ولهذا يقال له الأوسط الجرجانى
ثم بعـد ذلك ذهب الى هَمَذَان وتقلّد الوزارة لشمس الدولة ثم ثارت
العسكر عليه فأغارُوا على داره وَنَهَبُوها وقَبَضوا عليه وسألوا شمس الدولة
قَتْلَه فامتنع ثم أُطْلِق فتوارَى ولمّا مرض شمس الدولة أحضره لمداواته
واعتذر اليـه وأعاده وزيرا ولما مات شمس الدولة وتولى تاج الدولة ولم
يستوزره توجه الى اصْبَهانَ وكان بها أبو جعفر فأحسن اليه وكانت
ولادته سـنة ٣٧٠ وتوفى سنة ٤٢٨ بِهَمَذَانَ بعـد أن اغتســل وتاب
وتصدق بما معه على الفقراء وردّ المَظَالِم على من عرفه وأعتق مماليكه
وجعل يختم القرآن الكريم كل ثلاثة أيام مرة .

أبو العلا المعرى (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ)

هو احمد بن عبدالله بن سليمان التَّنُوخي المعَرّي اللغوى الشاعر كان متضلعا من فنون الأدب قرأ النحو واللغة على أبيه بالمعَرّة وعلى محمد ابن عبـدالله بحَلَب وله التصانيف الكثيرة المشهورة والرسائل المأثورة وله من النظم لزوم مالا يلزم وله سَقْط الزَّنْد وشرَحَه بنفسـه وسَمّاه ضوء السقط وله غير ذلك وكان علاّمة عَصْره وأَخَذ عنـه أبو القاسم على بن المُحَسِّن التَّنُوخي والخطيب أبو زكرياء التّبريزى وغيرهما وكانت ولادته سنة ٣٦٣ بالمَعَرّة وعَمِىَ سنة ٣٦٧ من الجُـدَرِىّ وقد اختصر ديوانَىْ أبى تَمّام والبُحْتُرى والمتنبى وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها ومآخِذهم من غيرهم وما أُخذ عليهم وبعد أن لزم منزله سنة ٤٠١ سار اليه الطلبة من الآفاق وكاتبـه العلماء والوزراء وأهـل الاقدار ومكث مدة خمس وأربعين سنة لايأكل اللحم تَزَهُّدا لأنه كان يَعُدّ ذَبْح الحيوان تعذيبا وعمل الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة ومن كلامه فى اللزوم

لاتطلُبـنَّ بآلةٍ لكَ رُتْبَـةً * قَلَمُ البَليغ بغيرجَدّ مِغْزَلُ
سَكَنَ السِماكان السماءَ كلاَهُما * هـذا له رُمْحٌ وهـذا أعْزَلُ

وتوفى سنة ٤٤٩ بالمعرّة وأوصى أن يُكتَب على قبره

هذا جَنَاه أبى عَلَىّ * وماجَنَيْتُ عَلَى أَحَد

حجة الاسلام الغزالى

(٤٥٠ – ٥٠٥ هـ)

هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن احمد الغزالى الملقب حجة الاسلام زين الدين الطوسى الفقيه الشافعى ولم يكن للطائفة الشافعية فى آخر عصره مثله اشتغل فى مبدإ أمره بطوس ثم قدم نيسابور وجد فى الاشتغال على امام الحرمين أبى المعالى حتى تخرج فى مدة قريبة وصار من الأعيان المشار اليهم فى زمن أستاذه ولم يزل ملازما له الى أن توفى فخرج من نيسابور الى العسكر ولقى الوزير نظام الملك فأكرمه وعظمه وأقبل عليه وكان بحضرة الوزير جماعة من الافاضل يجرى بينهم الجدال والمناظرة فى عدة مجالس وظهر عليهم واشتهر اسمه وسارت بذكره الركبان ثم فوض اليه التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد واعجب به أهل العراق وارتفعت عندهم منزلته ثم ترك جميع ما كان عليه وسلك طريق الزهد والانقطاع وقصد الحج ولما رجع توجه الى الشام فأقام بمدينة دمشق ثم انتقل منها الى بيت المقدس واجتهد فى العبادة ثم قصد مصر وأقام بالاسكندرية مدة ثم عاد الى وطنه بطوس واشتغل وصنف الكتب التى اشهرها احياء علوم الدين وكتاب الوسيط والبسيط والوجيز والخلاصة فى الفقه والمقصد الاسنى فى شرح أسماء الله الحسنى

ومشكاة الأنوار والمُنقذ من الضلال الى غير ذلك من الكتب النفيسة ثم أُلزِم بالعَوْد الى نيسَابُور والتدريس بها بالمدرسة النظامية ثم ترك ذلك وعاد الى بيته فى وطنه ووزّع أوقاته على أعمال الخير والعبادة وكانت ولادته سنة ٤٥٠ هجرية وتوفى سنة ٥٠٥

الطغــــرائى

(توفى ســـنة ٥١٣ هـ)

هو العَميد أبو اسماعيل الحسين بن على الملقب مُؤَيّد الدين المشهور بالطُغْرَائى كان غَزِيرَ الفضــل لطيف الطبع فاق أهــل عصره بصنعة النظم والنثر وقال أبو المعالى فى كتابه زينة الدهر ان الطغرائى كان يُنْعَت بالأُسْتاذ وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السَلْجُوقى بالمَوْصل ولمّا جَرَى بينه وبين أخيه السلطان محمود المَصَاف بالقرب من هَمَذَان وكانت النصرة لمحمود وُشِى به فَقُتِل وكانت هذه الواقعة سنة ٥١٣ وقيل سنة أربع عشرة وقد جاوز ستين سنة والطغرائى نسبة لمن يكتب الطُغْرَى وهى الطُرَّة التى تُكتَب فى أعلى الكُتُب فوق البسملة بالقلم الغليظ وهى لفظة أعجمية وللطغرائى المذكور ديوان شعر جيّـد ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلاميّة العَجَم التى أولها

(اصالة الرأى صانَتْنى عن الخطل الخ)

الحــــــــريرى

(٤٤٦ - ٥١٦ هـ)

هو أبو محمد القاسم الحريرى البصرى صاحب المقامات أحَدُ أئمة عصره ورُزِق الحُظْوة التامّة فى عمل المقامات واشتملت على شئ كثير من كلام العرب من لغاتها وأمثالها ورموز أسرار كلامها وبها يُسْتَدَلّ على فضل هذا الرجل وعلى كثرة اطلاعه وغَزَارة مادّته وسَبَبُ وضعه لها ماحكاه ولَده أبو القاسم قال كان أبى جالسا فى مسجده ببَنِى حَرَام فدخل شيخ ذُو طِمْرَيْنِ عليه أُهْبَة السَفَر رَثّ الحال فصيح الكلام حسن العبارة فسألته الجماعة من أين الشيخ فقال من سَرُوج فاستخبره عن كُنْيَته فقال أبُو زَيد فعَمِل أبى المقامة المعروفة بالحَرَامية وعزاها الى أبى زيد المذكور واشتهرت فبلغ خَبَرُها الوزيرَ شرف الدين وزير الامام المسترشد بالله فلما وقف عليها أعجبته وأشار على والدى أن يَضُمّ اليها غيرها فأتَمّها خمسين وكانت ولادة الحريرى سنة ٤٤٦ وتوفى سنة ٥١٦ بالبصرة فى سكّة بنى حَرَام

وقد حَاوَل كثير من الإفرنج ترجمة المَقَامَات الى لُغَتهم ولكن مثْل هذا الكتاب لايُتَرْجم وللحريرى غير المقامات كتب كثيرة منها دُرّة الغَوّاص ومُلْحَة الاعراب فى النحو وديوان شعر ورسائل

ابن رشد

(٥١٤ — ٥٩٥ هـ)

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد أشهر فلاسفة العرب ولد في قرطبة سنة ٥١٤ هجرية وكان أبوه متوليا فيها الفتوى أخذ عن أشهر الفلاسفة في عصره وتخرج في الفقه والطب والفلسفة وقربه المهدي يوسف لثقته به وحذقه ورقاه أسمى المراتب فخلفه بها في فتوى الاندلس ثم تولى القضا في مراكش وأقام فيها مدة وسكن اشبيلية وكان له نفس الرعاية والاعتبار في أوائل عهد المنصور خلف المهدي يوسف الا أنه وشي به حسدا وعدوانا ففسد أمره عند المنصور فعزله عن رتبته ونفاه عدة سنين ثم دعي الى مراكش فشمل بالعطايا والمكارم وتوفي بها بعد أمد وجيز سنة ٥٩٥ هجرية

وقد ذهب ابن رشد الى أن أرسطو هو أعظم الفلاسفة وترجم مؤلفاته وشرحها بضبط وتروّ وله شرح أرجوزة في الطب للشيخ الرئيس ابن سيناء وله كتاب فصل المقال فيما بين الشريعة والطبيعة من الاتصال ومن أشهر مؤلفاته الكليات في الطب وله غير ذلك كثير وأصل مؤلفاته في العربية نادر الوجود ولكن الاوروبيين اهتموا بترجمتها الى لغاتهم فمن ذلك شرح أقوال أرسطو مع الرد على الغزالي فانه ترجم الى

اللاتينية وحسب أحد عشر مجلدا وطبع بالبندقية سنة ١٥٦٠ ميلادية وكذلك كلياته ترجمت وطبعت بالبندقيـة أيضا وقد اهتم الاوربيون بفلسفة ابن رشد اهتماما كبيرا وكتب رينان الفرنسى الشهير كتابا سماه ابن رشد ومذهبه ذكر فيه سيرته ومؤلفاته وقال انه كان أعظم فلاسفة القرون المتوسطة التابعين لأرسطو والناهجين سبيل الحرية فى الافكار والاقوال وقد طبع هـذا الكتاب بباريس سنة ١٨٥٢

ابن جبـــير

(٥٤٠ – ٦١٤ ﻫ)

هو أبو الحسن محمد بن احمد بن جُبَير الكنانى ولد بِبَلَنْسِيَة فى سـنة ٥٤٠ وقد برع فى العـلم والشـعر ورحل الى المشرق أكثر من مرة فخرج من غَرْنَاطَة فى رحلته الاولى سنة ٥٧٨ ووصل الى الاسكندرية بعـد ثلاثين يوما وحج ورحل الى الشام والعراق والجـزيرة وغيرها ثم عاد الى الاندلس سـنة ٥٨١ ثم سافر بعـد ذلك الى المشرق وتوفى بالاسكندرية سـنة ٦١٤ وهو ممن أثروا بالأدب ثم تزهد وأعرض عن الدنيا وكان من أهل المروآت مؤنسا للغُرباء عاشـقا لقضاء حوائج النـاس

ابن الفارض

(٥٧٦ – ٦٣٢ هـ)

هو أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن المعروف بابن الفارض المنعوت بالشرف له ديوان شعر لطيف وأسلوبه فيه رائق ظريف ينحو منحى طريقة الصوفية ومن كلامه

لم أخلُ من حَسَد عليك فلا تُضع * سَهَري بتشييع الخيال المُرجف

واسأل نجومَ الليل هل زار الكرى * جَفني وكيف يزور من لم يَعرف

وكان رحمه الله صالحا كثير الخير حسن الصحبة محمود العشيرة جاور بمكة المكرمة زمانا وكانت ولادته سنة ٥٧٦ بالقاهرة وتوفي بها سنة ٦٣٢ ودُفن بسَفح المُقطَّم

ابن الأثير

يطلق هذا الاسم على كل واحد من اخوة ثلاثة وهم العالم المحدث أبو السعادات مَجْد الدين المبارك (٥٤٤ – ٦٠٦ هـ) والمؤرخ المدقق أبو الحسن عزّ الدين على (٥٥٥ – ٦٣٠ هـ) والوزير الأديب ضياء الدين أبو الفتح نصرالله (... – ٦٣٧ هـ) وهم أبناء أبي الكرم محمد ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشَّيْباني وُلدوا جميعا بجزيرة ابن عُمَر بالجزيرة ثم رحلوا مع أبيهم الى المَوْصل واشتغلوا بها وحصّلوا

العلوم وكانوا جميعا فقهاء مُحَدِّثين أدَبَاء مُؤرِّخين الا أن كل واحد منهم تفرّد بعلمٍ وألّف فيه مُؤلّفات لاتزال طَائرة الصيت الى يومنا هذا

فَتَفَرَّد المبارك بالحديث وألّف فيه كتاب النهاية فى غريب الحديث وقد كان اعتراه مرض كفّ يديه ورجليه فمنعه من الكتابة وأقام فى داره وفى هذه الحالة صنف كتبه وكان له جماعة يعينونه عليها .

وتفرّد علىّ بالتاريخ وألف فيه عدة من الكتب بعد أن طاف كثيرا من البلاد وسمع الاخبار ومن أشهر كتب التاريخ كتابهُ الكامل

وتفرّد ضياء الدين بالأدب ومن أشهر كتبه فيه المثَل السائر فى أدَب الكاتب والشاعر وقد كان اتصل بخدمة صلاح الدين الأيُّوبى ثم انتقل الى ولده الملك الأفضل فاستوزره وكانت وفاته سنة ٦٣٧

ابن الحـاجب

(٥٧٠ — ٦٤٦ هـ)

هو أبو عَمْرو عثمان بن عُمَر الفقيه المالكى المعروف بابن الحاجب الملقب جمال الدين كان والده حاجبا للأمير عز الدين وكان كُرْديًّا واشتغل ولده أبو عمرو فى صغره بالقرآن الكريم ثم بالفقه على مذهب الامام مالك ثم بالعربيـة والقراآت وبرَع فى علومه وأتقنها غاية الاتقان وكان ذلك بالقاهرة ثم انتقل الى دمَشق ودرس بجامعها وأكبّ الخلق

على الاشتغال عليه وتبحّر فى الفنون وكان الأغلب عليه علْم العربيـة صَنَّف مختصرا فى مَذْهَبه ومُقَدّمَةً وجيزة فى النحو وسماها الكافية وأخرى مثلها فى التصريف وسَّماها الشافية وشرح المُقَدّمَتَين وصنَّف فى أصول الفقه وخالَفَ النُّحـاةَ فى مواضعَ وأوْرَد عليهم اشكالات والزامات تَبْعُدُ الاجابةَ عنها وكان من أَحْسَنِ خَلْق الله ذِهْنا ثم عاد الى القاهرة وأقام بها والناس ملازمون للاشتغال عليه ثم انتقل الى الاسكَنْدَرية للاقامة بها فلم تَطُل مدّته هناك وتُوُفِّىَ بها سنة ٦٤٦ وولد سنة ٥٧٠ باسنا

بهـاء الدين زهـير
(٥٨١ — ٦٥٦ هـ)

هو أبو الفضل زُهَير بن محمد بن على الملقب بهاء الدين الكاتب كان من فضلاء عصره وأحسنهم نظما ونثرا وخطّا ومن أكبرهم مُرُوءة وكان قد اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين أبى الفتح أيّوب ابن الملك الكامل بالديار المصرية وتوجّه فى خدمته الى البلاد الشرقية وأقام بها الى أن مَلَكَ المَلِكُ الصالح مدينةَ دمَشْق فانتقل اليها فى خدمته وأقام كذلك الى أن جرت الواقعة المشهورة على الملك الصالح وخرجت عنه دمشق وخانه عسكره وقَبَضَ عليه ابْن عَمّه الملك الناصر داود صاحب الكَرَك واعْتَقَله بقَلْعة الكَرَك فأقام بَهاءُ الدين زهير المذكور

بنابلس محافظة لصاحبه ولم يتصل بغيره ولم يزل على ذلك حتى خرج الملك الصالح وملك الديار المصرية فقدم اليها فى خدمته لما كان عليه من مكارم الاخلاق ودماثة السجايا ولذلك كان متمكنا من صاحبه كبير القدر عنده لايطّلع على سرّه الخفيّ غيره ومن محاسن شعره مُلْغِزا فى القُفْل قوله

وأسودَ عارٍ أنحلَ البردُ جسْمَه * ومازال من أوصافه الحرْص والمنْع

وأعْجَب شئٍ كَوْنُه الدهْرَ حارسًا * وليس له عَيْنٌ وليس له سَمْع

وولد بهاء الدين المذكور سنة ٥٨١ ومات سنة ٦٥٦ بمصر

أبو الفـــــداء

(٦٧٢ – ٧٣٢ ﻫ)

هو السلطان الامام والملك المؤيَّد اسمعيل بن على بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهَنْشَاهْ بن أيوب صاحب حَمَاة وكانت ولادته بدمشق لان أهله كانوا خرجوا من حماة خوفا من التَّتَر وكان أبو الفداء بَطَلا شجاعا خدم الملك الناصر محمد بن قَلَاوُون لمّا كان فى الكَرَك وساعَدَه فى محاربة التَّتَر فوعَدَه بحَمَاة التى كانت اقْطاعا لأُسْرَتِهم ووَفَى له بذلك وجعله سلطانا عليها يَفْعَل فيها مايَشَاء من اقْطاع وغيره وليس من الدولة بمصر معه حُكْم ولَقَّبه بالسلطان المؤيد

ويقال ان أجود ما كان يعرفه أبو الفداء علم الهيئة لأنه أتقنه وان كان قد شارك فى سائر العلوم مشاركة جيدة وله مؤلفات كثيرة فى علوم مختلفة أهمها التاريخ المتضمن التاريخ القديم وتاريخ الاسلام الى سنة ١٣٢٨ ميلادية والجغرافية المتضمنة على الخصوص وصف مصر وسورية وبلاد العرب وفارس وهى أحسن الجغرافيات الشرقية وقد طبعت هى وتاريخه مرارا باللغة العربية واللغات الافرنجية بعد ترجمتها ومات فى الستين من عمره سنة ٧٣٢

ابن خلدون

(٧٣٢ - ٨٠٨ هـ)

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد وأصل بيته من اشبيلية من أعمال الأندلس انتقلوا الى تونس فى أواسط القرن السابع للهجرة عند الجلاء ونسبهم فى حضرموت من عرب اليمن وأول من رحل الى الأندلس منهم هو خلدون الجد العاشر للمترجم

وولد ابن خلدون بتونس سنة ٧٣٢ للهجرة وربى فى حجر والده وقرأ القرآن الكريم بالقراآت السبع ثم أخذ فى دراسة الفقه والأدب فبرع فيهما وكان كاتبا بليغا وشاعرا نابغا تنقل كثيرا فى بلاد المغرب والاندلس وتولى الكتابة لكثير من الملوك ورأى من النعيم والبأساء

مايراه أهل النباهة والشرف والصدق فى كل زمان من الملوك الذين تزوج عندهم الوشايات ثم حضر الى مصر فى سنة ٧٨٤ وأخذ يعلم بالجامع الازهر ثم اتصل بالسلطان برقوق فأكرمه وأحسن مثواه وفى سنة ٧٨٦ ولاه القضاء بمصر فعدل بين الناس ولم تؤثر فيه وشاية الواشين وسعاية الساعين ولم يزل بالقاهرة الى أن مات سنة ٨٠٦ وقيل سنة ٨٠٨

وقد أبقى شهرته الى الآن تاريخه المشهور ومقدمته التى تدل على أن الرجل كان أكبر من نظروا فى الاجتماع فى عصره

وفود العرب على كسرى قبل الاسلام

روى ابن القطامى عن الكلبى قال قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين فذكروا من ملوكهم وبلادهم فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الامم لايستثنى فارس ولاغيرها فقال كسرى وأخذته عزة الملك يانعمان لقد فكرت فى أمر العرب وغيرهم من الامم ونظرت فى حالة من يقدم علىّ من وفود الأمم فوجدت للروم حظا فى اجتماع ألفتها وعظم سلطانها وكثرة مدائنها ووثيق بنيانها وان لها دينا يبين حلالها وحرامها ويرد سفيهها ويقيم جاهها ورأيت الهند نحوا من ذلك فى حكمتها وطبها مع كثرة أنهار بلادها وثمارها وعجيب

صَناعاتها وطيب أشجارها ودقيق حسابها وكثرة عددها وكذلك الصين في اجتماعها وكثرة صناعات أيديها وفروسيتها وهمّتها في آلة الحرب وصناعة الحديد وان لها مُلكاً يجمعها والترك والخزر على ما بهم من سوء الحال في المعاش وقلة الريف والثمار والحصون وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس لهم ملوك تضم قواصيهم وتدبر أمرهم ولم أر للعرب شيأ من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا ولا حزم ولا قوة ومع ان مما يدل على مهانتها وذلها وصغر همتها محلتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة والطير الحائرة يقتلون أولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضا من الحاجة قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها فأفضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الابل التي يعافها كثير من السباع لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها وان قرى أحدهم ضيفا عدها مكرمة وان أطعم أكلة عدها غنيمة تنطق بذلك أشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم ما خلا هذه التنوخية التي أسس جدي اجتماعها وشد مملكتها ومنعها من عدوها فجرى لها ذلك الى يومنا هذا وان لها مع ذلك آثارا ولبوسا وقرى وحصونا وأمورا تشبه بعض أمور الناس يعني اليمن ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الذلة والقلة والفاقة والبؤس حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس قال النعمان

أصلح الله الملكَ حقَّ لأمّة المَلِكُ منها أنْ يسمُو فضلها ويعظُم خطبها وتعلُو درَجتها الاّ أنّ عندى جوَابا فى كل مانطق به الملكُ فى غير ردّ عليه ولا تكذيب له فان أمّنَنى من غضبه نطقتُ به قال كسرى قلْ فأنْتَ آمن قال النعمان أمّا أمّتُكَ أيها الملكُ فليست تُنَازَع فى الفضل لموضعها الذى هى به من عقولها وأحلامها وبَسْطة محلها وبُحْبوحة عزّها وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك وأمّا الأممُ التى ذَكَرْتَ فأىّ أمة تَقْرُنها بالعَرَب الاّ فَضَلَتْها قال كسرى بماذا قال النعمان بعزّها ومَنَعَتها وحُسْن وُجُوهها وبأسها وسخائها وحكْمَة ألْسنتها وشدّة عقولها وأنفَتها ووفائها

فأما عزّها ومَنَعتُها فانها لم تزَل مُجاورَة لآبائك الذين دوّخوا البلاد ووطّدوا المُلْكَ وقادوا الجُنْد لم يطْمَع فيهم طامع ولم ينَلْهُم نائل حُصُونهم ظهور خَيْلهم ومهادُهم الأرْض وسُقُوفُهم السماء وجُنَّتهم السُّيوف وعُدّتهم الصَبْر اذ غيْرها من الأمَم انما عزّها الحجَارة والطين وجزَائر البُحُور

وأما حُسْن وُجوهها وألْوَانها فقد يُعْرَف فضْلُهم فى ذلك على غيرهم من الهند المُحْرَقة والصين المُنْحفة والتُّرْك المُشوّهة والرُّوم المُقَشّرة

وأما أنْسَابُها وأحْسَابُها فليست أمّة من الامم الا وقد جهلت آباءها وأُصُولَها وكثيرا من أوّلها حتى انّ أحَدَهم ليُسْئل عمن وراء أبيه دِنْيا

فلا يتّسبه ولا يعْرفه وليس أحد من العرب الا يُسمّى آباءه أباً فأباً حاطُوا بذلك أحْسَابَهم وحَفظوا به أنْسَابَهم فلا يدْخل رجل فى غير قومه ولا ينْتسب الى غير نَسَبه ولا يُدْعَى الى غير أبيه

وأما سخاؤها فانّ أدْنَاهم رَجُلا الذى تكون عنده البَكْرة والنّاب عليها بَلاَغُه فى حَمُوله وشِبَعه وريّه فيطْرُقُه الطارق الذى يكْتَفى بالفَلْذة ويجْتَزى بالشّرْبة فيَعقرها له ويرْضَى أن يخْرُج عن دُنْياه كلّها فيما يُكْسبه حُسْن الأحْدُوثة وطيّب الذكْر

وأما حكْمة ألْسنتهم فان الله تعالى أعطاهم فى أشْعارهم ورونْق كلامهم وحُسْنه ووزْنه وقَوافيه مع معرفتهم بالاشياء وضَرْبهم للأمْثال وابلاغهم فى الصفات ماليس لشئ من ألسـنة الأجناس ثم خَيْلُهم أفْضَل الخَيْل ونساؤهم أعَفّ النساء ولبَاسُهم أفضل اللباس ومَعادنُهم الذَهَب والفضّة وحجارة جبالهم الجَزْع ومطاياهم التى لا يُبْلَغ على مثْلها سَفَرٌ ولا يُقْطَع بمثلها بَلَدٌ قفْر

وأماديْنُها وشَريعتها فانهم مُتَمَسّكون به حتى يبلغ أحَدُهم من نُسْكه بدينه انّ لهم أشْهراً حُرُماً وبلَداً مُحرّما وبيْتاً محْجوجاً ينْسُكون فيه مَناسكهم ويَذْبحُون فيه ذبائحهم فيلْقَى الرجُل قاتلَ أبيه أو أخيه وهو قادر على أخْذ ثاره وإدْراك رَغْمه منه فيحجُزه كَرَمُه ويَمْنعُه دينُه عن تَناوُله بأذى

وأما وَفَاؤها فان أحَدَهم يلحَظ اللَّحْظة ويومئ الايماءة فهى وَلْثٌ (أى عَهْد) وعُقْـدة لايَحُلُّها الا خُروج نَفْســه وانّ أحَدَهم يرفَع عُودًا من الأرض فيكون رَهْنا بدَيْنه فلا يَغْلَق رَهْنُه ولاتُخْفَر ذمّته وانّ أحَدَهم ليَبْلُغه أنّ رَجلا اسْتَجَار به وعَسَى أن يكون نائيًا عن دَاره فيُصَاب فلا يَرْضَى حتى يُفْنِي تلك القَبيلة التى أصابته أو تَفْنَى قبيلتُه لما أخْفِر من جِوَاره وانه ليَلجأ اليهم المُجْرِم المُحْدث من غير معرفة ولا قَرابة فتكون أنْفُسهم دون نَفْسه وأمْوالهم دون مَاله

وأما قولك أيها الملك يَئدون أوْلَادهم فانما يَفْعَله من يَفْعَله منهم بالاناث أنَفَةً من العَار وغَيْرة من الأزْواج

وأما قولك انّ أفْضَــل طَعَامهم لحُوم الابل على ماوَصَفْتَ منها فما تَركوا مادُونَها الا احْتقَارًا له فعَمَدُوا الى أجَلّها وأفْضَلها فكانت مَرَاكبَهم وطَعامَهم مع انها أكْثَر البَهائم شُحُوما وأطْيَبها لُحُوما وأرَقّها ألْبانا وأقَلّها غائلة وأحْلَاها مَضْغة وانه لاشئ من اللُّحمان يُعَالَج مايُعَالَج به لَحْمها الا استَبان فَضْلُها عليه

وأما تَحَارُبهم وأكْل بعضهم بعضا وتَرْكهم الانقياد لرَجل يَسُوسُهم ويَجْمعُهم فانما يَفْعَل ذلك من يَفْعَله من الأمَم اذا أنسَت من نَفْسها ضَعْفا وتَخَوّفَت نُهوض عَدُوّها اليها بالزَحْف وانّه انما يكون فى المملكة

العظيمة أهلُ بيْت واحد يُعرَف فضْلُهم على سائر غيرهم فيُلقُون اليهم أمورَهم و ينقادُون لهم بأزمّتهم

وأما العرب فان ذلك كثيرٌ فيهم حتى لقد حاوَلوا أن يكُونوا مُلوكا أجمعين مع أنَفتهم من أداء الخَراج والوطْث (أى الضَرْب الشديد بالرِجْل على الارض) بالعَسف

وأما اليمن التى وصفها الملك فانما أتى جَدَّ المَلكُ اليها الذى أتاه عند غلبة الحبش له على مُلك مُتسق وأمْر مُجتمع فأتاهُ مَسْلُوبا طَريدا مُسْتَصْرِخا. ولولا ماوُتِر به مَن يليه من العرب لمَال الى مجَال ولوجَد مَن يُجيد الطعان ويَغْضَب للاَحْرار من غَلَبَة العَبيد الاشْرار

قال فعجب كسرى لمَا أجابه النعمان به وقال إنكَ لأهْلٌ لموْضعكَ من الرَآسة فى أهْل أقْليمكَ ثم كَسَاه من كسوته وسَرحه الى موضعه من الحيرة

فلما قَدم النعمان الحيرة وفى نفسه مافيها مما سمع من كسرى من تنقص العَرَب وتَهجين أمْرهم بَعَث الى أكْثم بن صَيْفى وحاجب بن زُرارة التميميّين والى الحارث بن ظالم وقيس بن مسعود البَكريّين والى خالد بن جعفر وعلقمة بن عُلاثة وعامر بن الطُفَيل العامريّيْن والى عَمرو ابن الشَريد السُلمى وعَمْرو بن مَعْديكَرِب الزبيدى والحارث بن ظالم المُرّى

فلما قدموا عليه فى الخورنق قال لهم قد عرفتم هـذه الاعاجم وقرب جوار العرب منها وقد سمعتُ من كسرى مقالات تخوفت أن يكون لها غور أو يكون انما أظهرها لأمر أراد أن يتخـذ به العرب خولا كبعض طماطمته فى تأديتهم الخراج اليـه كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله فاقتص عليهـم مقالات كسرى وما ردّ عليـه فقالوا أيها الملك وفقك الله ما أحسن مارددت وأبلغ ما حججته به فمرنا بأمرك وادعنا الى ماشئت

قال انما أنا رجل منكم وانما ملكتُ وعززتُ بمكانكم وما يُتخوّف من ناحيتكم وليس شئ احب الىّ مما سدّد الله به أمركم وأصلح به شأنكم وأدام به عزكم والرأى أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط وتنطلقوا الى كسرى فاذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ليعلم أن العرب على غير ما ظنّ أو حدّثته نفسه ولا ينطق رجل منكم بما يغضبه فانه ملك عظيم السلطان كثير الأعوان مترف معجب بنفسـه ولا تنخزلوا له انخزال الخاضع الذليل وليكن أمر بين ذلك تظهر به وثاقة حلومكم وفضـل منزلتكم وعظيم أخطاركم وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكثم بن صيفى ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التى وضعتكم بها فانما دعانى الى التقـدمة اليكم علمى بجميل كل رجل منكم على التقدم

قبل صاحبه فلا يكونن ذلك منكم فيجد في آدابكم مطعنا فانه ملك مترف وقادر مسلط ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرائف حلل الملوك كل رجل منهم حلة وعممه عمامة وختمه بياقوتة وأمر لكل رجل منهم بنجيبة مهرية وفرس نجيبة وكتب معهم كتابا .

أما بعد فان الملك ألقى الى من أمر العرب ماقد علم وأجبته بما قد فهم مما أحببت أن يكون منه على علم ولا يتلجلج في نفسه أن أمة من الأمم التى احتجزت دونه بمملكتها وحمت مايليها بفضل قوتها تبلغها في شئ من الأمور التى يتعزز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة وقد أوفدت أيها الملك رهطا من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم فليسمع الملك وليغمض عن جفاء ان ظهر من منطقهم وليكرمني باكرامهم وتعجيل سراحهم وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا الى عشائرهم فخرج القوم في أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن فدفعوا اليه كتاب النعمان فقرأه وأمر بانزالهم الى أن يجلس لهم مجلسا يسمع منهم فلما أن كان بعد ذلك بأيام أمر مرازبته ووجوه أهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسي عن يمينه وشماله ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التى وصفهم النعمان بها في كتابه وأقام الترجمان ليؤدى اليه كلامهم ثم اذن لهم في الكلام

فقام أكثم بن صيفى فقال ان أفضل الاشياء أعاليها وأعْلَى الرجال مُلُوكها وأفْضَل الملوك أعمُّها نَفْعا وخيرُ الأزْمنة أخْصَبُها وأفضل الخُطَباء أصْدَقُها الصّدق مَنْجاة والكَذب مَهْوَاة والشّر لجاجة والحَزْم مَرْكَب صَعْب والعَجْز مَرْكب وَطِىء آفَةُ الرّأى الهَوَى والعجْز مفتاح الفَقْر وخير الامور الصّبْر حُسْن الظّنّ وَرْطة وسوء الظن عصْمة اصْلاَح فساد الرَّعيّة خير من اصْلاَح فَسَاد الراعى مَن فَسَدَت بطَانَتُهُ كان كالغَاصّ بالماء شرُّ البلاد بلاد لاأمير بها شَرّ المُلُوك من خَافَه البَرِىء المَرْء يَعْجز لامَحَالة أفضل الاولاد البَرَرة خير الأعْوَان من لم يُرَاء بالنصيحة أحَقّ الجُنُود بالنَصْر من حَسُنَتْ سَريرته يكْفيكَ من الزاد مابَلّغَكَ المَحَلّ حَسْبُكَ من شرّ سَمَاعُه الصَمْتُ حكَم وقَليلٌ فَاعلُه البَلاَغة الايجاز مَن شَدّد نَفّر ومن تَرَاخى تَألّف فتعجبَ كسرى من أكثم .ثم قال وَيحكَ يا أكثم ماحكمكَ وأوثق كَلاَمكَ لولا وَضْعُكَ كلامكَ فى غير موضعه قال أكثم الصدْق يُنْبئُ عنكَ لا الوَعيد قال كسرى لولم يكن للعرب غيركَ لكفى قال أكثم رُبَّ قَوْل أنْفَذُ من صَوْل

ثم قام حاجب بن زُرَارة التميمى قال وَرَى زَنْدُكَ وعَلَتْ يَدُكَ وهِيبَ سُلْطَانُكَ ان العرب أمة قد غَلُظَت أكْبَادُها واسْتَحْصَدت مرّتُها ومُنعَت درّتها وهى لكَ وَامقة ماتَألفْتَها مُسْتَرْسلة مالاينْتَها سامعة ماسامحْتَها

وهي العَلْقَم مَرارة وهي الصَابُ غَضَاضــة والعَسَل حَلاوَة والمَاءُ الزُلَال سَلاسَةً نَحْنُ وُفودُها اليكَ وأَلْسنَتُها لَدَيكَ ذمتنا مَحْفُوظة وأَحْسَابنَا مَمْنُوعة وعَشَائرنا فينا سَامعة مُطيعة إن نَؤُب لَكَ حَامدين خَيرًا فلكَ بذلكَ عُمُوم مَحْمَدَتنـا وان نَذُمّ لم نَخُص بالذَمّ دُونَهـا قال كسرى ياحاجب ماأشـبه حَجَر التِّـلال بألوان صَخْرها قال حاجب بل زَئير الاسْد بصَوْلَتها قال كسرى وذلكَ

ثم قام الحـارث البكرى فقـال دامت لكَ المملكة باستكمال جزيل حظها وعلُوّ سَنَائها مَن طال رشَاؤه كَثرُ مَتْحُه ومن ذَهَب مالهُ قَلّ مَنْحُه تَنَاقُل الاقاويل يُعَرِّف اللُّبّ وهذا مقام سَيُوجف بمـاتَنْطق به الرَّكْب وتُعرف به كُنْــه حَالنـا العَجَم والعَرَب ونَحْنُ جيرانُكَ الأَدْنَون وأعْوَانُكَ المُعِينون خُيولُنا جَمَّــة وجُيوشُـنا فَخْمه ان اسْتَنْجَدْتَنا فغيرُ رُبُض وان اسْتَطْرَقْتَنا فغيرُ جُهُض وان طلبتَنا فغيرُ غُمُض لانَنْثَني لذُعْر ولا نَتَنَكَّر لدَهْــر رمَاحُنا طوال وأعْمَـارُنا قصـار .قال كسرى أنفُسٌ عَزِيزة وأمّةٌ ضعيفة قال الحارث أيها الملكُ وأَنَّى يكون لضعيف عِزَّة أو لصغير مِرّة قال كسرى لو قَصُرَ عُمْرُكَ لم تَسْتَوْل على لسَانكَ نَفْسُكَ قال الحارث أيها الملكُ ان الفارس اذا حَمَل نَفْسَــه على الكَتيبة مُغَرِّرا بنفسه على الموت فهي مَنيّة اسْتَقْبَلَهَا وجنَانٌ اسْتَدْبَرَها والعَرَب تَعْـلَم أَنّي أَبْعَث

الحرْب قُدُما وأحبسها وهى تَصَرَّفُ بها حتى اذا جاشَتْ نارُها وسَعَرَتْ لَظَاها وكَشَفَتْ عن ساقها جَعَلْتُ مَقَادَها رُمْحى وبَرْقَها سَيْفى ورَعْدَها زَئيرى ولم أُقَصر عن خَوْض خَضْخاضها حتى أنْغَمِسَ فى غَمَرَاتِ لُجَجِها وأكُونُ فُلْكاً لفُرْسانى الى بُحْبُوحة كَبْشها فأستَمطرُها دَماً وأتْرُكُ حُماتَها جَزَرَ السِّبَاعِ وكلّ نَسْرٍ قَشْعَمَ ثم قال كسرى لمن حضره من العرب أكذلكَ هُوَ قالوا فعَالُهُ أنْطَقُ مِن لسانه قال كسرى ما رأيتُ كاليوم وَفْدًا أحْشَدَ ولا شُهُودا أوْفَدَ

ثم قام عمرو بن الشَرِيد السُّلَمِى فقال أيها الملكُ نَعِمَ بالُكَ ودَامَ فى السرور حالُكَ انّ عاقبةَ الكلام مُتَدَبَّرَة وأشكال الأمور مُعْتَبَرَة وفى كثيرٍ ثقْلَة وفى قليل بُلْغة وفى المُلُوكِ سَوْرَةُ العزّ وهذا مَنْطقٌ له ما بعْده شَرُفَ فيه مَنْ شَرُفَ وخَمَل فيه من خَمَل لَمْ نَأْتِ لِضَيْمكَ ولم نَفِدْ لسُخْطكَ ولم نَتَعرّض لرِفْدك انّ فى أموالنا مُنْتَقَدا وعلى عِزّنا مُعْتَمَدا إن أوْرَيْنا نارا أثْقَبْنا وإن أوَدَ دَهْرٌ بنا اعْتَدَلْنَا إلا أنا مع هذا لجوارك حافظون ولمن رَامَكَ كافُون حتى يُحْمَدَ الصَّدَر ويُسْتَطَاب الخبَرُ قال كسرى ما يقوم قَصْدُ مَنْطقك بإفراطك ولا مَدْحُكَ بذَمّك قال عمرو كَفَى بقليل قَصْدى هَاديا وبأيْسَر إفراطى مُخْبِرا ولم يُلَمْ مَن غَرَبَتْ نَفْسُه عَمّا يَعْلَمُ ورَضِىَ من القَصْد بما بَلَغَ قال كسرى ما كُلُّ ما يعْرف المرء يَنْطق به اجلس

ثم قام خالد بن جعفر الكلابى فقال أحْضَرَ اللهُ المَلِكَ إسعادا وأرْشَده إرْشادا إن لكلّ مَنْطِق فُرْصَة ولكلّ حاجة غُصّة وعِىُّ المَنْطِق أشَدُّ من عِىّ السُّكوت وعِثارُ القَوْل أنْكأ من عِثار الوَعْث وما فُرْصة المَنْطِق عندنا إلا بما نَهْوَى وغُصّة المَنْطِق بما لا نَهْوَى غيرُ مُسْتَساغة وتَرْكى ما أعْلَم من نَفسى ويَعْلمُ من سَمْعى أنّى له مُطيق أحَبُّ إلىّ من تَكَلُّفى ما أتَخَوّف ويَتَخَوّف منّى وقد أوْفَدَنا اليكَ مَلِكُنا النُّعْمان وهو لكَ من خير الأعْوان ونِعْمَ حامل المَعْروف والاحسان أنْفُسُنا بالطاعة لكَ باخعة ورقابُنا بالنَّصيحة خاضعة وأيْدينا لكَ بالوَفاء رَهينة قال له كسرى نَطَقْتَ بعَقْل وسَمَوْتَ بفضل وعَلَوْتَ بنُبْل

ثم قام عَلْقَمة بن عُلاثة العامرى فقال نَهَجَتْ لكَ سُبُل الرَّشاد وخَضَعَتْ لكَ رقاب العباد انّ للأقاويل مَناهج وللآراء مَوالج وللعَويص مَخارج وخير القَول أصْدَقه وأفْضَل الطَّلَب أنْجَحُه إنّا وان كانت المَحَبّة أحْضَرَتْنا والوِفادة قَرّبَتْنا فليس مَنْ حَضَرَكَ منّا بأفْضَل ممّن عَزَب عنكَ بل لو قِسْتَ كلّ رجل منهم وعَلِمْتَ منهم ما عَلِمْنا لَوَجَدْتَ له فى آبائه دُنْيا أنْدادا وأكْفاء كلُّهم الى الفَضْل مَنْسوب وبالشَرَف والسُّودَد مَوْصوف وبالرأى الفاضل والأدَب النافذ معروف يَحْمى حِماه ويَرْوِى نَداماه ويَذُود أعْداه لا تَخْمُدُ نارُه ولا يَحْترز منه جارُه أيّها المَلِكُ

مَن يَبُلُ العَرَب يَعرِفْ فَضْلَهم فاصْطَنِع العرب فانها الجبال الرَّواسى عِزًّا والبحور الزَّواخر طَمْيا والنجوم الزَّواهرُ شَرَفا والحَصَى عَدَدا فان تَعْرِف لهم فَضْلَهم يعزّوك وان تَسْتَصْرِخْهم لا يخذلوك قال كسرى وخَشِىَ أن يأتِىَ منه كَلام يحمله على السُّخط عليه حَسْبُكَ أبلغْتَ وأحْسَنْتَ

ثم قام قَيس بن مسعود الشَّيْبانى فقال أطابَ اللهُ بكَ المَراشد وجَنَّبكَ المَصائب ووَقاكَ مَكْروهَ الشَّصائب ماأحَقَّنا إذْ أتيناكَ باسْماعِكَ مالا يَحْنق صَدْرَكَ ولا يَزْرع لَنا حِقْدا فى قَلْبكَ لم نَقْدَم أيُّها المَلكُ لِمُساماة ولم نَنْتَسب لمُعاداة ولكن لتَعْلَمَ أنت ورَعيَّتُكَ ومَن حَضَرَكَ من وُفود الأمَم أنّا فى المَنْطق غيرُ مُحْجمين وفى الناس غير مُقَصّرين إن جُورِينا فغير مَسْبُوقين وان سُومينا فغير مَغْلُوبين قال كسرى غَيْر أنَّكم اذا عاهَدْتُم غيرُ وافين وهو يُعَرّض به فى تركه الوَفاء بضمانه السَّواد قال قيس أيها الملكُ ما كُنْتُ فى ذلكَ الاّ كَواف غُدِرَ به أو كخافر أُخْفِرَ بذمّته قال كسرى مايكون لضَعيف ضَمان ولا لذليل خفارة قال قيس أيها الملكُ ماأنا فيما أُخْفِرَ من ذمّتى أحَقّ بالزّامى العارَ منكَ فيما قُتِل من رَعيّتكَ وانْتُهِكَ من حُرْمتكَ قال كسرى ذلكَ لأنّ مَن ائْتَمن الخانَةَ واسْتَنْجد الأثَمَة نالَهُ من الخَطَأ مانالنى وليس كلّ الناس سَواء كيف

رأيتَ حاجبَ بنَ زُرارةَ لم يُحكِمْ قُواه فَيُبرِم ويَعهَد فيُوفى ويَعِدُ فيُنجِز قال وما أحقّه بذلك وما رأيتُــه الّا لى قال كسرى القَومُ بُزْلٌ فأفضَلُها أشــدّها

ثم قام عامر بن الطُفَيــل العــامرى فقال كَثُر فنُون المَنْطق وليس القول أعْمَى من حِنْدس الظَّلْماء وانما الفَخْر فى الفَعال والعجْزُ فى النَّجدة والسُؤدَد مُطاوَعةُ القُدْرة وما أعْلَمَكَ بقَدْرنا وأبْصَرَكَ بفَضْلنا وبالحَرا إن أدالَتْ الأيّام وثابَتْ الأحْلام أنْ تُحْـدث لنـا أُمُورا لهَـا أعْلام قال كسرى وما تلك الأعلام قال مُجْتَمَع الأحْياء من ربيعةَ ومُضَر على أمر يُذْكَر قال كسرى وما الأمرُ الذى يُذْكر قال مالى علم بأكثر ممـا خَبّرنى به مُخْـبِر قال كسرى متَى تَكاهَنْتَ ياابن الطفيــل قال لستُ بكاهن ولكنّى بالرُّمْح طاعن قال كسرى فان أتاكَ آتٍ من جهة عَيْنكَ العَوْراء ماأنْتَ صانع قال ماهَيْبَتى فى قَفاىَ بدُون هَيْبَتى فى وجْهى وما أذْهَب عَيْنى عَيْث ولكن مُطاوَعةُ العَبَث

ثم قام عمرو بن مَعْديكَرِبَ الزبيدى فقال انما المرءُ بأصْغَرَيْه قَلْبه ولسانه فبَلاغ المَنْطق الصَواب وملاكُ النَّجدة الارْتياد وعَفْو الرأى خيرٌ من اسْتكْراه الفِكْرة وتَوْقيف الخِبْرة خيرٌ من اعْتساف الحَيْرة فاجْتَبِذْ طاعتَنا بلَفْظك واكْتَظم بادرَتَنا بحِلْمك وألِنْ لَنا كَنَفَكَ يَسْلَسْ لكَ قيادنا

فانّا أناس لم يُوَقّس صَفاتَنا قراعُ مَناقيرِ مَن أرادَ لَنا قَضْما ولكن مَنَعْنا حِمانا من كُلّ مَن رامَ لَنا هَضْما

ثم قام الحارث بن ظالم المُرّى فقال انّ من آفة المَنْطق الكَذب ومن لُؤم الأخْلاق المَلَق ومن خَطَل الرَأى خفّة المَلِك المُسَلّط فانْ أعْلَمْنـاكَ أنّ مُواجَهَتَنا لَكَ عن ائْتلاف وانْقيادنَا لكَ عن تَصـاف ماأنْتَ لقَبول ذلكَ منّا بِخَليق ولا للاعتماد عليه بِحَقيق ولكن الوَفاء بالعُهود واحْكام وَلْث العُقود والأمْر بيْنَنا وبيْنَكَ مُعْتَـدل مالَمْ يأت من قِبَلكَ مَيْـل أو زَلَل قال كسرى من أنت قال الحارث بن ظالم قال انّ فى أسماء آبائكَ لَدليلا على قلّة وَفائكَ وأن تكونَ أوْلَى بالغَدْر وأقْرَبَ من الوِزْر قال الحارث انّ فى الحَق مَغْضَبَة والسّرْوُ التَغافُل ولَنْ يَسْتَوْجب أحَدُ الحِلْمَ الاّ مَعَ القُدْرة فَلْتُشْبهْ أفْعالُكَ مَجْلسَكَ قال كسرى هذا فَتَى القوم ثم قال كسرى قد فهمْتُ مانَطَقَتْ به خُطَباؤكم وتَفَنَّن فيـه مُتَكَلّموكم ولولا أنّى أعْلَمُ أنّ الأدَب لَمْ يُثَقّفْ أوَدَكُم ولَمْ يُحْكِمْ أمْرَكُم وأنّه ليس لكم مَلِكٌ يَجْمَعُكم فَتَنْطقون عنده مَنْطق الرَّعيّة الخاضعة الباخعة فَنَطَقْتُم بما اسْتَوْلَى على ألْسنَتكم وغَلَب على طباعكم لَمْ أُجِزْ لكم كثيرا مما تَكَلّمتم به وانّى لأكْرَه أن أُجَبّه وُفُودى أو أُحْنق صُدُورَهم والذى أحبّ من اصلاح مُدَبَّركُمْ وتألُّف شَواذّكم والاعْذار الى الله فيما بَيْنى وبيْنَكم

وقد قَبِلْتُ ما كان فى مَنْطقكم من صَوَاب وصَفَحْتُ عمّا كان فيه من خَلَل فانصرفوا الى مَلِكِكُم فأحْسنوا مُوازَرَتَه والتزموا طَاعَتَه وارْدَعُوا سُفَهَاءكم وأقيموا أَوَدَهُمْ وأحْسنوا أدبَهم فانّ فى ذلك صَلاحَ العامّة

قصيدة السموءل فى الفخر

اذا المَرْء لم يَدْنَس من اللُّؤم عِرْضُه * فكُلُّ رداء يرتديه جَمِيلُ

وان هو لم يَحْمل على النفس ضَيْمَها * فليس الى حُسْن الثناء سبيل

تُعَيِّرنا أنّا قليل عَديدنا * فقلت لها انّ الكرامَ قليل

وما قَلّ مَن كانت بَقَايَاهُ مِثْلَنا * شَبَابٌ تَسَامَى للعُلَى وكُهُول

وما ضَرّنا أنّا قَليل وجَارُنا * عَزِيزٌ وجَارُ الأكثرين ذَليل

لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّه مَن نُجِيره * مَنيع يَرُدّ الطَرْف وهو كليل

رَسَا أصْلُه تحتَ الثَرَى وسَمَا به * الى النَّجم فرعٌ لا يُنَال طويل

هو الأبْلَق الفَرْد الذى شاع ذِكْرُه * يَعِزّ على من رَامَه ويَطُول

وإنّا لَقَوْم لا نَرَى القَتْل سُبّةً * اذا مارَأَتْه عامرٌ وسَلُول

يُقَرِّبُ حُبُّ الموت آجالَنا لَنَا * وتَكْرَهُه آجالُهم فتَطُول

وما مات منّا سَيِّدٌ حَتْفَ أنْفه * ولا طُلّ يوما حيث كان قتيل

تَسيل على حَدّ الظُبَات نُفُوسُنا * وليست على غير الظُّبات تَسيل

صَفَوْنا ولم نَكْدَرْ وأَخْلَص سرَّنا * إناثٌ أطَابَتْ حَمْلَنَا وفُحُول

عَلَوْنا الى خَيْرِ الظُّهور وَحَطَّنا * لِوَقت الى خَيْرِ البُطُون نُزُول

فَنَحْن كَمَاء المُزْن مافى نِصَابنا * كَهَامٌ ولا فينا يُعَدّ بَخِيل

ونُنْكِر إنْ شئنا على الناس قَوْلَهم * ولا يُنْكِرون القولَ حين نَقُول

اذا سَيِّد منّا خلا قام سَيِّدٌ * قؤول لمَا قال الكرام فَعُول

وما أُخْمِدَتْ نَارٌ لَنَا دُونَ طَارق * ولا ذَمّنا فى النازلين نَزِيل

وأيَّامُنا مَشْهُورة فى عَدُوِّنا * لها غُرَر مَعْلُومَة وحُجُول

وأسْيَافُنَا فى كل شَرْق وَمَغْرِب * بها من قِراع الدَّارعين فُلُول

مُعَوَّدَةٌ أن لا تُسَلّ نِصَالُها * فَتُغْمَد حتى يُسْتَبَاح قَبِيل

سَلِى إنْ جَهِلْتِ الناسَ عَنَّا وعَنْهُمُ * فليس سَوَاءً عالم وجَهُول

فانّ بَنِى الدَّيَّان قُطْبٌ لقَومهم * تَدُور رَحَاهم حَوْلَهُم وتَجُول

خطبة قس بن ساعدة الايادى جاهلى

يا أيّها الناس اسمَعُوا وَعُوا واذا وَعَيتم شيأ فانتفعوا انه مَن عاش مات ومَن مَاتَ فَاتَ وَكُلُّ مَاهُوَ آتٍ آتٍ مَطَرٌ ونَبَات وأرْزَاق وأقوات وآباءٌ وأمّهات وأحياء وأموات جَمْع وأشْتَات وآياتٌ بعدَ آيات انّ فى السماء لَخَبَرًا وانّ فى الارض لَعِبَرًا لَيْلٌ دَاجٍ وسَمَاءٌ ذاتُ أبْرَاج وأرضٌ ذات فِجَاج وبِحَارٌ ذَاتُ أمْوَاج مالى أرَى الناس

يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تُركوا هناك فناموا أقسم قسٌّ قسماً حقًّا لا حانثاً فيه ولا آثماً أنّ لله ديناً هو أحبّ اليه من دينكم الذى أنتم عليه ونبيًّا قد حان حينه وأظلّكم أوانه وأدرككم إبّانه فطوبى لمن أدركه فآمن به وهداه .وويلٌ لمن خالفه وعصاه ثم قال

تبًّا لأرباب الغفلة والأمم الخالية والقرون الماضية يامعشر إياد أين الآباء والأجداد وأين المريض والعوّاد وأين الفراعنة الشداد أين من بنى وشيّد وزخرف ونجّد أين المال والولد أين من بغى وطغى وجمع فأوعى وقال أنا ربكم الأعلى ألم يكونوا أكثر منكم أموالاً وأطول منكم آجالاً طحنهم الثرى بكلكله ومزّقهم بتطوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خالية عمّرتها الذئاب العاوية كلاّ بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم أنشأ يقول

فى الذاهبـــين الأولـــين من القرون لنا بصائرْ *
لمّا رأيت مـــوارداً * للمـــوت ليس لها مصادرْ
ورأيت قومى نحـــوها * تمضى الأصاغر والأكابرْ
لا يرجـــع الماضى اليـــك * ولا من الباقين غابرْ
أيقنت أنّى لامحـــالة * حيث صار القوم صائرْ

وأصيبت أعرابية بابنها وهى حاجّة فلما دفنته قامت على قبره وقالت

والله يابُنَىَّ لقد غَذَوْتُكَ رَضيعا وفَقَدْتُكَ سريعا وكأنه لم يكن بين الحالَين مُدَّة أَلْتَذّ بعيشك فيها فأصبحتَ بَعْدَ النَّضارة والغَضارة ورونق الحَياة والتَنَسُّم فى طِيب رَوَائحها تحتَ أطْباق الثَّرى جَسَدا هامدا ورُفَاتًا سحيقا وصَعيدا جُرُزًا أىْ بُنَىّ لقد سَحَبَت الدنيا عليك أذْيَالَ الفَنَا وأسْكَنَتْكَ دَارَ البِلَى ورَمَتْنِى بَعْدَكَ نَكْبَةُ الرَّدَى أى بُنَىّ لقد أسْفَرَ لى عن وجه الدُّنْيا صَبَاحُ دَاجٍ ظَلاَمُه . ثم قالت

أىْ رَبِّ ومنْكَ العَدْلُ ومن خَلْقكَ الجَوْر وهَبْتَه لى قُرَّة عَيْن فَلَمْ تُمَتِّعْنى به كَثيرا بَلْ سلبْتَنيه وَشِيكا ثُمَّ أمَرْتَنى بالصَبْر ووَعَدْتَنى عليه الأجْر فَصَدَّقْتُ وَعْدَكَ وَرَضِيتُ قَضَاءَكَ فَرَحم الله من تَرَاحَمَ على مَن اسْتَوْدَعْتُه الرَّدْم ووَسَّدْتُه الثَّرَى اللهمّ ارحمْ غُرْبَتَه وآنس وَحْشَتَه واسْتُرْ عَوْرَتَه يَوْمَ تُكْشَف الهَنَات والسَوْآت

فلما أرادت الرجوعَ الى أهلها قالت

أىْ بُنَىّ إنِّى قد تَزَوَّدْتُ لسَفَرى فَلَيْتَ شِعْرى مَازَادُكَ لبُعْد طَرِيقكَ ويَوْم مَعَادكَ اللهمّ إنّى أسْألُكَ له الرضى برِضَائى عنه . ثم قالت

اسْتَوْدَعْتُكَ مَن اسْتَوْدَعَكَ فى أحْشَائى جَنِينا وأثْكَلَ الوَالِدات

ماأمضّ حَرَارةَ قُلُوبهنّ وأقلَق مضاجعهنّ وأطوَل ليلهُنّ وأقصر نهارهُنّ وأقلّ أُنْسَهُنّ وأشَدّ وحشتهُنّ وأبعدهُنّ من السرور وأقربهنّ من الأحزان

وقالت الجمانة بنت قيس بن زُهير تنصح جدّها الربيع بن زياد

ان كان قيس أبي فانك ياربيع جدّي وما يجب له من حق الأبوة عليّ الا كالذي يجب عليك من حق البنوّة لي والرأيُ الصحيح تبعثه العناية وتُجلّي عن محضه النصيحةُ انك قد ظلمت قيسا بأخذ درعه وأجدُّ مكافأته إيّاك سوءُ عزمه والمعارض منتصر والبادي أظلم وليس قيس ممن يخوّف بالوعيد ولا يردعه التهديد فلا تركننّ الى منابذته فالحزم في متاركته والحرب متلفة للعباد ذهّابة بالطارف والتّلاد والسلم أرخى للبال وأبقى لأنفس الرجال وبحق أقولُ لقد صدعتُ بحكم وما يدفع قولي الا غير ذي فهم ثم أنشأتْ تقول

أبي لايرى أن يترُكَ الدهرَ درعه * وجدّي يرى أن يأخُذ الدرعَ من أبي
فرأيُ أبي رأيُ البخيل بماله * وشيمةُ جدّي شيمة الخائف الأبي

وقالت بنت حاتم للنبي صلى الله عليه وسلم

يا محمد هلَكَ الوالد وغابَ الوافد فان رأيتَ أن تُخَلّيَ عنّي فلا تُشمتْ بي أحياءَ العرب فاني بنتُ سيد قومي كانَ أبي يفُكّ العاني ويحمي الذمار

ويقري الضيف ويشبع الجائع ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا بنت حاتم طي فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ياجارية هذه صفة المؤمن لو كان أبوك اسلاميا لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق

وقال زهير بن أبي سلمى من معلقته المشهورة

وأعلم علم اليوم والأمس قبله * ولكنني عن علم ما في غد عمي

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب * تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

ومن لا يصانع في أمور كثيرة * يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم

ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه * الى مطمئن البر لا يتجمجم

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * وان يرق أسباب السماء بسلم

ومن يجعل المعروف في غير أهله * يكن حمده ذما عليه ويندم

ومن يعص أطراف الزجاج فانه * يطيع العوالي ركبت كل لهذم

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه * ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وكائنْ ترى من صامتٍ لك معجبٍ * زيادتُه أو نقصُـــه فى التـــكلُّمِ
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه * فلم يبـــقَ الا صورةُ اللحمِ والدمِ

غيلان بن سلمة عند كسرى (جاهلى)

خرج أبو سُفْيان فى جماعة من قريش يريدون العراق بتجارة فلما ساروا ثلاثا جمعهم أبو سفيان فقال لهم انّا من مسيرنا هذا لعلى خطر ماقدومنا على ملك جبار لم يأذن لنا فى القدوم عليه وليست بلاده لنا بمتجر ولكن أيكم يذهب بالعير فان أصيب فنحن براء من دمه وان غنم فله نصف الربح فقال غيلان بن سلمة دعونى اذاً فأنا لها فلما قدم بلاد كسرى تخلق ولبس ثوبين أصفرين وشهر أمره وجلس بباب كسرى حتى أذن له فدخل عليه وبينهما شباك من ذهب فخرج اليه الترجمان وقال له يقول لك الملك ماأدخلك بلادى بغير اذنى فقال قل له لست من أهل عداوة لك ولا أتيتك جاسوسا لضد من اضدادك وانما جئت بتجارة تستمتع بها فان أردتها فهى لك وان لم تردها وأذنت فى بيعها لرعيتك بعتها وان لم تأذن فى ذلك رددتها قال فانه ليتكلم اذ سمع صوت كسرى فسجد فقال له الترجمان يقول لك الملك لم سجدت فقال سمعت صوتا عاليا حيث لا ينبغى لاحد أن يعلو صوته اجلالا للملك فعلمت أنه لم يقدم على رفع الصوت هناك غير الملك فسجدت إعظاما له

قال فاستحسن كسرى مافعل وأمر له بمرفقة توضع تحته فلما أتى بها رأى عليها صورة الملك فوضعها على رأسه فاستجهله كسرى واستحمقه وقال للترجمان قل له انما بعثنا بهذه لتجلس عليها قال قد علمت ولكنى لما أتيت بها رأيت عليها صورة الملك فلم يكن حق صورته على مثلى أن يجلس عليها ولكن كان حقها التعظيم فوضعتها على رأسى لأنه أشرف أعضائى وأكرمها على فاستحسن فعله جدا ثم قال له ألك ولد قال نعم قال فأيهم أحب اليك قال الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ والغائب حتى يؤب فقال كسرى زه ماأدخلك على ودلك على هذا القول والفعل الا حظك فهذا فعل الحكماء وكلامهم وأنت من قوم جفاة لاحكمة فيهم فما غذاؤك قال خبز البر قال هذا العقل من البر لامن اللبن والتمر ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها وكساه وبعث معه من الفرس من بنى له أطما بالطائف فكان أول أطم بنى بها

صورة كتاب أرسله الاسكندر الى شيخه الحكيم أرسطو

يستشيره فيما يفعله بأبناء ملوك فارس بعد أن قتل آباءهم وتغلب على بلادهم (جاهلى)

عليك أيها الحكيم منا السلام أما بعد فان الأفلاك الدائرة والعلل السماوية وان كانت أسعدتنا بالأمور التى أصبح الناس لنا بها دائنين

وأنا حدٌّ واجدينَ لمَسّ الاضطرار الى حكمتكَ غيرُ جاحدينَ لفضلكَ والاقرار بمنزلتكَ والاستنامة الى مَشورتكَ والاقتداء برأيكَ والاعتماد لأمركَ وفهمكَ لما بلَوْنا من اجداء ذلكَ علينا وذُقنا من جَنَى منفعته حتى صار ذلكَ بنجوعه فينا وترسّخه في أذهاننا كالغذاء لنا فما ننفكّ نعوّل عليه ونستمدّ منه استمداد الجداول من البحور وتعويلَ الفروع على الأصول وقوّة الأشكال بالأشكال وقد كان مما سيّقَ الينا من النصر والفلج وأتيح لنا من الظفَر والقهر وبلّغنا في العدوّ من النكاية والبطش مايعجز القول عن وصفه ويقصر شكر المنعم عن موقع الانعام به وكان من ذلك أنْ جاوزْنا أرضَ سوريةَ والجزيرة الى بابلَ وأرض فارس فلمّا حللْنا بعقوةَ أهلها وساحة بلادهم لم يكن الاّ ريثما تلقّانا نفر منهم برأس ملكهم هديةً الينا وطلبًا للحظوة عندنا فأمرْنا بصلْب مَن جاء به وشهرته لسوء بلائه وقلّة ارعوائه ووفائه ثم أمرنا بجمع مَن كان هنالكَ من أولاد ملوكهم وأحرارهم وذوى الشرف منهم فرأينا رجالا عظيمةً أجسامهم وأحلامهم حاضرةً ألبابهم وأذهانهم رائعةً مناظرهم ومناطقهم دليلا على أنّ مايظهر من روائهم ومنطقهم وراءهُ من قوّة أيديهم وشدّة نجدتهم وبأسهم مالا يكون معه لنا سبيل الى غلبتهم واعطائهم بأيديهم لولا أنّ القضاء أدالنا منهمْ وأظفرنا بهم وأظهرنا عليهم ولمْ نرَ بعيدا من

الرأى فى أمرهم أنْ نَستأصل شأفتهم ونجتثّ أصلهم ونُلحقهم بمن مَضَى من أسلافهم لتسكُن القلوب بذلك الى الأمْن من جرائرهم وبوائقهم فرأينا أن لانعجل باسعاف بادئ الرأى فى قتلهم دون الاستظهار عليه بمشورتك فارفع الينا رأيك فيما استشرناك فيه بعد صحته عندك وتقليبك اياه بجلىّ نظرك والسلام لاهل السلام فليكن علينا وعليك

اجابة الحكيم ارسطو الى الملك بعد ديباجة طويلة

انّ لكلّ تُربة لامحالة قسما من الفضائل وانّ لفارس قسمها من النجدة والقوّة وانك انْ تقتُل أشرافهم تخلف الوضعاء على أعقابهم وتُورث سفلتهم منازل عليتهم وتغلّب أدنياءهم على مراتب ذوى أخطارهم ولم يبتَل الملوك قطّ ببلاء هو أعظم عليهم وأشدّ توهينا لسلطانهم من غلبة السفلة وذلّ الوجوه فاحذر الحذر كلّه أنْ تمكّن تلك الطبقة من الغلبة والحركة فانهم انْ نجم منهم بعد اليوم على جندك وأهل بلادك ناجم دهمهم منه مالا رويّة فيه ولابقيّة معه فانصرف عن هذا الرأى الى غيره واعمد الى من قبلك من أولئك العظماء والاحرار فوزّع بينهم مملكتهم وألزم اسم الملك كلّ من وليته منهم واعقد التاج على رأسه وان صغر ملكه فانّ المتسمّى بالملك لازم لاسمه والمعقود التاج على رأسه لايخضع

لغيره فليس ينشب ذلك أن يوقع كل ملك منهم بينه وبين صاحبه تدابرا وتقاطعا وتغالبا على الملك وتفاخرا بالمال والجند حتى ينسوا بذلك أضغانهم عليك وأوتارهم فيك ويعود حربهم لك حربا بينهم وحنقهم عليك حنقا منهم على أنفسهم ثم لايزدادون فى ذلك بصيرة الا أحدثوا لك بها استقامة ان دنوت منهم دنوا لك وان نأيت عنهم تعززوا بك حتى يثب من ملك منهم على جاره باسمك ويسترهبه بجندك وفى ذلك شاغل لهم عنك وأمان لاحداثهم بعدك وان كان لاأمان للدهر ولاثقة بالأيام وقد أديت الى الملك مارأيته لى حظا وعلى حقا من اجابتى اياه الى ماسألنى عنه ومحضته النصيحة فيه والملك أعلى عينا وأنفذ روية وأفضل رأيا وأبعد همة فيما استعان بى عليه وكلفنى تبيينه والمشورة عليه فيه لازال الملك متعرفا من عوائد النعم وعواقب الصنع وتوطيد الملك وتنفيس الأجل ودرك الأمل ماتأتى فيه قدرته على غاية أقصى ماتناله قدرة البشر والسلام الذى لاانقضاء له ولا انتهاء ولا غاية ولا فناء فليكن على الملك

انّ غداً لناظره قريب

أى لمنتظره يقال نظرته أى انتظرته وأول من قال ذلك قراد ابن أجدع وذلك أنّ النعمان بن المنذر خرج يتصيد على فرسه اليحموم

فأجْراه على إثْر عَيْر فذهب به الفَرَس فى الارض ولم يقدر عليه وانْفَرَد عن أصحابه وأخَذَتْه السماءُ فَطَلَب مَلْجَأً يَلْجأُ اليه فَدَفَع الى بناء فاذا فيه رَجُلٌ من طَيّئ يقال له حَنْظَلة ومعه امرأة له فقال لهما هَلْ من مَأوًى فقال حنظلة نَعَمْ نَخرج اليه فأنْزَلَه ولم يَكُنْ للطّائىّ غَيْرُ شاة وهو لا يعْرِف النُّعْمان فقال لامرأته أرَى رَجُلاً ذا هَيْئة وما أخْلَقَه أن يكون شريفا خَطيرا فَمَا الحيلة قالت عندى شئ من طَحين كنتُ ادَّخَرْتُه فاذْبَح الشاةَ لأتَّخذ من الطّحين مَلّةً قال فأخْرَجَت المَرْأةُ الدَّقيق نَخَبَزَتْ منه مَلّةً وقام الطائىّ الى شاته فاحْتَلَبَها ثم ذَبَحها فاتَّخذ من لحمها مَرَقة مَضيرة وأطْعَمَه من لَحْمها وسقاه من لَبَنها واحْتَالَ له شَرَابًا فسقاه وجَعَل يُحَدّثه بقيّةَ لَيْلَته فلَمّا أصْبَحَ النعمان لبس ثيابَه وركِبَ فَرَسه ثم قال يا أخا طيّئ اطلُبْ ثوابكَ أنا المَلِكُ النُّعمان قال أفْعَلُ انشاء اللهُ ثم لحق الخيلَ فمضى نحو الحيرة ومكَث الطائى بعد ذلك زمانا حتى أصابته نَكْبَةٌ وجَهْدٌ وساءت حَالُه فقالت له امرأتُه لو أتَيْتَ المَلِكَ لأحسن اليكَ فأقْبَل حتى انتهى الى الحيرة فوافق يومَ بُؤس النعمان فاذا هو واقف فى خَيْله فى السلاح فلما نظر اليه النعمان عَرَفه وساءه مكانُه فوقَفَ الطائى المَنْزُول به بين يَدى النعمان فقال له أنت الطائى المنزول به قال نعم قال أفلاَ جئتَ فى غير هذا اليوم قال أبَيْتَ اللَّعْنَ وما كان علِّى بهذا اليوم قال

والله لو سنح لى فى هـذا اليوم قَابُوس ابنى لم أجدْ بُدًّا من قتْله فاطْلُبْ حاجَتَكَ من الدنيا وسل ما بَدَالك فانكَ مَقْتُول قال أبيْتَ اللّعْنَ وما أصْنَع بالدُّنيا بعد نَفْسى قال النعمان انَّه لا سَبيلَ اليها قال فان كان لابُدّ فأجِلْنى حتى أُلمَّ بأهْلى فأوصى اليهم وأهَيِّئَ حالَهُمْ ثم أنْصَرف اليكَ قال النعمان فأقِمْ لى كفيـلا بُوَافاتكَ فالتَفَتَ الطـائى الى شَريكَ بن عمرو بن قيس من بنى شَيْبَان وكان يُكْنَى أبا الحَوفَزَان وكان صاحبَ الرِّدافَة وهو واقف بجَنْب النعمان فقال له

يا شريكا يا بنَ عمـرو * هل من َالموت مَحَالَهْ

يا أخا كل مُضَــاف * يا أخا مَن لا أخا لَهْ

يا أخا النعمـان فُكَّ الْـ * ـيَوْمَ ضَيفا قد أتَى لَهْ

طَالمَا عَالجَ كَرْبَ الْـ * ـمَوْت لا يَنْـعم بَالَهْ

فَأبَى شَريكٌ أن يَتَكَفّل به فوَثَبَ اليه رجل من كَلْب يقال له قُرَادُ ابن أجْدَع فقال للنعمان أبيْتَ اللّعْن هو عَلَىّ قال النعمان أفَعَلْتَ قال نَعَمْ فَضَمَّنَهُ إيّاه ثم أمَرَ للطائى بخَمْسمائة ناقة فَمَضَى الطائى الى أهله وجَعَل الأجَل حَوْلا من يَومه ذلك الى مِثْل ذلك اليوم من قابل فلمّا حالَ عليه الحول وبَقى من الأجَل يومٌ قال النعمان لقُرَاد ما أراك الاّ هَالكا غَدًا فقال قراد

فان يك صدرُ هذا اليوم وَلّى * فانّ غدًا لناظره قريب

فلما أصبح النعمان ركبَ فى خَيْله ورَجْله متسلّحا كما كان يفعل حتى أتى الغَرِيّيْن فوقف بينهما وأخْرَج معَه قُرادًا وأمَرَ بقتْله فقال له وُزَرَاؤه ليس لك أن تَقْتُله حتى يستوفى يَوْمه فتَركه وكان النعمان يشتهى أنْ يَقْتل قُرادُ ليُفْلتَ الطائى من القتْل فلما كادت الشمس تجب وقُرادُ قائم مجرَّد فى ازار على النطع والسيّاف الى جَنْبه أقبلَت امرأته وهى تقول

أيا عَيْنُ بَكّى لى قُرادَ بْنَ أجْدَعَا * رَهينا لقتْل لا رَهينا مُوَدَّعَا

أتته المنايا بَغْتَةً دُونَ قَوْمه * فأمْسَى أسيرًا حاضرَ البيْتِ أضْرَعَا

فبيْنَما هم كذلك اذْ رُفع لهم شخْصٌ من بعيد وقد أمَرَ النُّعمان بقتْل قُرَاد فقيل له ليس لك أنْ تقتُلَه حتى يأتيكَ الشخْص فتَعْلم مَنْ هُو فكف حتى انتهى اليهم الرَّجُل فاذا هو الطائىُّ فلمّا نظَر اليه النُّعْمان شقّ عليه مجيئُه فقال له ما حَمَلَكَ على الرُّجوع بعْد افْلاتكَ من القتْل. قال الوَفَاءُ قال وما دَعَاكَ الى الوَفَاء قال دينى قال النعمان وما دينُكَ قال النصرانيةُ قال النعمان فاعْرِضْها علَىّ فعَرَضَها عليه فتَنَصّر النعمان هو وأهْلُ الحيرة أجمعون وكان قبل ذلك على دين الجاهلية فترَكَ القتْل مُنْذُ ذلك اليوم وأبْطَل تلكَ السُّنّة وأمَرَ بهدْم الغَرِيّيْن وعفَا عن قُرَاد والطائىّ.

وقال والله ماأدرى أيهما أوفى وأكرم أهذا الذى نجا من القتل فعاد أم الذى ضمنه والله لا أكون ألأم الثلاثة فأنشأ الطائى يقول

ما كنت أخلف ظنه بعد الذى * أسدى الى من الفعال الخالى

ولقد دعتنى للخلاف ضلالتى * فأبيت غير تمجدى وفعالى

انى امرؤ منى الوفاء سجية * وجزاء كل مكارم بذال

وقال أيضا يمدح قرادا

ألا إنما يسمو الى المجد والعلى * مخاريق أمثال القراد بن أجدعا

مخاريق أمثال القراد وأهله * فانهم الاخيار من رهط تبعا

انتهى هذا هو المشهور والصحيح ان صاحب الغريين ويوم البؤس هو المنذر الاكبر

ان أخاك من آساك

يقال آسيت فلانا بمالى أو غيره اذا جعلته أسوة لك وواسيت لغة فيه ومعنى المثل أن أخاك حقيقة من قدمك وآثرك على نفسه يضرب فى الحث على مراعاة الاخوان وأول من قال ذلك خزيم بن نوفل الهمدانى وذلك ان النعمان بن ثواب العبدى ثم الشنى كان له بنون ثلاثة سعد وسعيد وساعدة وكان أبوهم ذا شرف وحكمة وكان يوصى بنيه ويحملهم على أدبه أما ابنه سعد فكان شجاعا بطلا من شياطين العرب

لايُقام لسبيله ولم تَفُتْه طَلبتُه قط ولم يَفِرّ عن قِرْن وأمّا سعيد فكان يُشْبه أباه في شَرفه وسُودَده وأمّا ساعدة فكان صاحبَ شَراب ونَدَامى وإخْوَان فلمّا رأى الشيخُ حالَ بَنِيه دعا سعدا وكان صاحبَ حَرْب فقال يابُنيّ انّ الصّارم يَنْبُو والجَوَاد يكْبُو والأثَر يَعْفُو فاذا شَهدتَ حَرْبا فرأيْتَ نَارَها تَستَعِر وبَطَلَها يَخْطِر وبَحْرَها يَزْخَر وضَعيفَها يُنصَر وجَبانَها يَجْسُر فأقْلِل المُكْث والانتظار فان الفرَار غَيْرُ عَار اذا لَم تكُن طَالبَ ثار فانّما يُنْصَرون هُمْ وإيّاكَ أن تكونَ صَيد رِمَاحها ونَطيح نطَاحها وقال لابْنه سعيد وكان جَوَادا يابُنيّ لايَبْخَل الجوَاد فابْذُل الطَارفَ والتـلاَد وأقْلِل التّلاَح تُذْكَر بالسَماح وابْلُ إخْوَانَكَ فانّ وَافِيهم قَليل واصْنَع المَعْروف عند مُحْتَمِله وقال لابْنه ساعدة وكان صاحبَ شَرَاب يابُنيّ انّ كَثْرَة الشَرَاب تُفْسد القَلْب وتُقَلّل الكَسْب فأبْصِر نَديمَكَ واحْمِ حَرِيمَكَ وأعِن غَريمَكَ واعلم أن الظَّمأ القَامِح خَيْرٌ مِنَ الرِّيّ الفَاضِح وعليكَ بالقَصْد فانّ فيه بَلاَغا ثم انّ أباهُم النُّعمان بنَ ثَوَاب تُوُفّي فقال ابنُه سَعيد وكان جَوَادا سَيّدا لآخُذَنّ بوَصيّة أبي ولأبْلُوَنّ اخْوَاني وثِقَاتي في نفسي فعَمَد الى كَبْش فذبَحَه ثم وضعه في ناحية خِبائه وغَشّاه ثوبا ثم دعا بعضَ ثقاته فقال يافلان ان أخاكَ مَن وَفى لكَ بعَهده وحاطَكَ بِرِفْده ونَصَرَكَ بوُدّه قال صَدَقْت فهل حَدَث أمْرٌ قال نعم انّي

قَتَلْتُ فُلَانا وهو الذى تَرَاه فى نَاحِيةِ الخِباء ولابُدّ من التّعاوُن عليه حتى يُوَارَى فَمَا عندكَ قال يَالَها سَوْأَة وقَعْتَ فيها قال فانّى أريد أن تُعينَنى عليه حتّى أُغَيِّبَه قال لَسْتُ لكَ فى هذا بصَاحِب فتَرَكَه وخرج فبعَثَ الى آخَرَ من ثقَاته فأَخْبَرَه بذلكَ وسأَلَ مَعُونَتَه فرَدّ عليه مثلَ ذلكَ حتى بعث الى عَدَد منهم كُلّهم يَرُد عليه مثلَ جواب الاوّل ثم بعث الى رجل من اخوانه يقال له خُزَيم بن نَوْفل وقال له ياخُزَيم مالى عنـدكَ قال ما يَسُرّكَ وما ذَاكَ قال انّى قَتَلْتُ فلانا وهو الذى تَراه مُسَجًّى قال أَيْسَر خَطْب فتُريد مَاذَا قال أريد أن تُعينَنى حتّى أُغَيِّبَـه قال هَانَ مافَزِعْتَ فيـه الى أخيكَ وغُلَام سعيد قائم مَعَهُما فقال له خُزَيم هل اطّلَع على هذا الأمْر أحَدٌ غير غُلَامكَ هذا قال لا قال انْظُرْ ما تَقُول قال ماقُلْتُ الّا حَقًّا فأهْوَى خُزَيم الى غُلامه فضَرَبه بالسيف وقَتَله وقال ليس عَبْـد أخًا لَكَ فأرْسلهَا مثلا وارتاع سعيد وفَزِع لقَتْل غُلامه فقال وَيْحكَ ماصنَعْتَ وجَعَل يَلُومه فقال خُزَيم انّ أخَاكَ من آسَاكَ فأرْسَلَها مَثَلًا قال سعيد فانّى أرَدْت تَجْرِبَتَكَ ثم كَشَفَ عن الكَبْش وخَبّره بما لَقِىَ من إخْوانه وثقَاته وما ردّوا عليه فقال خزيم سبَقَ السَّيْفُ العَذَل فذَهَبَتْ مَثَلًا

ألاَ مَنْ يَشْتَرِى سَهَراً بِنَوْم

قالوا أنّ أوّل من قال ذلكَ ذُو رُعَيْنِ الحِمْيَرِى وذلكُ انّ حِمْيَرَ تَفَرَّقَتْ على مَلِكها حَسّان وخَالَفَتْ أَمْرَهُ لسوء سيرته فيهم ومالوا الى أخيه عَمْرو وحَمَلُوه على قَتْل أخيه حسان وأشاروا عليه بذلك ورغّبوه فى المُلْك ووعدوه حُسْنَ الطاعة والمُوَازَرة فَنَهَاه ذُو رُعَيْنٍ من بين حِمْيَرَ عن قَتْل أخيه وعلم أنّه ان قَتَل اَخَاه نَدم ونَفر عَنْه النَّوم وانتقضت عليه أُمُورُه وأنّه سيُعَاقِب الذى اَشَار عليه بذلكُ ويَعْرِف غشّهم له فلمّا رأى ذُو رُعَين انّه لا يَقْبَل ذلكُ منه وخَشِىَ العواقبَ قال هذين البيتين الآتِيَيْن وكتبهما فى صحيفة وختم عليها بخاتم عمرو وقال هذه وديعة لى عندكَ الى أن أطلبها منكَ فأخذها عمرو فدفعها الى خازنه وأمَرَه برَفْعها الى الخزانة والاحتفاظ بها الى أن يَسأل عنها فلمّا قَتَل أخاه وجلس مَكَانَه فى المُلْكِ مُنِع منه النَّوْم وسُلِّط عليه السَهَر فَلَمّا اشتدّ ذلكُ عليه لَمْ يَدَعْ باليَمن طَبيبا ولا كَاهنا ولا مُنَجِّما ولا عَرّافا ولا عَائفا الاّ جَمَعَهُم ثم أخْبَرَهم بقصّته وشَكَا اليهم مابه فقالوا له ماقَتَل رَجُلٌ أخَاهُ أوْ ذَا رَحِم منــه على نحو ماقَتَلْتَ أخَاكَ الاّ أصَابَهُ السَهَر ومُنِع منه النَوْم فلما قالوا له ذَلكُ أقْبَل على مَن كَانَ أشَارَ عليه بقَتْل أخيه وسَاعَدَه عليه من أقْيَال حِمْيَرَ فقَتَلَهُم حَتّى أفْنَاهُم فَلَمّا وَصَــل الى ذى رُعَيْن قال له أيُّها المَلكُ انّ لى عنْدَكَ بَرَاءَةً مما تُرِيد أنْ

تَصْنَع بى قال وما بَرَاءتُكَ وأَمَانُكَ قال مُرْ خَازِنَكَ أَنْ يُخْرِج الصَحيفة التى اسْتَوْدَعْتُكَهَا يومَ كذا وكذا فأمَر خازنَه فأَخْرَجَها فنظر الى خاتمه عليها ثم فَضّها فاذا فيها

أَلَا مَن يَشْتَرى سَهَرًا بِنَوْمٍ ✱ سَعيدُ مَن يَبيتُ قَرِيرَ عَيْنِ
فَأَمّا حِمْيَرٌ غَـدَرَتْ وَخَانَتْ ✱ فَمَعْـذِرَةَ الالهِ لذى رُعَيْنِ

ثم قال أيُّها المَلِكُ قد نَهَيْتُكَ عن قَتْل أَخيكَ وعَلِمْتُ أَنّكَ ان فَعَلْتَ ذلكَ أَصَابَكَ الذى قد أَصابكَ فَكَتَبْتُ هذين البَيْتَين بَرَاءةً لى عندكَ مما عَلِمْتُ أَنّكَ تَصْنَع بمَن أَشَارَ عَليكَ بقَتْـل أخيكَ فقَبِـل ذلكَ منه وعَفَا عنه وأَحْسن جَائزَتَه

انّ العَصَا من العُصَيَّة

قال أبو عبيد هكذا قال الاصْمَعىّ وأنَا أَحْسبُه العُصَـيّة من العَصَا الا أن يُرَاد أنّ الشىءَ الجليل يكون فى بَدْء أَمْرِه صَغيرا كما قالوا انّ القَرْم منَ الأَفيل فَيَجُوز حينئذ على هذا المعنى أن يُقَال العَصَا من العُصَـيَّة قال المُفَضّـل أوّل مَن قال ذلكَ الأَفْعى الجُرْهُمىّ وذلكَ أنّ نِزَارًا لمّا حَضَرَتْه الوَفَاةُ جَمَعَ بَنيه مُضَرَ وإيَادًا ورَبيعَةَ وأَنْمَارًا فقـال يابَنِىّ هذه القُبّة الحَمْرَاء وكانت من أَدَم لمُضَرَ وهذا الفَرَس الأَدْهَم والخِبَاء الأَسْوَد لرَبيعَةَ وهـذه الخَادم وكانَتْ شَمْطَاءَ لاياد وهذه البَدْرَة والمَجْلس لأَنْمار

مَجْلس فيـــه فإنْ أشْكَل عليكم كيفَ تقتسمون فأتوا الأفعى الجرهمي ومنزله بنجران فتشاجروا فى ميراثه فتوجّهوا الى الأفعى الجرهمي فبينماهم فى مسيرهم اليــه اذ رأى مضر أثر كلأ قد رُعى فقال انّ البعير الذى رعى هذا لأعور قال ربيعة انّه لأزور قال إياد انّه لأبتر قال أنمار انّه لشرود فساروا قليلا فاذا هم برجل ينشد جمله فسألهم عن البعير فقال مضر أهو أعور قال نعم قال ربيعــة أهو أزور قال نعم قال إياد أهو أبتر قال نعم قال أنمار أهو شرود قال نعم وهـذه والله صفة بعيرى فدلّونى عليه قالوا والله مارأيناه قال هذا والله الكذب وتعلّق بهم وقال كيف أصدّقكم وأنتم تصفون بعيرى بصفته فساروا حتى قدموا نجران فلمّا نزلوا نادى صاحب البعير هؤلاء أخذوا جملى ووصــفوا لى صـفته ثم قالوا لم نره فاختصموا الى الأفعى وهو حكم العرب فقال الأفعى كيف وصفتموه ولم تروه قال مضر رأيته رعى جانبا وترك جانبا فعلمت أنه أعور وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة الأثر والاخرى فاسدته فعلمت أنه أزور لأنه أفســده لشــدّة وطئــه لازوراره وقال إياد عرفت أنه أبتر باجتماع بعره ولو كان ذيّالا لمصع به وقال أنمار عرفت أنه شرود لأنه كان يرعى فى المكان الملتف نبته ثم يجوزه الى مكان أرق منه وأخبث نبتا فعلمت أنه شرود فقال للرجل ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبــه ثم

سألهم مَنْ أنتم فأخبروه فرحّب بهم ثم أخبروه بما جاء بهم فقال أتحتاجون الحىّ وأنتم كما أرى ثم أنزلهم فذبح لهم شاةً وأتاهم بخمر وجلس لهم الأفعى حيثُ لا يُرى وهو يسمع كلامهم فقال ربيعةُ لم أرَ كاليوم لحماً أطيبَ منه لولا أنّ شاتَهُ غُذيتْ بلبن كلبة فقال مُضَرُ لم أرَ كاليوم خمراً أطيبَ منه لولا أنّ حُبلتها نبتتْ على قبر فقال إيادُ لم أرَ كاليوم رجلاً أسرى منه لولا أنّه ليس لأبيه الذى يُدعى لهُ فقال أنمار لم أرَ كاليوم كلاماً أنفعَ فى حاجتنا من كلامنا وكان كلامُهم بأذنه فقال ما هؤلاء الاّ شياطين ثم دعا القهرمانَ فقال ما هذه الخمرُ وما أمرُها قال هى من حُبلة غرستُها على قبر أبيكَ لم يكن عندنا شرابُ أطيبُ من شرابها وقال للراعى ما أمرُ هذه الشاة قال هى عناقٌ أرضعتُها بلبن كلبة وذلك أنّ أمّها كانت قد ماتتْ ولم يكنْ فى الغنم شاةٌ ولدت غيرها ثم أتى أمّه فسألها عن أبيه فأخبرته أنها كانتْ تحتَ ملكٍ كثير المال وكان لا يُولَدُ له قالتْ فخفتُ أنْ يموتَ ولا ولدَ له فيذهب الملكُ فأمكنتُ من نفسى ابنَ عمّ له كان نازلا عليه فخرج الأفعى إليهم فقصّ القومُ عليه قصّتهم وأخبروه بما أوصى به أبوهُمْ فقال ما أشبهَ القُبّةَ الحمراء من مالٍ فهو لمُضر فذهب بالدنانير والأبل الحُمر فسُمّى مُضَرُ الحمراء لذلك وقال وأمّا صاحبُ الفرس الأدهم والخباء الأسود فلهُ كلُّ

شيءٌ أسْوَد فصارت لرَبيعة الخيْل الدُّهْم فقيل ربيعة الفَرَس وما أشبه الخادمَ الشَّمطاء فهو لأياد فصار له الماشيَة البُلْق من الحَبلّق. والنَّقد فسُمّي إياد الشَّمطاء وقضى لأنمار بالدَّراهم وبما فضَل فسمّي أنمار الفَضْل فصَدَروا من عنده على ذلك فقال الأفعى إنّ العَصا من العُصَيّة، وإن خُشَيْنا من أخْشَن ومساعدة الخاطل تُعدّ من الباطل فأرسلهنّ مثلا وخُشَيْن وأخْشَن جبلان أحدُهما أصغر من الآخر والخاطل الجاهل والخَطَل في الكلام اضْطرابه والعُصَيّة تصْغير تكْبير مثْل أنا عُذَيْقُها المُرَجَّب وجُذَيْلُها المحكّك والمراد أنّهم يشْبهون أباهُم في جَوْدة الرأي وقيل انّ العصَا اسمُ فرَس والعُصَيّة اسم أمّه يُراد أنّه يحْكي الأم في كَرَم العرْق وشَرَف العتْق

خطب يسير في خطب كبير

قاله قَصير بن سَعْد اللخْمي لجذيمة بن مالك بن نَصْر الذي يقال له جَذيمة الأبْرَش وجَذيمة الوَضّاح والعرب تقول للذي به البَرَص به وضَح تفاديًا من ذكْر البَرَص وكان جَذيمة مَلكَ ما على شاطئ الفُرات وكانت الزّبّاء ملكة الجزيرة وكانت منْ أهل باجَرْما وتتكلّم بالعربيّة وكان جَذيمة قد وتَرها بقتْل أبيها فلما استجمع أمرُها وانتظم شَمْلُ مُلْكها أحبّت أنْ تغْزُو جَذيمة ثم رأت أنْ تكْتُب اليه أنّها لَم تجدْ مُلْكَ النّساء إلّا قبيحا

فى السّماع وضَعْفًا فى السُّلطان وأنّها لَمْ تَجِدْ لمُلكها موضعا ولا لنَفْسها كُفُؤا غَيْرَكَ فأقْبِلْ الىَّ لأجْمع مُلْكى الى مُلْكك وأصل بلادى ببلادك وتُقَلَّد أمْرى مع أمْرك تريد بذلك الغَدْر فلما أتَى كتابُها جَذيمةَ وقدم عليه رُسلها استخفّه مادَعَتْه اليه ورَغِب فيما أطْمَعَتْه فيه فجمع أهْلَ الحِجَا والرأى من ثقاته وهو يومئذ ببَقّة من شاطئ الفُرات فَعَرَض عليهم مادَعَتْه اليه وعَرَضَتْه عليه فاجْتَمَعَ رأيُهم على أن يَسير اليها فيستَوْلى على مُلْكها وكان فيهم قَصير وكان أريبًا حازما أثيرا عند جَذيمة فخالَفَهُمْ فيما أشَارُوا به وقال رَأىٌ فاتر وغَدْر حاضر فذَهَبَتْ كلمته مَثَلا ثم قال لجَذيمة الرَّأى أنْ تَكْتُب اليها فان كانت صادقة فى قَوْلها فَلْتُقْبِلْ اليكَ والاَّ لم تُمَكِّنْها من نَفْسكَ ولم تَقَعْ فى حِبالَتها وقد وَتَرْتَها وقتَلْتَ أباها فلم يُوافق جَذيمة ماأشار به فقال قصير

إنّى امْرُؤٌ لاعَيلُ العَجْزُ تَرْويَتى * اذا أتَتْ دُونَ شَأْنى مرّةُ الرِّذَم

فقال جَذيمة لاَ ولَكنّكَ امْرُؤٌ رَأيُكَ فى الكِنّ لافى الضّحِّ فذهَبَتْ كلمتهُ مَثَلا ودَعَا جذيمة عَمْرو بنَ عَدىّ ابنَ أخْتِه فاستشاره فشجّعه على المسير وقال انَّ قَوْمى مع الزَّباء ولَوْقَدْ رَأوْكَ صاروا مَعَكَ فأحَبَّ جَذيمة ماقاله وعَصَى قصيرا فقال قَصير لايُطاع لقَصير أمْرٌ فذَهَبَتْ مَثَلًا واسْتَخْلَف جَذيمةُ عَمْرو بنَ عَدىّ عَلَى مُلْكه وسُلْطانه وجَعَل عَمْرو بنَ عَبد الجِنّ معه

على جُنُوده وخُيُوله وسار جذيمـة فى وُجُوه أصحـابه فأخذ على شاطئ الفُرات من الجانب الغَرْبِىّ فلمّا نزل دعا قصيرا فقال ماالرأىْ ياقصير فقال قصير ببَقّة خَلَّفْتُ الرَّأىَ فذهَبَتْ مَثلا قال وما ظَنُّكَ بالزَّبَّاء قال القَوْلُ رِدَاف والحَزْم عَثَراتُه تُخَاف فذهبت مثلا واستَقْبلَه رُسُل الزَّبَّاء بالهَدَايا والألْطاف فقال ياقصير كيف ترَى قال خَطْبٌ يَسير فى خَطْب كَبير فذهبت مثلا وستَلْقَاكَ الخُيُول فانْ سَارَتْ أَمَامَكَ فالمرأة صادقة وان أخَذَت جَنْبَتَيْـكَ وأحَاطَتْ بكَ من خَلْفِـكَ فالقَوْم غَادِرُون بكَ فارْكَبْ العَصَا فانّه لايُشَقّ غُبَارُها فذَهَبَت مَثَـلا وكانت العصا فرسا لجذيمة لاتُجَارَى وإنّى رَاكِبُها ومُسَايِرُكَ عليها فلَقِيَتْه الخُيُول والكَتَائب فحَالَتْ بَيْنَـه وبين العَصَا فرَكِبها قَصير ونظر اليه جَذيمة على مَتْن العصا مُوَلّيا فقـال وَيْل أمّه حَزْما على مَتْن العَصَـا فذَهَبَتْ مثـلا وجَرَت به الى غروب الشمس ثم نَفَقَتْ وقد قَطَعَت أرْضا بَعِيـدة فبَنَى عليها بُرْجا يقـال له بُرْج العَصَـا وقالت العـرب خَيْرٌ مّاجَاءت به العَصَا فذهبت مثلا وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيـل حتى دَخَل على الزَّبَّاء فرآها على غير أُهْبة العَرُوس فقـال بلَغ المَدَى وجَفّ الثَّرَى وأمْرَ غَدْر أرَى فذهبت مثـلا ودعَتْ بالسـيف والنطَع ثم قالت انّ دمَاءَ المُلُوكِ شفَاء من الكَلَب فأمَرَتْ بطَسْت من ذَهَب قد أعَدّتْه له فَسَـقَتْه الخَمْر حتى

سَكِرٍ وأخَذَت الخَمْرُ منه مَأْخَذَها فأمَرَتْ براهِشَيْه فقُطعا وقَدّمتْ اليـه الطَّسْتَ وقد قيل لها إنْ قَطَر من دَمه شىءٌ فى غير الطَّسْت طُلب بدَمه. وكانت المُلُوك لاتُقْتَل بضَرْب الأعْناق إلّا فى القتَال تَكْرمة للمَلك فلمّا ضَعُفَتْ يَدَاهُ سَقطتَا فَقَطَر من دَمه فى غير الطست فقالت لاتُضَيّعوا دَمَ المَلك فقَالَ جَذيمة دَعُوا دمًا ضَيَّعه أهْلُه فذهبت مثلا فهَلَكَ جذيمة وجَعلَت الزَّبَاء دَمَه فى رَبْعَة لها وخَرَج قَصير من الحَىّ الذى هَلكَت العَصَا بَيْنَ أظْهُرهم حتى قَدم على عَمْرو بن عَدىّ وهو بالحيرة فقال له قَصير أثَائِرٌ أنْتَ قال بَلْ ثائِرٌ سائِرٌ فذَهَبَتْ مثلا ووافَقَ قصيرَ الناسَ وقد اخْتَلَفُوا فصَارت طائفة مع عَمْرو بن عَدىّ اللَّخْمى وجماعة منهم مع عمرو ابن عبد الجنّ الجَرْمىّ فاخْتَلَف بينهُما قصير حتى اصْطَلَحَا وانقَاد عَمْرو بن عَبْد الجِنّ لعَمرو بن عَدىّ فقال قصير لعَمرو بن عَدىّ تَهَيّأ واسْتَعدّ ولا تُطُلَّنّ دَمَ خَالك قال وكَيْف لى بها وهى أمْنَعُ من عُقَاب الجَوّ فذهَبَتْ مَثَلاً وكانت الزَبّاء سَألَتْ كَاهِنَةً لهـا عن هَلاكِها فقالت أرَى هَلاكَكِ بسبَبِ غُلَام مَهين غَيْر أمين وهو عَمْرو بن عَدىّ ولَنْ تَمُوتى بيَده ولـكن حَتْفُكِ بيَدكِ ومنْ قبَله ما يَكُونُ ذَلكَ فَحَذرتْ عمرا واتَّخَذَتْ لها نَفَقًا من مَجْلسها الذى كانت تَجْلس فيــه الى حصْن لهـا فى داخل مَدينَتها وقالت ان فَجأنى أمْرٌ دَخَلْتُ النَفَق الى حصْنى ودَعَتْ رَجُـلا مصَوِّرا

منْ أجْوَد أهْل بلادهم تصويرا وأحسنهم عَمَلا بِحَضْرَتْه وأحْسَنَتْ اليـه وقالت سرْ حَتّى تَقْدَمَ على عَمْرو بن عَدىّ مُتَنَكّرا فَتَخْلُو بِحَشَمه وتَنْضَمّ اليْهم وتُخَالطُهم وتُعْلمُهم ماعنْـدَكَ من العـلْم بالصُّور ثم أثْبتْ لى عَمْرو ابنَ عدىّ مَعْرِفَةً فَصَوّرْهُ جالسا وقائما وراكبا ومتفضّلا ومتسلّحا بهَيأته ولبْسته ولَوْنه فاذا أحْكَمْتَ ذلكَ فَأقْبلْ الىّ فانْطَلَقَ المُصَوّر حتى قدم على عمرو بن عدى وصَـنَع ماأمَرَتْه به الزّباء وبَلَغ من ذلكَ ماأوْصَـتْه به ثم رجَعَ الى الزباء بعَمَل ماوَجّهَتْه له من الصُّورة على ماوَصَفَتْ وأرَادَتْ أنْ تَعرف عَمْرو بنَ عدى فلا تَرَاه على حال إلاّ عَرَفَتْه وحَذرَتْه وعَلمَتْ علَه فقال قصير لعمرو بن عدى اجْدَعْ أنْفى واضْربْ ظَهْرى ودَعْنى وإيّاها فقال عمرو ماأنَا بفَاعل وما أنْتَ لذلكَ مُسْتَحقّا عندى فقال قصير خَلّ عَنّى اذًا وخَلاكَ ذَمٌّ فذهبت مثلا فقال له عمرو فأنْتَ أبْصَر فجَدَع قصير أنفه وأثّر آثارا بظَهْره فقالت العرب لامرٍ مّا جَدَع قَصير أنْفَه وفى ذلكَ يقول المتلمس

وفى طَلَب الاوْتَار ماحَزّ أنْفَـه ＊ قَصير ورَامَ المَوْتَ بالسيف بَيْهس

ثم خَرَج قصير كأنّهُ هاربٌ وأظْهَرَ أنّ عمرًا فَعَل ذلكَ به وأنّهُ زَعَم أنّه مَكَرَ بخاله جَذيمة وغَرّه من الزّباء فسار قصير حتى قدم على الزباء فقيلَ لها ان قصيرا بالباب فأمَرَتْ به فأدْخل عليها فاذا أنْفُهُ قد جُدع وَظَهره

قد ضُرِب فقالت ماالذى أرى بكَ ياقصير قال زعم عمرو أنّى قد غررتُ خالَه وزيّنتُ له المَصير اليكِ وغششته ومالأتُكِ ففعل بى ماترين فأقبلتُ اليكِ وعرفتُ أنّى لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منكِ فأكرمته وأصابت عنده من الحَزم والرأى ماأرادت فلمّا عرف أنّها استرسلت اليه ووثقت به قال إنّ لى بالعراق أموالا كثيرة وطرائف وثيابا وعطرا فابعثينى الى العراق لأحمل مالى وأحمل اليكِ من بُزورها وطرائفها وثيابها وطيبها وتُصيبين فى ذلك أرباحا عظاما وبعض مالاغنى بالملوك عنه وكان أكثر مايُطرفها من التمر الصَّرَفان وكان يُعجبها فلم يزل يُزيّن ذلك حتى أذنت له ودفعت له أموالا وجهّزت معه عبيدا فسار قصير بما دفعت اليه حتى قدم العراق وأتى الحيرة متنكّرا فدخل على عمرو فأخبره الخبر وقال جهّزنى بصنوف البزّ والأمتعة لعلّ الله يُمكّن من الزبّاء فتُصيب ثأرك وتقتل عدوّك فأعطاه حاجته فرجع بذلك الى الزبّاء فأعجبها مارأت وسرّها وازدادت به ثقة وجهّزته ثانية فسار حتّى قدم على عمرو فجهّزه وعاد اليها ثم عاد الثالثة وقال لعمرو اجمع لى ثقات أصحابك وهيّئ الغرائر والمسوح واحمل كلّ رجلين على بعير فى غرارتين فاذا دخلوا مدينة الزبّاء أقمتُك على باب نفقها وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة فمن قاتلهم قتلوه وان أقبلت الزبّاء تريد النفق جلّلتها بالسيف ففعل

عَمْرو ذلكَ وحَمَلَ الرِّجالَ في الغَرائر بالسلاح وسارَ يكْمُنُ النَّهارَ ويَسير اللَّيلَ فلما صار قريبا من مَدينَتِها تَقَدَّم قصير فَبَشَّرَها وأعْلَمَهَا بما جاء به مِنَ المَتاع والطَرائف وقال لها آخر البَزّ على القَلوص فأرْسلَها مَثَلاً وسألَها أنْ تَخْرُج فتَنْظُر الى ما جاء به وقال لها جئتُ بما صاء وصَمَتَ فذَهَبَتْ مثلا ثم خرجت الزَّبّاء فأبْصرت الابلَ تكاد قوائمها تَسُوخ في الأرْض من ثِقَل أحْمالها فقالت ياقصير

ما لِلجِمال مَشْيُها وَئِيدا * أجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أمْ حَديدا

* أمْ صَرَفَانًا بَارِزًا شَديدا *

فقال قصير في نَفْسه

* بَل الرِّجالَ قُبَّضًا قُعُودا *

فدَخَلَت الابلُ المدينةَ حتى كان آخرها بعيرا مَرّ على بَوّاب المدينة وكان بيده مِنْخَسة فنَخَس بها الغرارة فأصابَتْ خاصرة الرَّجُل الذي فيها فسُمِعَ منه صَوْتٌ فقال البَوّاب بالرُّومِيّة مامعناه شَرٌّ في الجُوالِق فأرْسلها مَثَلاً فلما توَسّطت الابل المدينة أُنِيخَتْ ودَلّ قَصير عَمْرا على باب النَّفَق الذي كانت الزبّاء تَدْخله وأرَتْه إيّاه قَبْل ذلكَ وخَرَجَت الرجال من الغَرائر فصاحُوا بأهْل المدينة ووَضَعُوا فيهم السلاَح وقام عَمْرو على باب النَفَق وأقْبَلَت الزبّاء تُريد النَفَق فأبْصَرَت عَمْرا فعَرَفَتْه بالصورة التي صُوِّرَت

لها فَمَصَّت خاتَمَها وكان فيه السَّمّ وقالت بيَدِى لا بيَدِ ابن عَدِىّ فذَهَبَتْ كَلِمَتُها مَثَلا وتَلقّاها عَمْرو فجَلّلها بالسـيف وقَتَلها وأصاب ماأصاب من المدينة وأهْلها وانْكَفأ راجعا الى العراق

صارت الفِتْيانُ حُمَمًا

هـذا من قول الحَمْراء بنت ضَمْرة بن جابر وذلك أنّ بنى تَمِيم قَتَلُوا سَعْدَ بنَ هِنْد أخا عَمْرو بن هنـد المَلِكِ فنَـذر عَمْرو لَيَقْتُلَنّ بأخيه مائةً من بَنِى تَمِيم فجَمَعَ أهْل مَمْلكَته فسارَ اليهم فبَلَغَهُمُ الخبَر فتفَرّقُوا فى نَواحى بلادهم فأتَى دارَهُمْ فلَم يَجِـد الا عَجُوزا كَبِـيرة وهى الحَمْراء بنتُ ضَمْرة فلَمّا نَظَر اليها والَى حُمْرتها قال لهـا انّى لأَحْسـبك أعْجَمِيّة فقـالت لا والّذى أسْأله أنْ يَخْفض جَناحَكَ ويَهُدّ عِمادَكَ ويَضَع وِسادكَ ويَسْلُبَكَ بلادَكَ ما أنا بأعْجَمِيّة قال فمَن أنْت قالت أنا بنْتُ ضَمْرة بن جابر سادَ مَعَدًّا كابِرًا عن كابِر وأنا أخْت ضَمْرة بن ضمرة قال فمَن زَوْجُكِ قالت هَوْذَةُ بن جَرْوَل قال وأيْنَ هو الآن أمَا تَعْرِفين مَكانَه قالت هـذه كلمة أحْمَق لو كُنْتُ أعلَمُ مكانَه حالَ بَيْنَكَ وبَيْنى قال وأىّ رَجُـل هُوَ قالت هذه أحْمَق من الاولى أعَنْ هَوْذَة يُسْـئَلُ هُوَ والله طَيّب العِرْق سَمِينُ العَرْق لايَنام لَيْلة يَخاف ولايَشْبَع لَيْلة يُضاف يأكُل ماوَجَد ولايَسْأل عَمّا فَقَد فقـال عَمْرو أمَا والله لَوْلا أنّى أخاف أنْ تَلِدى مثْـلَ أبيك

وأخيكَ وزوجكَ لاستبقيتُكَ فقالت وأنتَ والله لاتقتُل الاّ نساء أعاليها ثُدىّ وأسافلها دُمىّ والله ما أدركتَ ثأرًا ولا محوتَ عارا وما مَنْ فعلتَ هذه به بغافلٍ عنكَ ومعَ اليومِ غدٌ فأمر باحراقها فلمّا نظرتْ الى النار قالت ألا فتىً مكان عجوز فذهبتْ مثلا ثم مكثت ساعةً فلم يفدها أحد فقالت هيهات صارت الفتيانُ حُمَمًا فذهبت مثلا ثم أُلقيتْ فى النار ولبثَ عمرو عامّةَ يومه لا يقدر على أحد حتى اذا كان فى آخر النهار أقبلَ راكب يُسمّى عمّارا توضعُ به راحلتُه حتى أناخ اليه فقال له عمرو مَن أنتَ قال أنا رجلٌ من البراجم قال فما جاءَ بكَ الينا قال سطع الدُّخان وكنتُ طويتُ منذ أيّام فظننتُه طعاما فقال عمرو انَّ الشقىّ وافدُ البراجم فذهبتْ مثلا وأمر به فأُلقى فى النار فقال بعضهم مابلغنا أنه أصابَ من بنى تميم غيرَه وانما أحرق النساءَ والصبيان وفى ذلكَ يقول جرير

وأخزاكمُ عمرو كما قد خزيتمُ * وأدركَ عمّاراً شقىُّ البراجمِ

ولذلكَ عُيِّرت بنو تميم بحُبّ الطعام لمَا لَقِى هذا الرجل قال الشاعر

اذا ما ماتَ ميْتٌ من تميمٍ * فسرَّكَ أنْ يعيش فجئْ بزاد

بخبزٍ أو بلحمٍ أو بتمرٍ * أو الشئِ الملفّفِ فى البجاد

تراه ينقّب الآفاقَ حولا * ليأكل رأسَ لقمانَ بنِ عاد

عند جُهَيْنَة الخَبَرُ اليَقين

قال هشام بن الكلبى كان من حديثه أنّ حُصَينَ بن عمرو بن معاوية ابن كلاب خرج ومعه رجل من جُهَيْنَة يقال له الاخنس بن كعب وكان الاخنس قد أحدث فى قومه حدثا فخرج هاربا فلقيه الحصين فقال مَن أنتَ ثكلتك أمُّك فقال له الاخنس بل مَن أنت ثكلتك أمك فردّد هذا القول حتى قال الاخنس أنا الاخنس بن كعب فأخبرنى من أنت والا أنفذتُ قلبك بهذا السنان فقال له الحصين أنا الحصين بن عمرو الكلابى ويقال بل هو الحصين بن سُبيع الغطفانى فقال له الاخنس فما الذى تريد قال خرجت لما يخرج له الفتيانُ قال الاخنس وأنا خرجت لمثل ذلك فقال له الحصين هل لك أنْ نتعاقدا أنْ لا نلقى أحدا من عشيرتك أو عشيرتى الا سلبناه قال نعم فتعاقدا على ذلك وكلاهما فاتك يحذر صاحبه فلقيا رجلا فسلباه فقال لهما هل لكما أن تردّا علىّ بعض ما أخذتما منى وأدلكما على مغنم قالا نعم فقال هذا رجل من لخم قد قدم من عند بعض الملوك بمغنم كثير وهو خلفى فى موضع كذا وكذا فردّا عليه بعض ماله وطلبا اللخمى فوجداه نازلا فى ظل شجرة وقدّامه طعام وشراب فحيّاهما وحيّاهُما وعرض عليهما الطعام فكره كلّ واحد أنْ ينزل قبل صاحبه فيفتك به فنزلا جميعا فأكلا وشربا مع

اللّخمىّ ثم انّ الاخنس ذهب لبعض شأنه فرجع واللخمى يتشحّط فى دمه فقال الجُهَنى وهو الاخنس وسلّ سيفه لأنّ سيف صاحبه كان مسلولا وَيْحَكَ وَيْحَكَ فتكتَ برجل قد تحرّمنا بطعامه وشرابه فقال اقعد يا أخا جُهَينة فلهذا وشبهه خرجنا فشربا ساعةً وتحدّثا ثم انّ الحُصَين قال ياأخا جُهَينة أتدرى ماصَعْلَة وماصَعِل قال الجهنى هذا يوم شُرْب وأكل فسكت الحُصَين حتى اذا ظنّ أن الجهنى قد نسى مايُراد به قال ياأخا جُهينة هل أنت للطير زاجرٌ قال وماذاك قال ماتقول هذه العُقاب الكاسر قال الجهنى وأين تراها قال هى ذه وتطاول ورفع رأسه الى السماء فوضع الجُهَنى بادرة السيف فى نحره فقال أنا الزاجرُ والناحر واحتوى على متاعه ومتاع اللخمى وانصرف راجعا الى قومه فمرّ ببطنين من قيس يقال لهما مَراحُ وأنمارُ فاذا هو بامرأة تنشُدُ الحُصين بن سبيع فقال لها مَنْ أنت قالت أنا صخرة امرأة الحصين قال أنا قتلته فقالت كذبت مامثلُك يقتل مثله أمَا لو لم يكن الحىُّ خلوًا ما تكلّمتَ بهذا فانصرف الى قومه فأصلح أمرهم ثم جاءهم فوقف حيث يُسْمِعُهم وقال

وكم من ضَيغم وَرْد هَموس * أبى شِبلَيْن مسكنُه العرينُ

علوتُ بيانَ مَفرقه بعضْب * فأضحى فى الفلاة له سكونُ

وأضحت عِرسُه ولها عليه * بُعيدَ هُدُوء ليلتها رنينُ

وكم من فارس لاتزدريه * اذا شخصت لموقعه العيون

كصخرة اذ تسائل فى مراح * وأنمار وعلمهما ظنون

تسائل عن حصين كل ركب * وعنــد جهينة الخبر اليقين

فمن يك سائلا عنــه فعندى * لصاحبــه البيان المستبين

جهينــة معشرى وهم ملوك * اذا طلبوا المعالى لم يهونوا

قال الأصمعى وابن الأعرابى هو جفينة بالفاء وكان عنده خبر رجل مقتول وفيه يقول الشاعر

تسائل عن أبيها كل ركب * وعنــد جفينة الخبر اليقين

قال فسألوا جفينــة فأخبرهم خبر القتيل وقال بعضهم هو حفينة بالحاء المهملة يضرب فى معرفة الشئ حقيقة

كلاهما وتمرا

ويروى كليهــما أول من قال ذلك عمرو بن حمران الجعــدى وكان حمران رجلا لسنــا ماردا وأنه خطب صدوف وهى امرأة كانت تأبد الكلام وتسجع فى المنطق وكانت ذات مال كثير وقد أتاها قوم كثير يخطبونها فردتهم وكانت تتعنت خطابهــا فى المسألة وتقول لا أتزوج الا من يعلم ماأسأله عنه ويجيبنى بكلام على حدة لايعدوه فلما انتهى اليهــا حمران قام قائمــا لايجلس وكان لايأتيها خاطب الا جلس قبــل

اذْنِهـا فقالت ما يَمْنَعُكَ من الجلوس قال حتى يُؤْذَنَ لى قالت وهـل
عليكَ أَمير قال رَبّ المَنْزِل أَحَقّ بفنـائه وربُّ الماء أَحَقّ بسقائه وكُلٌّ
لَهُ مافى وعائه فقـالت اجْلِسْ فجلس قالت له ما أَرَدْتَ قال حَاجَة ولم
آتكِ لحَاجَة قالت تُسِرّها أَمْ تُعْلِنها قال تُسَرّ وتُعْلَن قالت فما حَاجَتُكَ
قال قَضَاؤها هَيِّن وأَمْرُهـا بَيِّن وأَنْتِ بها أَخْبَر وبِنُجْحها أَبْصَرُ فقالت
فَأَخْبِرْنى بهـا قال قد عَرَّضْتُ وان شِئْتِ بَيَّنْتُ قالت من أَنْتَ قال
أَنَا بَشَرٌ وُلِدْتُ صَغيرا ونَشَأْتُ كَبيرا ورأيتُ كَثيرا قالت فما اسْمُكَ قال مَنْ
شاء أَحْدَثَ اسْمًـا وقال ظُلْمًا ولم يَكُن الاسم عليه حَتْمًا قالت فَمَن أبوكَ
قال والدى الذى وَلَدَنى وَوَالدُه جَدّى فلم يَعِشْ بَعْـدى قالت فما مَالُكَ
قال بَعْضُـه وَرِثْتُـه وأَكْثَره اكْتَسَبْتُه قالت فَمِمَّن أَنْتَ قال من بَشَر
كَثير عَدَدُه معروف وَلَدُه قليلٌ صَعْدُه يُغْنيه أَبَدُه قالت ماوَرَّثَكَ أَبوكَ
عن أَوَّلِيـه قال حُسْن الهِمَم قالت فأَيْنَ تَنْزِل قال على بسـاط واسع
فى بَلَد شاسع قريبُه بَعيد وبَعيده قَريب قالت فَمَن قَوْمُكَ قال الذين
أَنْتَمى اليهم وأَجْنى عليهم وَوُلِدتُ لَدَيْهم قالت فَهَلْ لكَ امْرَأَة قال لو كانت
لى لَمْ أَطْلُب غَيْرَها ولَمْ أُضَيِّعْ خَيْرَها قالت كَأنّكَ لَيْست لكَ حَاجَة قال
لَو لَمْ تكن لى حاجة لم أُنِخْ بِبَـابِكِ ولم أَتَعَرّض لجَوَابِكِ وأَتَعَلَّق بأَسْبابِكِ
قالت أنتَ الحَرَان بن الاقرع الجَعْدى قال انّ ذلكَ لَيُقَال فزَوَّجَتْه نفسَها

وفوّضت اليه أمرها ثم انها ولدت له غلامًا فسمّاه عمرا فنشأ ماردًا مفوّهًا فلما أدرك جعله أبوه راعيا يرعى له الابل فبينا هو يوما اذ رفع اليه رجل قد أضرّ به العطش والسغوب وعمرو قاعد وبين يديه زبد وتمر وتامك فدنا منه الرجل فقال أطعمني من هذا الزبد والتامك فقال عمرو نعم كلاهما وتمرا فأطعم الرجل حتى انتهى وسقاه لبنا حتى روى وأقام عنده أيامًا فذهبت كلمته مثلًا ورفع كلاهما اى لك كلاهما ونصب تمرا على معنى وأزيدك تمرا ومن روى كليهما فانما نصبه على معنى أطعمك كليهما وتمرا وقال قوم من رفع حكى ان الرجل قال انلني مما بين يديك فقال عمرو أيما أحب اليك زبد أم سنام فقال الرجل كلاهما وتمر أى مطلوبي كلاهما وأزيد معهما تمرا أو وزدني تمرا

ان المنبتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى

المنبتّ المنقطع عن أصحابه فى السفر والظهر الدابة قاله عليه الصلاة والسلام لرجل اجتهد فى العبادة حتى هجمت عيناه أى غارتا فلما رآه قال له ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق انّ المنبتّ أى الذى يجدّ فى سيره حتى ينبتّ أخيرا سمّاه بما تؤول اليه عاقبته كقوله تعالى «انك ميّت وانهم ميّتون» يضرب لمن يبالغ فى طلب الشئ ويفرط حتى ربما يفوته على نفسه

انّ الدَّوَاهِيَ فى الآفات تَهْتَرِس

ويُرْوَى تَرْتَهِس وهو قَلْبُ تَهْتَرِس من الهَرْس وهو الدَّقّ يعنى أنّ الآفات يَمُوج بَعْضُها فى بعض ويَدُقّ بعضُها بعضا كَثْرَةً يُضْرَب عنـد اشتداد الزمان واضطراب الفتَن وأَصْـلُه أَنّ رجلا مَرّ بآخر وهو يقول يارَبِّ إمَّا مُهْرَةً أو مُهْرًا فأنـكَرَ عليه ذلكَ وقال لايكون الجَنين الاّ مُهْرَةً أو مُهْرا فلما ظَهَر الجنين كان مُشَيَّأَ الخَلْق مُخْتلفَه أى فيه شئٌ غير شئ فقـال الرجل عند ذلكَ

قد طَرَّقَتْ بجَنِين نصفُه فَرَس ٭ ان الدّواهى فى الآفات تهترس

انّ البَلاَء مُوَكّل بالمَنْطق

قال المُفَضّل يقال انّ أَوّلَ مَن قال ذلكَ أبو بكر الصّدّيق رضى الله تعالى عنه فيما ذَكَره ابن عباس قال حَدَّثنى علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لَمَّا أُمِرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَنْ يَعْرِضَ نَفْسه على قبائل العَرَب خرج وأنَا مَعه فَدَفَعْنا الى مجلس من مجالس العرب فتقدّم أبو بكر وكان نَسَّابَةً فَسَلَّمَ فردُّوا عليه السلام فقال ممّن القوم قالوا من رَبيعـة فقـال أَمِنْ هَامَتِها أَمْ من لَهَازمها قالوا من هَامَتِها العُظْمَى قال فأىّ هـامَتِها العُظْمَى أَنْتُم قالوا ذُهْـل الاكْبر قال أفمنكم عَوْف الذى يقـال له لاحُرّ بِوَادى عَوْف قالوا لا قال أفمنكم بِسْـطَام

ذو اللّواء ومُنْتَهى الأحياء قالوا لا قال أفنكم جسّاس بن مُرّة حامى الذّمار ومانع الجار قالوا لا قال أفنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها قالوا لا قال أفنكم المُزدلف صاحب العمامة الفردة قالوا لا قال فأنتم أخوال الملوك من كندة قالوا لا قال فلستم ذُهْلا الأكبر أنتم ذُهْل الأصغر فقام اليه غُلام قد بَقَل وَجْهه يقال له دَغْفَل فقال

انّ على سائلنا أنْ نسألَه ＊ والعبءُ لاتعرفه أو تحملَه

ياهذا انك قد سألتنا فلم نكتمك شيأ فمن الرجل أنت قال رجل من قُريش قال بخ بخ أهل الشرف والرآسة فمن أى قريش أنت قال من تيم ابن مُرّة قال أمكنت والله الرامىَ من صَفا الثُغرة أفنكم قُصَىّ بن كلاب الذى جمع القبائل من فهر وكان يُدعى مُجمِّعا قال لا قال أفنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسْنتون عِجاف قال لا قال أفنكم شَيْبةُ الحمد مُطْعِمُ طير السماء الذى كأنّ فى وَجْهه قمرا يضىء ليل الظلام الداجى قال لا قال أفمن المُفيضين بالناس أنت قال لا قال أفمن أهل النّدوة أنت قال لا قال أفمن أهل الرفادة أنت قال لا قال أفمن أهل الحجابة أنت قال لا قال أفمن أهل السقاية أنت قال لا قال واجتذب أبو بكر زمامَ ناقته فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دغفل صادَفَ دَرْءُ السّيل دَرْأ يصدعه أمَا والله لو ثبتَّ لأخبرتك أنك من

زَمَعَات قريش أَوْ مَاأَنَا بدَغْفَل قال فتبسم رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال على قُلْتُ لابى بكر لقد وَقَعْتَ من الاعرابى على بَاقعـة قال أَجَلْ انّ لكُلّ طَامَة طَامَة وانّ البَلاء مُوَكّل بالمَنْطق وفى قصّة المَثل أمثال قوله (لاُحُرّ بوادى عَوْف) يُتَمَثَّلُ به فى هضم من يَتَعاظـم بنَواحى مَن يَقْدر على قَهْره وقوله (انّ عَلَى سائلنا أن نسأله) ومَحَلّ التَمَثّل به ظاهر وقوله (والعبء لاتَعْرفه أو تَحْمـلَه) يُتَمَثَّلُ به فى طَلَب الاختبار وتَرْك الاكتفاء بما يَبْدو فان الشئ الذى تُريد حَمْلَه فيكونُ عبْأ رُبّما يكون كبيرا فى النَظَر خفيفا فى الوَزْن وربّما كان ثَقيل الوَزْن وهو صغير الحَجْم

انْ تَرِد المـاءَ بمـاء أَكْيَسُ

يُتَمَثَّل به عنـد الاَمْر بالاقتصاد فى المَعيشة والمحافَظَة على قَليله وان كان واثقا بحُصُول كثير له فى المستقبل وأَصْلُه فى المسافر عَرَف قُرْبَة من المَنْهَل فَأَسْرَف فى استعمال ماحَمَل من المـاء

انّمـا يُعَاتَب الاَديم ذو البَشَرَة

المُعَاتَبـة المُعـاوَدَة وبَشَرة الاَديم ظاهرُه الذى عليـه الشَّعر أى انّما يُعـاد الى الدّبَاغ من الاَديم ماسَلِمَت بَشَرَتُه يُضْرب لمَنْ فيـه مُرَاجعة ومُسْتَعْتَب قال الاَصْمَعى كُلّ ما كان فى الاَديم مُحْتَمَلٌ ماسَلِمَت البَشَرة فاذا نَغلَتْ البَشَرة بَطَل الاَديم ومن هُنـا أُخذ العِتَاب بين الاخوان لذكر

الهَفوات ثم الاعْتذار أو الاعْتراف والمُسامحة والعَوْد الى المُصَافاة فيكون ذلك بمنزلة دَبْغ الجلْد لازالة فَضَلاته

إنّ العَصَا قُرِعَت لذى الحِلْمْ

قيل أن أوّل مَن قُرِعَت له العصا عَمرو بن مالك بن ضُبَيْعَة أخو سَعْد ابن مالك الكنانى وذلك ان سعدا أتى النعمانَ بنَ المنذر ومعـه خَيل له قادها وأخرى عَرّاها فقيل له لمَ عَرّيتَ هذه وقُدْتَ هذه قال لم أقُدْ هذه لأمْنَعها ولم أعرّ هذه لأهَبَها ثم دخل على النعمان فسأله عن أرضه فقال أمّا مَطَرُها فغَزير وأمّا نَبْتُها فكثـير فقال له النعمـان انّك لقَوّال وان شئتَ أتيتُكَ بما تَعيَا عنَ جوابه قال نعم فأمَر وَصِـيفا له أن يلْطمه فلَطَمه لَطْمة فقال ماجواب هـذه قال سَفيهٌ مأمورٌ قال الْطمه أخْرى فلَطَمه قال ماجواب هـذه قال لو أُخذ بالأولى لم يَعُـدْ للأخْرى وانما أراد النُعمـان أن يتعـدّى سَعْدٌ فى المَنْطق فيقْتُله قال الْطمْه ثالثَـةً فلَطَمَه قال ماجوابُ هذه قال رَبٌّ يُؤدّب عَبْدَه قال الطمْه أخْرى فلَطَمه قال ماجواب هذه قال مَلَكْتَ فأسْجِح فأرْسَلها مثلا قال النعمان أصَبْتَ فامكُث عندى وأعْجبَه مارأى منه فمكث عنده مامَكَث ثم بَدَا للنعمـان أن يَبْعَث رائدا فبعَث عَمرا أخا سَعْد فأبطأ عليه فأغْضَبَه ذلك فأقسمَ لئن جاء ذامّا للكلأ أو حامدًا له ليَقْتُلنّه فقدم عمرو وكان سعد عنـد

الملكُ فقال سعد أتأذَنُ أنْ أُكلّمه قال إذَنْ يُقْطَع لسانُكَ قال فأُشير اليـه قال اذَنْ تُقْطَع يدُكَ قال فأَقْرِع له العصا قال فاقْرَعْها فتناول سعد عَصَا جليسه وقَرَع بعَصاه قَرْعَةً واحدة فعَرَف أنه يقول له مكانَكَ ثم قرع بالعصا ثلاثَ قَرَعات ثم رَفَعها الى السماء ومَسَح عصاه بالارض فعَرَف أنه يقول له لَمْ أَجِدْ جَدْبا ثم قرع العصا مرارًا ثم رَفَعها شيئاً وأوْمأ الى الارض فعَرَف أنه يقول ولا نَبَاتًا ثم قرع العصا قَرْعَة وأقبل نحوَ المَلِكُ فعرف أنه يقول كَلِّمْهُ فأَقْبَلَ عمرو حتى قام بين يدى الملكُ فقال له أَخْبِرْنى هل حَمِدْتَ خِصْبًا أو ذَمَمْتَ جَدْبا فقال عمرو لم أَذْمُم هُزْلا ولم أَحْمَد بَقْلا الارضُ مُشْكلة لاخصبُها يُعْرَف ولا جَدْبُها يوصَف رَائدُها واقف ومُنْكِرُها عارف وآمنُها خائف قال المَلِكُ أَوْلَى لكَ فقال سعد بن مالكُ يذْكُر قَرْعَ العَصا

قَرَعْتُ العَصَا حتى تَبَيَّنَ صاحبى * ولم تَكُ لولا ذاكَ فى القَوْم تُقْرَعُ
فقال رأيتُ الارض لَيْسَتْ بمُمْحِلٍ * ولا سارح فيها على الرَّعْى يَشْبَع
سَوَاء فلا جَدْب فيُعْرَف جَدْبُها * ولا صابَهَا غَيْث غـزير فتُمْرِع
فنَجَّيا بها حَوْبَاء نفسٍ كريمة * وقد كادَ لولا ذاكَ فيهم يُقَطَّع

هذا قول بعضهم وقال آخرون فى قولهم ان العصا قُرِعت لذى الحِلْمْ انّ ذَا الحِلم هـذا هو عامرُ بن الظَّرِب العَدْوانى وكان من حُكماء العرب

لاتَعْدِل بفَهْمه فَهْما ولا بحُكْمه حُكْما فلما طَعَن في السّنّ أنْكَر من عَقْله شيأ فقال لبَنيه انه قد كَبِرَتْ سِنّي وعَرَض لى سَهْو فاذا رأيتموني خرجت من كلامي وأخذت في غيره فاقْرَعوا لي المِجَنّ بالعَصَا وقيل كانت له جارية يقال لها خُصَيْلة فقال لها اذا أنا خُولِطْتُ فاقْرَعي لى بالعصا وأُتي عامر بخُنْثَى ليَحْكُم فيــه فلم يَدْرِ ما الحُكْمُ فجعل يَنْحَر لهم ويُطْعِمهم ويُدافعهم بالقضاء فقالت خُصَيلة ماشأنُكَ قد أتْلَفتَ مالَكَ فخبّرها أنّه لايَدْرِي ماحُكْمُ الخُنْثَى فقالت أتْبِعْــه مَبالَهُ قال الشَعْبِيّ فحدّثني ابن عباس بها قال فلما جاء الله بالاسلام صارت سُنّة فيه وعامر هو الذى يقول

أرَى شَــعَراتٍ عَلى حاجِبَيّ بِيْضًــا نَبَتْنَ جميعا تُؤَامَا

ظَلِلْتُ أُهَاهِي بهنّ الـكلا * بَ أَحْسبهنّ صُوَارًا قِيامَا

وأَحْسِبُ أَنْفي اذا ما مَشَيْــ * ــتُ شَخْصًا أمامي رآني فَقَامَا

يقال انه عاش ثلثمائة سنة وهو الذى يقول

تقول ابْنَتِى لَمّا رَأتْني كأَنّني * سليمُ أفَاعٍ لَيْــلُهُ غَــيْرُ مُودَعِ

ومَا المَوْتُ أفْنَاني ولكن تَتَابَعَتْ * عَلَيّ سِــنُونٌ من مَصيفٍ ومَرْبَعِ

ثَلاثُ مئـــين قد مَرَرْنَ كَوامِلاً * وهــا أنَا هــذا أرْتَجِي مَرّ أَرْبَعِ

فأَصْبَحْتُ مِثْلَ النَّسْر طارت فِراخُه * اذا رامَ تَطْيَــاراً يُقَالُ له قَعِ

أُخَبّر أَخْبَــارَ القُرُونِ التى مَضَتْ * ولا بُدّ يَومًا أنْ يُطَــارَ بِمَصْرَعِي

قال ابن الاعرابى أول مَن قُرِعَت له العَصا عامر بنُ الظرب العَدْوانى وربيعةُ تقول بل هو قَيس بن خالد بن ذى الجَدَّيْن وتَميم تقول بل هو ربيعة بن مُخاشن أحد بنى أَسيد ابن عمرو بن تميم واليَمَن تقول بل هو عمرو بن حُمَمَة الدَّوسى قال وكانت حُكّام تميم فى الجاهلية أَكْثَم بن صَيْفى وحاجِب بن زُرارَة والأقْرع بن حابِس ورَبيعة بن مُخاشِن وضَمْرة بن ضَمْرة غير أنّ ضَمْرة حَكَم فأخذ رِشْوة فغَدَر . وحُكّامُ قَيس عامر بن الظَّرِب وغَيْلان بن سَلَمَة الثقَفى وكانت له ثلاثة أيام يَوْم يحكُمُ فيــه بين الناس ويوم يُنْشد فيه شعْره ويوم ينظر فيه الى جَماله وجاء الاسلام وعنده عَشْر نسْوة فخيَّره النبى صلى الله عليه وسلم فاخْتار أَرْبَعًا فصارت سنّة . وحُكّام قُرَيش عبد المُطَّلب وأبو طالب والعاصى بن وائل . وحَكيمات العَرَب صَخْرة بنت لُقْمان وهند بنْتُ الخُسّ وجُمَعَة بنت حابس وابنــة عامر بن الظرب الذى يقال له ذو الحِلْم قال المتَلَمّس يريدُه

لذى الحِلْم قَبْلَ اليَوْم ماتُقْرَعُ العَصَا * وما عُــلِّمَ الانْسان الّا ليَعْلَمَا

والمَثَل يُضْرب لِمَن اذا نُبّه انْتَبَه

أيّاكِ أعْنى واسْمَعى ياجارَة

أول من قال ذلكَ سَهْل بن مالكَ الفَزارىّ وذلكَ أنه خرج يريد النعمان فمرّ ببعض أحْيـاء طَيِّء فسأل عن سـيّد الحَىّ فقيل له حارثة بن لأم

فأمَّ رَحْلَه. فلم يُصِبْه شاهدا فقالت له أُخْتُــه انْزِل فى الرَّحْب والسَّعَة فنَزَل فأكْرَمَتْه ولاطَفَتْه ثم خَرَجَت من خِبَائها فرأى أجْمَل أهْل دَهْرها وأكْمَلَهم وكانت عَقِيلَةَ قَوْمها وسَيِّدة نسائها فوقَع فى نفسه منها شئ فجعل لايَدْرى كيف يُرْسِل اليها ولا مايُوافقها من ذلك فجَلَس بفناء الخباء يوما وهى تسمع كلامه فجعل ينشد ويقول

يا أُخْتَ خَيْرِ البَدْوِ والحَضَارَهْ * كَيْفَ تَرَيْنَ فى فَتَى فَـــزَارَهْ

أصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً معْطَـارَهْ * ايَّاكِ أعْنِى واسْمَـعِى ياجَارَهْ

فلما سمعت قولَه عَرَفَتْ أنّه إيّاها يَعْنى فقالت ماذا بقَوْل ذى عَقْل أريب ولا رَأْى مُصيب ولا أنْف نجيب فأقِم مَا أقَمْتَ مُكْرَمًا ثم ارْتَحِـل متى شئتَ مُسَلَّمًا ويقال اَجابَتْه نَظْمًا فقالت

انّى أقول يافَـتَى فَـــزَارهْ * لا أبْتَغِى الزَّوْجَ ولا الدّعَارَهْ

ولا فِرَاقَ أهل هذى الجارهْ * فارْحَلْ الى أهْلك باستخارهْ

فاسْتَحْيا الفَتَى وقال ماأرَدْتُ مُنْكَرًا واسوْأتَاهُ قالت صَدَقْتَ فكأنها اسْتَحيت من تَسَرُّعها الى تُهَمَته فارْتَحَل فأتى النُّعمانَ فحَبَاه وأكْرَمَهُ فلما رَجع نَزَل على أخِيها فبَيْنَا هو مُقِيم عندهم تَطَلَّعَتْ اليـه نفسُها وكان جَميلا فأرسَلَتْ اليــه أن اخْطُبْنى ان كانَ لكَ الىّ حاجَة يوما من الدهْر فانّى سَريعةٌ الى ماتُريد فَخَطَبَها وتزَوّجها وسارَ بها الى قومه يُضْرَب لمَن يتكَلّم بكلام ويُريد به شيئا غَيْرَه

انْ كُنْتَ كَذُوبا فَكُنْ ذَكُورًا

يُضْرَب للرجُل يَكْذب ثم ينْسَى فيُحدِّث بخلاف ذلك

اذا اشْتَرَيْتَ فاذْكُر السُوقَ

يعنى اذا اشْتَرَيْتَ فاذكر البيع لتجتنب العيُوب

بَلَغَ السَيْلُ الزُّبَى

هى جمع زُبْيَة وهى حُفْرَة تُحْفَر للاسَد اذا أرادُوا صيْدَه وأصْلُها الرابِيَة لا يَعْلُوها الماءُ فاذا بلَغها السَيْل كان جارفا مُجحفا يُضْرَب لمَن جاوَز الحَدّ قال المُؤَرِّج حدَّثنى سعيد بن سماك بن حرب عن أبيه عن ابن المُعْتَمِر قال أُتِى مُعاذ بن جبل بثلاثة نَفَر قتَلَهم أسَد فى زُبْيَة فلم يدْرِ كيف يُفْتيهم فسأل عَليًّا رضى الله عنه وهو مُحْتَبٍ بفناء الكَعْبة فقال قُصّوا عَلَىَّ خَبرَكُم قالوا صِدْنا أسَدا فى زُبْيَة فاجتَمعْنا عليه فتَدافَع الناسُ عليه فرمَوْا برجُل فيها فتَعلَّق الرجُلُ بآخَرَ وتعلّق الآخَرُ بآخَرَ فهوَوْا فيها ثَلاثَتُهم فقضى فيها عَلِىّ رضى الله عنه أنَّ للأوّل رُبعَ الدِيَة وللثانى النصف وللثالث الدِيَة كُلّها فأُخْبِرَ النبىّ صلى الله عليه وسلم بقَضَائه فقال لقَدْ أرْشَدَكَ اللهُ للحَقّ

تَطْلُب أثرا بَعْدَ عَيْن

العَين المُعايَنة يُضْرَب لمن تَرَكَ شيئا يَراه ثم تَبِع أثَره بعد فوْت عَيْنه قال البَاهلي أوَّلُ مَن قال ذلك مَالك بن عمرو العَاملي وفى كتاب أبى عُبَيد مالك بن عمرو البَاهليّ قال وذلك أنّ بعض مُلُوك غَسَّانَ كان يَطْلُب فى عَامِلَة ذَحْلا فأخَذ منهم رَجُلَين يقال لهما مالك وسَماك ابْنَا عَمْرو فاحْتَبَسَهما عنده زَمانًا ثم دَعَاهُما فقال لَهُما انى قَاتلٌ أحَدَكُما فأيّكما أقتُل فجَعَل كُلّ واحد منهُما يقول اقْتُلنى مَكان أخى فلما رَأى ذلك قَتَل سَماكا وخَلّى سبيل مَالك فقال سَماك حين ظَنّ انه مَقْتُول

ألا مَنْ شَجَتْ لَيْلَةً عامدَه * كما أبَدًا لَيْـلَةً واحـدَهْ
فأبْلغْ قُضَـاعَةَ انجِئْتَهُم * وخُصَّ سَرَاةَ بَنى سَاعدَهْ
وأبْلغ نزَارًا على نَأيِها * بأنَّ الرِمَاح هى العَائده
وأُقْسِمُ لَو قَتَـلُوا مالكا * لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّـةً رَاصدَه
برَأْس سَبيلٍ على مَرْقَبٍ * ويومًا على طُـرُق واردَه
فأمَّ سماكٍ فلا تَجْـزَعِى * فَلَلْموت ما تَلِـد الْوَالدَهْ

وانصرف مالك الى قومه فلبث فيهم زمانا ثم أنّ رَكْبًا مَرُّوا وأحَدُهُمْ يتغَنّى بهذا البيت

وأُقْسِمُ لو قتَلُوا مَالكا * لكنتُ لهم حَيّةً راصده

فسمعت بذلك أمّ سماك فقالت يامالك قبّح الله الحياة بعد سماك اخرج فى الطلب بأخيك فخرج فى الطلب فلقى قاتل أخيه يسير فى ناس من قومه فقال من أحسّ لى الجمل الأحمر فقالوا له وعرفوه يامالك لك مئة من الابل فكفّ فقال لا أطلب أثرا بعد عين فذهبت مثلا ثم حمل على قاتل أخيه فقتله وقال فى ذلك

يا راكبا بلّغا ولا تدعا * بنى قمير وان هموا جزعوا
فليجدوا مثل ما وجدت فقد * كنت حزينا قدمسّنى وجع
لا أسمع اللهو فى الحديث ولا * ينفعنى فى الفراش مضطجع
لا وجد ثكلى كما وجدت ولا * وجد عجول أضلّها ربع
ولا كبير أضلّ ناقته * يوم توافى الحجيج واجتمعوا
ينظر فى أوجه الركاب فلا * يعرف شيئا والوجه ملتمع
جلّلته صارم الحديدة كالـ * ـملح وفيه سفاسق (١) لمع
بين ضمير وباب جلّق فى * أثوابه من دمائه بقع
أضربه باديا نواجذه * يدعو صداه والرأس منصدع
بنى قمير قتلت سيّدكم * فاليوم لا رنّة ولا جزع
فاليوم قمنا على السواء فان * تجووا فدهرى ودهركم جزع

(١) السفاسق جمع سفسقة بفتحتين أو كسرتين بينهما سكون فرند السيف وهى نقط تلمع فى صفائه

جَاوِرِينَا واخْبُرِينَا

قال يونُس كان رَجُلَان يَتَعَشَّقَان امرأةً وكان أحَدُهما جَميلا وَسِيما وكان الآخر دَمِيما تَقْتَحِمه العَين فكان الجَميلُ منهما يقول عَاشِرِينا وانْظُرِى الينا وكان الدَمِيم يقول جَاوِرِينا واخْبُرِينا فكانت تُدْنِى الجميل فقالت لَأَخْتَبِرَنَّهما فقالت لِكلّ واحد منهما أنْ يَنْحَر جَزُورا فأتَتْهما مُتَنَكِّرة فَبَدَأَتْ بالجَميل فَوَجَدَتْه عند القِدْر يَلْحَس الدَسَم ويأْكُلُ الشَحْم ويقول احتفظوا كُلّ بَيْضَاءَ لِيَهْ يَعنى الشَحْم فاسْتَطْعَمَتْه فأَمَرَ لها بِثِيل الجَزُور فَوُضع فى قَصْعَتِها ثم أتَتْ الدَميم فاذا هو يَقْسِم لَحْم الجَزُور ويُعْطى كُلّ مَنْ سألَه فَسَألَتْه فأَمَرَ لها بأَطَايِب الجَزُور فَوُضع فى قَصْعَتِها فَرَفَعَتْ الذى أَعْطاها كُل واحد منهما على حِدَةٍ فلما أَصْبَحا غَدَوَا اليها فَوَضَعَتْ بين يَدَىْ كُلّ واحدمنهما ما أعْطَاها وأَقْصَتْ الجَميل وقَرَّبَتْ الدَميم ويقال انها تَزَوَّجَتْه يُضْرَب فى القَبيح المَنْظَر الجَميل المَخْبَر

الجَرْعُ أَرْوَى والرَشِيفُ أَنْقَعُ

الرَشْف والرَشيف المَصّ للماء والجَرْع بَلْعُه والنَقْع تَسْكين الماء للعَطش أى أنّ الشَرَاب الذى يُتَرَشَّف قليلا قليلا أَقْطَعُ للعَطَش وأَنْجَع وان كان فيه بُطْء وقوله أَرْوَى أى أسْرَع رِيّاً وقوله أَنْقَع أى أثْبَت وأدْوَم رِيّاً من قولهم سُمٌّ ناقِع أى ثابت يُضْرَب لِمَنْ يَقَع فى غَنيمة فيُؤْمَرُ بالمُبَادَرة

والاقتطاع لَما قَدَر عليـه قبل أن يأتيه مَن ينازعه وقيـل معناه ان الاقتصاد فى المَعيشة أبلغ وأدوم من الاسراف فيها

الجَارُ ثُمَّ الدّارُ

هذا كقولهم الرَّفيق قبل الطَّريق وكلاهُما يُروَى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أبو عُبيد كان بعض فُقَهاء أهل الشام يُحدِّث بهـذا الحديث ويقول معناه اذا أردْتَ شراء دار فسَلْ عن جِوارها قبل شرائها

حَسْبُكَ مِن شَرٍّ سَمَاعُه

أى اكْتَفِ من الشَّر بسَمَاعه ولا تُعايِنْـه ويجوز أن يُريد يَكْفيكَ سماعُ الشرِّ وان لم تُقْدم عليـه ولم تُنْسَب اليه قال أبو عبيد أخْبَرَنى هشَام بن الكَلْبى انّ المَثَل لأُمّ الرَبيع ابن زِيَاد العَبْسىّ وذلكَ ان ابْنَها الرَبيع كان أخذ من قيس بن زُهَير بن جَذِيمة دِرْعا فَعَرض قيس لأُمّ الربيع وهى على رَاحلتها فى مَسير لها فأرَادَ أنْ يَذْهب بها لِيَرْتَهِنَها بالدِّرْع فقـالت له أيْن عَزَب عَنكَ عَقْلُكَ ياقيس أتُرَى بَنى زِيَاد مُصَالحيكَ وقد ذَهَبْتَ بأُمّهم يَمِينا وشِمالا وقال الناسُ ماقالوا أو شاؤوا وانّ حَسْبَكَ من شَرٍّ سَمَاعُه فَذَهَبَتْ كَلِمَتُها مَثَلًا تقول كَفَى بالمَقَالَة عارًا وان كان باطلا يُضْرَب عند العَار والمَقَالة السَّيئة وما يُخَاف منها وقال بعض النساء الشواعر

سَائِـلْ بِنَا فى قَوْمِنـا * ولْيَكْفِ مِن شَرٍّ سَمَاعُهْ

وكان المُفَضَّل فيما حُكي عنه يَذْكُرُ هذا الحَديث ويُسَمّى أُمَّ الرَبيع ويقول هي فاطمة بنتُ الخُرْشُب من بنى أنمار بن بَغيض

حلمى أصَمُّ وأُذْنِى غيرُ صَمّاء

أى أُعْرِض عن الخَنا بحِلْمى وان سَمِعْتُه بأُذُنى

حَسْبُكَ من غِنًى شِبَعٌ ورِىٌّ

أى اقْنَعْ من الغنى بما يُشْبِعكُ ويُرْوِيكَ وجُدْ بما فَضَل وهذا المَثَل لامرئ القيس يَذْكُر مِعْزًى كانت له فيقول

اذا مالم تَكُنْ ابِــلٌ فمِعْزًى * كَأَنَّ قُـــرُونَ جِلَّتِها العِصِىُّ

فَتَمْـــلأُ بَيْتَنا أَقِطا وسَمْنا * وحَسْبُكَ من غِنًى شِبَعٌ ورِىُّ

قال أبو عبيد وهذا يحتمل معنيين أحدهما يقول أَعْطِ كُلَّ ما كان لك وراءَ الشِبَع والرِىّ والآخَرُ القَناعَة باليسير يقول اكتف به ولا تَطْلُب ماسِوَى ذلك والاوّل الوَجْه لقوله فى شِعْرِ له آخَرَ وهو

ولو أنّما أَسْعَى لأَدْنَى مَعيشــة * كفانى ولم أَطْلُبْ قليلٌ من المال

ولكنّما أَسْعَى لمَجْدٍ مُؤَثَّــــل * وقد يُدْرِكُ المَجْدَ المُؤَثَّلَ أمثالى

وما المَرْءُ مادامَتْ حُشاشَةُ نَفْسه * بمُدْرِكِ أَطْرافِ الخُطوب ولا آلِ

فقد أَخْبَرَ بِبُعْد هِمَّته وقَدْره فى نَفْسه

الحَديث ذُو شُجُون

أى ذو طُرُق الواحد شَجْن بسكون الجيم والشَوَاجِن أوْدِيَةٌ كثيرة الشجر الواحدة شَاجِنة وأصْل هـذه الكلمة الاتّصال والالتفاف ومنه الشجنة والشِجْنة الشَجَرة المُلْتفّة الاَغْصان يُضرب هذا المثل فى الحديث يَتَذَكَّر به غَيْرُه وقد نظم الشيخ ابو بكر على بن الحسين القهستانى هـذا المَثَل ومَثَلا آخَر فى بيت واحد وأحسَن ماشاء وهو

تَذَكَّرَ نَجْدًا والحديث شُجُون * فَجُنَّ اشتياقا والجُنُون فُنُون

وأول مَن قال هذا المثل ضَبّة بن أدّ بن طابِخَة بن اليَاس بن مُضَر وكان له ابنَان يُقال لأحَدهما سَعْد وللآخَر سُعَيد فنَفَرَتْ ابل لضَبّة تحت الليل فوجّه ابنَيْه فى طَلَبِها فتَفَرَّقا فوَجَدَها سَعْد فرَدَّها ومضى سُعَيد فى طَلَبها فلَقيَه الحارث بن كَعْب وكان على الغلام بُرْدَان فسأله الحارث آياهما فأبَى عليه فقَتَله وأخذ بُرْدَيْه فكان ضَبّة اذا أمسى فَرَأى تَحْت الليل سوادًا قال أسَعْدٌ أمْ سُعَيد فذهب قوله مثلا يُضْرب فى النَجاح والخَيْبة فمَكَث ضَبّة بذلك ماشاء الله أن يَمْكُث ثم انه حَجّ فوَافَى عُكَاظَ فَلَقِيَ بها الحارثَ بن كَعْب ورَأى عليه بُرْدَى ابْنه سُعَيد فعَرَفَهُما فقال له هل أنْتَ مُخْبِرى ماهذان البُرْدَان اللّذان عليكَ قال بَلَى لَقيتُ غُلاما وهُمَا عليه فسألْتُه اياهُما فأبَى عَلَيّ فقَتَلْتُه وأخَذْت بُرْدَيْه هذين

فقال ضَبّة بسيفك هـذا قال نعم فقال فأعطنيه أنْظُرْ اليه فانّى أظُنّه صارما فأعطاه الحارث سيفَه فلما أخَذَه من يده هَزّه وقال الحديث ذُو شُجون ثم ضَرَبه به حتى قتَله فقيل له ياضَبّة أفى الشَهْر الحرام فقال سَبَق السَيفُ العَذَل فهو أوّل مَن سارت عنه هذه الامثال الثلاثة قال الفرزدق

لاتَأْمَنَنّ الحَرْبَ انّ اسْتعارَها * كَضَبّةَ اذْ قال الحديث شُجُون

خطبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه يوم السّقيفة

حمد الله وأثنى عليه ثم قال

أيُّها النـاس نحنُ المهاجرون أولُ الناس اسلاما وأكْرَمُهم أحْسابا وأوْسَطُهم دارًا وأحْسَنُهم وُجُوها وأكْثَر الناس ولادةً فى العَرَب وأمَسُّهم رَحِما برسول الله صلى الله عليه وسلم أسْلَمْنا قَبْلكم وقُدّمنا فى القرآن عليكم فقال تبارك وتعالى والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنْصار الذين اتّبعُوهم باحسان فنحن المهاجرون وأنتم الانصار اخْوانُنا فى الدِّين وشُرَكاؤُنا فى الفَىْء وأنْصارُنا على العَدُوّ آوَيْتُم وواسَيْتم فجزاكم الله خيرا فنحن الأُمَراءُ وأنتم الوُزَراء لاتَدين العَرَب الّا لهذا الحَىّ من قُرَيش فلا تَنْفَسُوا على اخوانكم المهاجرين مامنحهم الله من فضله

خطبة أبي بكر الصـــديق رضى الله عنـــه عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

أيُّها الناسُ مَن كان يَعْبُد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبدُ الله فان الله حَيٌّ لايَمُوت وان الله قد تَقَـدّم اليكم في أَمْره فلا تَدَعُوه جَزَعا وان الله قد اختار لنبيه ماعنـده على ماعندكم وقَبَضه الى ثوابه وخَلَّف فيكم كتابه وسُنّة نبيه فَمَنْ أخَذ بهما عُرِف ومَن فَرّق بينهما أُنْكِر ياأيُّها الذين آمنوا كُونُوا قَوّامين بالقِسْط ولا يَشْغَلَنَّكُم الشَّـيطانُ بمَوْت نبيكم ولا يَفْتِنَنَّكم عن دينكم فعاجلُوهُ بالذى تُعْجِزُونه ولا تَسْتَنْظِروه فيلحق بكم

عهد أبي بكر رضى الله عنه عند موته

مما رُوى عنـــه رضى الله عنـــه حيث عَهد عنـــد موته وهو بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماعهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عَهْده بالدُّنيا وأوّل عهده بالآخرة فى الحال التى يُؤْمِن فيها الكافر ويَتَّقِى فيها الفَاجر انى اسْتَعْمَلْتُ عليكم عُمَرَ بنَ الخطاب فان بَرَّ وعَدَل فذلك عِلْمى به ورَأْيِى فيه وانْ جارَ وبَدّل فلاعِلْمَ لى بالغَيْب والخيرَ أرَدْتُ ولكُلّ امْرِئٍ ما اكْتَسَب وسَيَعْلَمُ الذين ظَلَمُوا أىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُون

ومما يُؤْثر من هـذه الآداب ويُقَدَّم قولُ عُمَر بن الخطاب رضى الله تعالى عنـــه فى أول خُطْبَــة خَطَبَها قال العُتْبِىّ لم أر أقَلّ منها فى اللفظ

ولا أكثر فى المعنى حَمِدَ الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على نبيه محمد صـلى الله عليه وسـلم ثم قال أيّها الناس انّه والله ما فيكم أحَدٌ أقْوى عندى من الضَعيف حتى آخُذَ الحَقَّ له ولا أضْعَفُ عندى من القوىّ حتى آخُذَ الحق منه ثم نَزَلَ

قال أبو الحَسَن قد رَوَيْنا هذه الخطبة التى عَزَاها الى عمر بن الخطاب عن أبى بكر رضى الله عنهما وهو الصحيح قال أبو العَبّاس ومن ذلك رسالَتُـه فى القَضَاء الى أبى موسى الاَشْـعَرِىّ وهى التى جَمع فيها جُمَل الاحكام واخْتَصَرها بأجْوَد الكلام وجعل الناسُ بعدَه يتّخذونها اماما ولا يَجِد مُحِقٌّ عنها مَعْدلا ولا ظالمٌ عن حدودها مَحِيصا

رسالة عمر رضى الله عنـــه فى القضاء لأبى موسى الأشعرى

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عُمَر بن الخطـاب أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس سلامٌ عليكَ أما بعد فانّ القضاء فريضَــة مُحكَمَة وسُـنّة مُتّبَعة فافْهَمْ اذا أُدْلِىَ اليكَ فانّه لاينْفَع تَـكَلُّمٌ بحَقّ لانَفاذَ له آسِ بين الناس فى وَجْهكَ وعَدْلكَ ومَجْلسكَ حتى لايَطْمَع شَريف فى حَيْفكَ ولا ييَأس ضَعيف من عَدْلكَ البَيّنة على من ادّعى واليمين على مَن أنكر والصُلْحُ جائز بين المسلمين الّا صُلْحا أحَلّ حراما أوحَرّم حلالا لايَمْنَعكَ

قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة ثم اعرف الاشباه والامثال فقس الامور عند ذلك واعمد الى أقربها الى الله وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهى اليه فان أحضر بينته أخذت له بحقه والا استحللت عليه القضية فانه أنفى للشك وأجلى للعمى المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا فى حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا فى ولاء أو نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والايمان واياك والغلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات فان الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذخر فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله فما ظنك بثواب غير الله عز وجل فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام

خطبة لسيدنا علي

تحدث ابن عائشة فى اسناد ذكره أن عليا رضى الله عنه انتهى اليه أن خيلا لمعاوية وردت الانبار فقتلوا عاملا له يقال له حسان بن حسان فخرج مغضبا يجر ثوبه حتى أتى النخيلة واتبعه الناس فرقى رباوة

من الارض فحمد الله وأثنى عليـــه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة فمن تَرَكه رَغْبةً عنـــه ألبَسَـــه اللهُ الذّلّ وسِيماءَ الخَسْف ودُيّث بالصَغار وقد دَعَوْتُكم الى حَرْب هؤلاء القَوم ليلا ونهـارا وسرّا واعلانا وقلت لكم اغْزُوهم من قَبْل أن يَغْزُوكُم فوالذى نَفْسى بيده ماغُزِى قومٌ قطُّ فى عُقْر دارِهِمْ الاَّ ذَلّوا فتخاذلْتُم وتَوا كَلْتُم وثَقُــل عليكم قَولى واتّخَذْتُموه وراءكُم ظِهْرِيّا حتى شُنّت عليكم الغارات هذا أخو غامد قد وردَت خيلُه الانْبار وقَتَلُوا حَسّان بن حَسّان ورجالا منهم كثيرا ونسـاء والذى نَفْسى بيده لقد بَلَغَنى انه كان يُدْخَل على المرأة المسلمة والمُعاهَدة فَتُنْتَزَع أحْجالُهما ورعاثُهما ثم انْصَرَفوا مَوْفورِينَ لم يُكْلَمْ أحَدٌ منهم كَلْمًا فلو أنّ امْرَأ مسلما مات من دُون هـذا أسَـفًا ما كان عندى فيه مَلُوما بل كان به عندى جَديرا ياعَجَبا كُلّ العجب عَجَبٌ يُميت القَلْبَ ويَشْـغَل الفَهْـم ويُكْثِر الاحْزان من تَضَافُر هؤلاء القوم على باطلهم وفَشَلكُم عن حَقّكم حتى أصْبَحْتُم غَرَضًا تُرْمَوْن ولا تَرْمون ويُغَار عليكم ولا تُغيرون ويُعْصَى اللهُ عز وجل فيكم وتَرْضَوْن اذا قلت لكم اغْزُوهُمْ فى الشّتاء قُلْتم هـذا أوان قُرّ وصرّ وان قلت لكم اغزوهم فى الصَيف قلتم هذا حَمارّة القَيظ أنْظِرْنا يَنْصَرم الحَرُّ عنّا فاذا كنتم من الحَرّ والبَرْد تَفِرّون فأنتم والله من السَّيْف أفَرّ يا أشْباهَ الرِّجال ولا رجال

ويا طَغام الأحْلام ويا عُقُول ربّات الحِجال والله لقد أفْسَدْتم عَلَىّ رأيي بالعصْيان ولقد ملأتُم جَوْفى غَيْظا حتى قالت قريش ابن أبى طالب رجلٌ شجاع ولكن لا رأْىَ له فى الحَرْب لله درّهُم ومن ذا يكون أعلم بها منّى أو أشدّ لها مراسا فوالله لقد نَهضْت فيها وما بلَغْت العشرين ولقد نيّفْت اليومَ على السّتّين ولكن لاَ رأْىَ لمن لا يُطاع يقولها ثلاثا فقام اليه رجُل ومعه أخوه (الرجل وأخوه يعْرَفان بابْنىْ عفيف من الانصار) فقال ياأميرَ المؤمنين أنَا وأخى هـذا كما قال الله تعالى ربّ انّى لاأملكُ الاّ نَفْسى وأخى فَرْنا بامْرِكَ فوالله لَنَنْتَهِيَنّ اليه ولو حال بيْننا وبينه جَمْرُ الغَضَى وشَوْكُ القَتاد فدعا لهما بخير ثم قال لهما وأيْنَ تقَعان مما أريد ثم نزَل

تواضع عمر بن الخطاب رضى الله عنه

بلَغ عُمر بن الخطاب رضى الله عنه أنّ قوْما يُفضّلُونه على أبى بكر الصديق رضى الله عنه فوَثَبَ مُغْضبا حتى صعد المنْبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أيّها الناس انّى سأُخْبركم عنّى وعن أبى بكر انه لما تُوفّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ارْتَدّت العرَب ومنَعَتْ شاتَها وبَعيرَها وأجْمع رأْيُنا كُلّنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنْ قُلْنا له ياخَليفة رسول الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُقاتل العرَب

بالوحْي والملائكة يُمِدُّه الله بهم وقد انقطع ذلك اليومَ فالْزَم بيتَك ومسجدَك فإنه لا طاقةَ لك بقتال العَرب فقال أبو بكر الصـديق أوَكُلُّكم رأْيُه على هذا فقلنا نَعَم فقال والله لأَن أخِرَّ من السماء فتَخْطَفَني الطيرُ أحَبُّ الىَّ من أن يكون هذا رأيي ثم صعد المنبرَ فحمد الله وكبّره وصَلَّى على نبيّه صلى الله عليه وسلم ثم أقبَلَ على الناس فقال أيُّها الناس مَن كان يعبُد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبدُ الله فإن الله حَيٌّ لا يموت أيها الناس أإنْ كَثُر أعداؤُكم وقَلَّ عددُكم ركبَ الشيطان منكم هذا المَركَب والله لَيُظْهِرَنَّ الله هذا الدينَ على الأديان كلّها ولو كَرِهَ المشركون قولُه الحقُّ ووعدُه الصـدْق بل نَقْذِفُ بالحق على الباطل فيَـدْمَغُه فإذا هو زاهقٌ وكَمْ من فئـة قليلة غلَبَت فئةً كثيرةً بإذن الله والله مع الصابرين والله أيها الناس لو أُفْرِدْتُ من جميعكم لجاهَدْتُهم في الله حَقَّ جهاده حتى أُبْلِي بنفسي عُذْرًا أو أُقتَل قتْلا والله أيها الناس لو مَنَعوني عقالا لجاهدْتُهم عليـه واستَعَنْتُ عليهم الله وهو خيرُ مُعين ثم نَزَل فجاهَدَ في الله حق جهاده حتى أذْعَنَت العَرب بالحق

وكتب أبو عُبَيــدة بن الجَرَّاح ومُعـاذ بن جَبـــل الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يَنْصَحانه رضى الله تعالى عنهم

بسم الله الرحمن الرحيم

من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل الى عمر بن الخطاب سلام عليك فإنّا نَحْمَد اليك الله الذى لااله الا هو (أما بعد) فإنّا عَهِدناك وأمْر نفسك لك مُهِمّ فأصْبَحْتَ وقد وَلِيتَ أمْرَ هـذه الأمّة أحْمَرها وأسْودها يَجْلس بين يديك الصَديق والعَدوّ والشريف والوضيع ولكلٍّ حِصَّةٌ من العدل فانْظُر كيف أنت يا عمر عند ذلك وانا نُحَذّرُك يومًا تَعْنُو فيه الوجوه وتَجِب له القلوب وتَنْقطِع فيه الحُجَج بِحُجَّة مَلِك قَهَرَهم بِجَبَرُوته والخَلْق داخِرون له يَرْجُون رَحْمَتَه ويخافون عقابَه وانّا كنّا نتحدّث انّ أمْر هذه الأمّة يرجِع فى آخر زمانها أن يكون اخْوان العَلانِيَة أعداءَ السَريرة وانّا نَعُوذ بالله أنْ تُنْزِل كتابَنا سوى المَنْزِل الذى نَزَل من قلوبنا فإنّا انما كَتَبْنا اليك نصيحةً لك والسلام فكتب اليهما

بسم الله الرحمن الرحيم

من عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة عامر بن الجراح ومعاذ بن جبل سلام عليكما احمد اليكما الله الذى لااله الا هو (أما بعد) فقد جاءنى كتابكما

تزعمان أنه بلغكما انى وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها يجلس بين يدىّ الصديق والعدو والشريف والوضيع وكتبتما أن انظر كيف أنت ياعمر عند ذلك وانه لاحول ولاقوة لعمر عند ذلك الا بالله كتبتما تحذرانى ماحُذرت به الأمم قبلنا وقديما كان اختلاف الليل والنهار بآجال الناس يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد ويأتيان بكل موعود حتى يصير الناس الى منازلهم من الجنة أو النار ثم توفى كل نفس بما كسبت ان الله سريع الحساب كتبتما تزعمان أن أمر هذه الأمة يرجع فى آخر زمانها أن يكون اخوان العلانية أعداء السريرة ولستم بذاك وليس هذا ذلك الزمان ولكن زمان ذلك حين تظهر الرغبة والرهبة وكتبتما تعوذان بالله أن أنزل كتابكما منى سوى المنزل الذى نزل من قلوبكما وانما كتبتما نصيحة لى وقد صدقتما فتعهدانى منكما بكتاب ولا غنى بى عنكما والسلام عليكما

خطبة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه

انّ لكلّ شئ آفة وان لكل نعمة عاهة وان آفة هذه الأمّة وعاهة هذه النعمة عيّابون طعّانون يظهرون لكم ما تحبّون ويسرّون ما تكرهون يقولون لكم وتقولون طغام مثل النعام يتّبعون أول ناعق أحبّ مواردهم اليهم النازح لقد أقررتم لابن الخطاب بأكثر مما نقمتم علىّ ولكن وقمكم وقمعكم وزجركم زجر النعام المخزّمة والله انى لأقرب ناصرًا وأعز نفرًا

وأقَنِ ان قُلْتُ هَلُمّ أن تُجاب دَعْوَتى من عمرَ هل تَفْقدون من حُقُوقكم شيأً فمالى لا أفْعل فى الحَق ما أشاء اذًا فلِمَ كُنْتُ اماماً

ومن كلام سيدنا على بن أبى طالب عليه السلام فى التحريض على الحرب كان يقوله لاصحابه فى بعض أيام صفين

معاشرَ المسلمين استشعروا الخَشْـية وتَجَلْبَبوا السَكينـة وعَضُّوا على النَواجِذ فانه أنْبى للسُّيُوف عن الهَام وأ كْمِلُوا اللاْمَة وقَلْقلُوا السيوفَ فى أغْمادها قَبْلَ سَلّها والحَظُوا الخَزْر واطْعَنُوا الشَزْر ونافِحُوا بالظُبَا وصِلُوا السُيوفَ بالخُطَا واعلموا أنكم بعَين الله ومع ابن عَمّ رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم فعاودُوا الكَرّ واستَحْيُوا من الفَرّ فانه عارٌ فى الاعْقاب ونارٌ يومَ الحساب وطيبُوا عن أنْفُسكم نَفْسا وامْشُوا الى المَوت مَشْـيا سُجُحًا وعليكم بهذا السَواد الاعْظم والرواق المُطَنَّب فاضربُوا ثبَجَه فانَّ الشيطان كامنٌ فى كِسْره قد قَدَّمَ للوَثْبَـة يَدًا وأخّر للنُكُوص رِجْلا فصَمْدًا صَمْدًا حتى يَنْجَلِى لكم عَمُود الحَق وأنتمُ الاعلَوْن والله معَكم ولن يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ

ومن كلام له عليه السلام

وقد قام اليه رجل من أصحابه فقال نَهَيْتَنا عن الحكومة ثم أمَرْتَنا بها فلم نَدْرِ أىّ الامْرَين أرْشَد فصَفَقَ عليه السلام احْدَى يدَيْه على الأُخْرَى ثم قال

هذا جَزاءُ مَنْ تَرَكَ العُقْدة أمَا والله لَوْ أنّى حين أمَرْتُكُمْ بما أمرتكم به حَمَلْتُكم على المَكْروه الذى يجعل اللهُ فيــه خَيْرا فان اسْتَقَمْتُم هَـدَيْتُكم وان اعْوَجَجْتم قَوَّمْتُكم وان أبَيْتُم تَدارَكْتُكُم لكانت الوُثْقَى ولكن بمن والى من أُريد أنْ أُداوىَ بكم وأنتم دائى كناقش الشوْكَة بالشوكة وهو يعلم أنّ ضَلَعَها معها اللهم قد مَلَّتْ أطبّاء هذا الداء الدَوِىّ وكَلَّتْ النَزَعَةُ بأشطان الرَكِىّ أينَ القومُ الذين دُعُوا الى الاسلام فقَبلوه وقرأوا القرآن فأحْكَموه وهِيجُوا الى القتال فولَهُوا وَلَهَ اللِّقاح الى أوْلادها وسَلَبُوا السيوفَ أغْمادَها وأخَـذوا بأطراف الارض زَحْفًا زَحْفًا وصَفًّا صَفًّا بَعْضٌ هَلَكَ وبَعْضٌ نَجَا لا يُبَشَّرُون بالأحْياء ولا يُعَزَّوْنَ بالمَوْتَى مُرْهُ العيون من البُكاء خُمْصُ البُطون من الصيام ذُبْلُ الشفاه من الدُّعاء صُفْرُ الألْوان من السَهَر على وجُوههـم غَبَرَة الخاشـعين اولئكَ اخْوانى الذاهبُون فحَقَّ لنـا أنْ نَظْمأَ اليهم ونَعَضَّ الأيْدى على فراقهم انّ الشَّـيطانَ يُسَنِّى لكم طُرُقَه ويُريد أن يَحُلّ دينَكم عُقْدَةً عقدةً ويُعطيكم بالجَماعة الفُرْقة فاصْدِفُوا عن نَزَغاته ونَفَثاته واقْبَلوا النصيحةَ ممن أهْداها اليكم واعْقلوها على أنْفُسكم .

ومن كلام له عليه السلام لعُمَر بن الخطاب وقد استشاره فى غَزْوة الفُرْس بنَفْسه

انّ هذا الأمر لم يكن نَصْرُه ولا خذْلانُه بكَثْرة ولا قلّة وهو دين الله الذى أظْهَرَه وجُنْده الذى أعَدّه وأمَدّه حتى بلغ مابلغ وطَلَع حيثُما طَلَع ونحن على مَوْعود من الله والله مُنجِزٌ وَعْدَه وناصرُ جُنْدَه ومكانُ القَيّم بالأمر مكانُ النظام من الخَرَز يجمعُه ويَضُمّه فاذا انْقَطع النظام تَفَرّق الخَرَز وذهب ثم لم يَجتَمع بحذافيره أبدًا والعَرَبُ اليومَ وان كانوا قليلا فهُمْ كثيرون بالاسلام عزيزون بالاجتماع فكن قُطْبًا واسْتَدر الرَّحَى بالعَرَب وأصْلِهمْ دُونَكَ نارَ الحَرْب فانكَ ان شَخَصْتَ من هذه الارض انْتَقَضَتْ عليك العَرَب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تَدَعُ وراءَكَ من العَوْرات أهَمّ اليكَ مما بين يَدَيكَ

انّ الأعاجم انْ يَنْظُروا اليكَ غَدًا يقولوا هذا أصل العرب فاذا قَطَعْتُمُوه اسْتَرَحْتُمْ فيكون ذلك أشَدّ لِكَلَبِهم عليكَ وطَمَعهم فيكَ فأمّا ماذَكَرْتَ من مَسير القوم الى قتال المسلمين فانّ الله سُبحانه هو أكْرَه لمَسيرهم منكَ وهو أقْدَر على تَغْيير مايَكْرَه وأمّا ماذَكَرْتَ من عَدَدهم فانّا لم نَكن نُقاتل فيما مضى بالكَثْرة وانّما كُنّا نُقاتل بالنَّصْر والمَعُونَة

ومن خطبة له عليه السلام خطبها بصفين

أما بعد فقد جعل الله لى عليكم حقا بولاية أمركم ولكم على من الحق مثل الذى لى عليكم فالحق أوسع الاشياء فى التواصف وأضيقها فى التناصف لايجرى لأحد الآ جرى عليه ولايجرى عليه الآ جرى له ولو كان لأحد أن يجرى له ولا يجرى عليـــه لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خلقه لقدرته على عبـاده ولعدله فى كل ما جرت عليه صروف قضائه ولكنه جعل حقه على العباد أن يطيعوه وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلا منه وتوسعا بمـا هو من المزيد أهله ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض النـاس على بعض فجعلهـا تتكافأ فى وجوهها ويوجب بعضها بعضا ولا يستوجب بعضها الآ ببعض وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالى على الرعيـــة وحق الرعية على الوالى فريضة فرضها سبحـانه لكل على كل فجعلها نظاما لألفتهم وعزا لدينهم فليست تصلح الرعية الآبصلاح الولاة ولا تصلح الولاة الآباستقامة الرعية فاذا أدت الرعية الى الوالى حقه وأدى الوالى اليها حقها عز الحق بينهـــم وقامت مناهج الدين واعتدلت معـالم العدل وجرت على أذلالهـا السنن فصلح بذلك الزمان وطمع فى بقـاء الدولة ويئست مطامع الاعداء واذا غلبت الرعية واليها وأجحف الوالى برعيته اختلفت هنالك الكلمة وظهرت

مَعالمُ الجَوْر وكَثُر الادْغال في الدين وتُرِكَت مَحاجّ السُّنَن فعُمِــل بالهَوى وعُطِّلَت الأحكام وكَثُرت علَل النُّفوس فلا يُسْتَوْحَش لعظيم حقّ عُطّل ولا لعظيم باطل فُعل فهنالك تَذِلّ الأبْرار وتَعِزّ الاشْرار وتَعْظُم تَبِعاتُ الله عند العباد فعليكم بالتّناصُح في ذلك وحُسْن التعاوُن عليه فليس أحد وان اشْتدّ على رضاء الله حِرْصُه وطال في العمل اجتهادُه ببالغ حقيقةَ ما اللهُ أهــلُه من الطاعــة ولكن من واجب حقوق الله على العبــاد النصيحة بمبلغ جُهْدهم والتعاوُن على اقامة الحق بينهم وليس امرُؤٌ وان عَظُمَت في الحق منْزلَتُه وتقدّمَت في الدين فضيلته بفَوْقَ أن يُعانَ على ما حَمّله اللهُ من حقّــه ولا امْرُؤ وان صَغَّرتْه النُّفوس واقْتحمَتْه العُيون بدون أن يُعينَ على ذلك أوْ يُعانَ عليه

فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل يُكْثِر فيــه الثَناءَ عليــه ويَذْكُر سَمْعه وطاعتَه فقــال عليه الســلام انّ من حق مَن عَظُم جلالُ الله في نفسه وجَلّ موضعُه من قَلْبه أن يَصْغُر عنــده لعظَم ذلك كُلّ ماسواه وانّ أحَقّ مَن كان كذلك لَمَنْ عَظُمت نعمةُ الله عليه ولَطُف احسانُه اليــه فانه لم تَعْظُم نعمةُ الله على أحد الا ازْداد حقُّ الله عليــه عِظَما وان من أسْخَف حالات الوُلاة عنــد صالح النــاس أن يُظَنّ بهم حُبّ الفخر ويُوضَع أمْرُهم على الكِبْر وقد كَرِهْتُ أن يكون جالَ في ظَنّكم

أنّي أُحبّ الاطْراء واستماعَ الثناء ولَسْتُ بحَمْد الله كذلك ولو كنتُ أُحبّ أن يقال ذلكَ لتركْتُــه انحطاطا لله سبحانه عن تَنـاوُل ما هو أحَق به من العَظمة والكبرياء وربمـا اسْتَحْلَى النـاسُ الثناءَ بعــد البَلاء فلا تُثْنُوا عليّ بجميلِ ثَناء لاخْراجى نفسى الى الله واليكم من التَّقيّــة فى حقوق لم أَفْرُغْ من أدائها وفرائضَ لابُدَّ من امْضائها فلا تُكلّمونى بمـا تُكلّم به الجَبابِرة ولا تتحفَّظوا منّى بما يُتَحفَّظ به عند أهل البـادرة ولا تُخالطونى بالمُصانعة ولا تَظُنّوا بى استثقالا فى حقٍّ قيل لى ولا الْتماسَ اعْظام لنفسى فانه مَن اسْتَثْقَل الحقّ أن يقالَ له أو العَدلَ أن يُعْرَض عليه كان العمل بهما أثقل عليه فلا تَكُفّوا عن مَقالةٍ بحق أو مَشُورةٍ بعَدْل فانّى لَسْتُ فى نفسى بفَوْقَ أنْ أُخْطئ ولا آمَنُ ذلكَ من فعْلى الاّ أن يَكْفِىَ اللهُ من نفسى ماهو أمْلَكُ به منى فانّمـا أنا وأنتم عبيدٌ مملوكون لرَبٍّ لاربَّ غيره يَملكُ منّـا مالا نَملكُ من أنفسنا وأخْرَجنا ممّـا كُنّا فيــه الى ماصَلَحْنا عليه فأبْدَلَنا بعد الضلالة بالهُدَى وأعطانا البصيرة بعد العَمى

ومن وصية له عليه السلام وصّى بها جيشا بعثه الى العدو

فاذا نَزَلْتم بعَــدُوٍّ أو نَزَل بكُم فليكُن مُعَسْكَرُكم فى قُبُــل الأشراف وسِــفاح الجبال أو أثْنـاء الأنهــار كيمـا يكون لكم رِدْءا ودونكُم مَرَدًّا

وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُم من وجه واحد أو اثنين واجعلوا لكم رُقَباء فى صَياصى الجبال وَمَناكب الهضاب لئلا يأتيكم العدوّ من مكان مَخافة أو أمْن واعلموا أنّ مُقدّمة القوم عيونُهم وعيونُ المقدمة طَلائعُهم وايّاكم والتَفرُّق فاذا نَزلتم فانزلوا جميعا واذا ارْتَحَلتم فارْتَحلوا جميعا واذا غَشيَكم الليلُ فاجعلوا الرماح كفّة ولا تَذُوقوا النّوم الّا غِرارًا أو مَضْمضة

ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وانما ذكَرْنا هنا جُملا منها ليُعْلَم بها انه كان يقيم عماد الحق ويَشْرع أمثلةَ العدل فى صغير الامور وكبيرها ودقيقها وجليلها

انْطَلق على تَقْوَى الله وحده لاشريكَ له ولا تُروِعَنّ مسلما ولا تَجْتازَنّ عليه كارها ولا تأْخُذَنّ منه أكثر من حق الله فى ماله فاذا قَدِمْتَ على الحيّ فانْزِلْ بمائهم من غير أن تُخالطَ أبياتَهم ثم امْضِ اليهم بالسكينة والوَقار حتى تقومَ بينهم فتُسَلِّم عليهم ولاتُخْدج بالتحية لهم ثم تقول عبادَ الله أرْسَلَنى اليكم ولىُّ الله وخليفتَه لآخُذَ منكم حق الله فى أموالكم فهل لله فى أموالكم من حق فتُؤَدُّوه الى وَليّه فان قال قائل لا فلا تُراجِعْه وان أنْعَم لكَ مُنْعِمٌ فانْطَلق معه من غير أن تُخيفَه وتُوعِدَه أو تَعْسِفه أو تُرْهِقه فخُذْ ما أعطاكَ من ذهب أو فضة فان كان له ماشية أو ابل فلا تَدْخُلْها الا باذنه فانّ أكثَرَها له فاذا أتيتَها فلا تَدْخُل عليها دُخولَ

مُتَسَلِّط عليه ولا عَنيف به ولا تُنَفِّرَنَّ بَهِيمة ولا تُفْزِعَنَّها ولا تَسُوءَنَّ
صاحِبَها فيها واصْدَعِ المالَ صَدْعَين ثم خَيِّرْه فاذا اخْتار فلا تَعَرَّضَنَّ
لما اخْتارَه ثم اصْدَعِ الباقى صَدْعين ثم خَيِّره فاذا اختار فلا تَعَرَّضَنَّ
لما اختاره فلا تَزال بذلك حتى يَبْقَى مافيه وَفاءٌ لحق الله فى ماله فاقبِضْ
حق الله منه فان اسْتَقالَكَ فأقِلْه ثم اخْلِطْهما ثم اصْنع مِثْل الذى صَنَعْتَ
أوّلا حتى تأخذ حق الله فى ماله ولا تأخُذَنَّ عَوْدا ولا هَرِمة ولا
مكسورةً ولا مَهْلوسة ولا ذاتَ عَوارٍ ولا تأمَنَنَّ عليها الّا من تثق بدينه
رافقا بمال المسلمين حتى يُوَصِّله الى وَلِيّهم فيَقْسمه بينهم ولا تُوَكِّلْ بها الّا
ناصحا شفيقا وأمينا حفيظا غيرَ مُعَنِّف ولا مُجْحِف ولا مُلْغِب ولا مُتْعِب
ثم أحْدُر الينا ما اجْتَمع عندك نُصَيِّره حيثُ أمَرَ اللهُ فاذا أخَذَها أمينُكَ
فأوْعِزْ اليه أن لا يَحُول بيْن ناقة وبينَ فَصيلها ولا يَمْصُر لَبَنَها فيَضُرّ ذلكَ
بوَلَدها ولا يَجْهَدَنَّها رُكوبًا وليَعْدِل بيْن صواحباتها فى ذلك وبينَها وليُرَفِّه
على اللاغِب وليَسْتَأْنِ بالنَّقِب والظالع وليُورِدْها ما تَمُرّ به من الغُدُر
ولا يَعْدِل بها عن نَبْت الارض الى جَوادّ الطُّرُق وليُرَوِّحْها فى الساعات
وليُمْهِلْها عند النطاف والأعْشاب حتى تأتينا باذن الله بُدْنا مُنْقِيات غيرَ
مُتْعَبات ولا مجهودات لنَقْسِمَها على كتاب الله وسُنّة نبيه صلى الله عليه
وآله فان ذلك أعظم لأجْرِك وأقْرَب لرُشْدِك ان شاء الله

وقال عليه السلام وقد سمع رجلا يذم الدنيا أيها الذامّ للدنيا المغترّ بغرورها المخدوع بأباطيلها ثم تذمّها أتغترّ بالدنيا ثم تذمّها أنت المتجرّم عليها أم هي المتجرّمة عليك متى استهوتك أم متى غرّتك أبمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع أمّهاتك تحت الثرى كم علّلت بكفّيك وكم مرّضت بيديك تبغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الأطبّاء لم ينفع أحدهم إشفاقك ولم تسعف بطلبتك ولم تدفع عنه بقوّتك قد مثّلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك انّ الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزوّد منها ودار موعظة لمن اتّعظ بها مسجد أحبّاء الله ومصلّى ملائكة الله ومهبط وحي الله ومتجر أولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنّة فمن ذا يذمّها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها فمثّلت لهم ببلائها البلاء وشوّقتهم بسرورها الى السرور راحت بعافية وابتكرت بفجيعة ترغيبا وترهيبا وتخويفا وتحذيرا فذمّها رجال غداة الندامة وحمدها آخرون يوم القيامة ذكّرتهم الدنيا فتذكّروا وحدّثتهم فصدقوا ووعظتهم فاتّعظوا

عهد أمير المؤمنين الامام على كرم الله وجهه ورضى عنه للاشتر النخعى

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ماأمر به عبـد الله على أمير المؤمنين مالك بن الحـارث الأشتر فى عهده حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واصلاح أهلها وعمـارة بلادها أمره بتقوى الله وايثار طاعته واتباع ماأمر به فى كتابه من فرائضه وسـننه التى لا يسعد الا باتباعها ولايشقى الا مع جحودهـا واضاعتها وأن ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه فانه جل اسمـه قد تكفل بنصر من نصره واعزاز من أعزه وأمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات ويزعها عند الجمحات فان النفس أمارة بالسوء الا مارحم الله ثم اعلم يامالك انى قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليهـا دول قبلك من عدل وجور وأن الناس ينظرون من أمورك فى مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك و يقولون فيك كما كنت تقول فيهم وانمـا يستدل على الصالحين بمـا يجرى الله لهم على ألسنة عباده فليكن أحب الذخائر اليك ذخيرة العمـل الصـالح فاملك هواك وشح بنفسك عمـا لايحل لك فان الشح بالنفس الانصاف منهـا فيمـا أحببت أوكرهت وأشعر قلبك الرحمة للرعيـة والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سـبعا ضاريا

تَغْنَمِ أكْلَهم فانهم صنْفان إمّا أَخٌ لكَ فى الدّين وإمّا نظيرٌ لكَ فى الخَلْق
يَفْرُط منهم الزَّلل وتَعْرض لهم العلَل ويُؤْتَى على ايديهم فى العَمْـد والخَطأ
فأعْطهم من عفْولـَ وصَفْحكَ مثْـل الذى تُحبّ وتَرْضى أن يُعطيَكَ اللهُ
من عفْوه وصَفْحه فانكَ فَوْقهم ووَالى الامْر عليكَ فَوْقَكَ واللهُ فوق مَن
وَلاّلـَ وقد اسْتَكْفَالـَ أمْرَهُم وابْتَلالـَ بهم ولا تَنْصبنّ نفسَكَ لحَرْب الله
فانّه لايَدَىْ لكَ بنقْمته ولا غِنَى بكَ عن عفوه ورحمتـه ولا تَنْدَمنّ على
عفوٍ ولا تَبْجَحَنّ بعُقوبة ولا تُسْرعَنّ الى بادرة وجَدْتَ عنها مَنْـدوحة
ولا تقولَنّ انى مُؤَمَّرٌ آمر فَأُطاع فان ذلكَ ادْغال فى القلب ومَنْهكة للدين
وتَقَرُّبٌ من الغيَر واذا اَحْدَثَ لكَ ماأنتَ فيه من سُلْطانكَ أبّهَةً أو مَخيلةً
فانظر الى عظَم مُلْكُ الله فَوْقكَ وقُدْرته منكَ على مالا تَقْدر علـيـه من
نفسـكَ فانّ ذلكَ يُطَامن اليكَ من طماحكَ ويَكُفّ عنكَ من غَرْبكَ
ويَفيء اليـكَ بمـا عَزَب عنـكَ من عَقْلكَ وإيّاكَ ومُسَاماة الله فى عَظَمته
والتَشَبُّه به فى جَبَرُوته فان الله يُذلّ كُلّ جَبّار ويُهين كُلّ مُخْتال اَنْصف
الله وانصف النّاسَ من نفسكَ ومن خاصّة أهلكَ ومَن لكَ فيـه هَوًى
من رَعيّتكَ فانكَ ان لاتَفْعَل تَظْلمْ ومن ظَلَم عبادَ الله كان اللهُ خَصْمه
دون عبَاده ومَن خاصَمَه اللهُ أدْحَض حُجّتَـه وكان لله حَرْبا حتى يَنْزع
ويَتُوب وليس شئٌ أدْعَى الى تغيير نعمـة الله وتعجيل نقْمتـه من اقامة

على ظُلم فان الله سميعُ دعوةَ المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد وليكن أحبَّ
الامور اليك أوسطها فى الحق وأعمّها فى العدل وأجمعها لرضى الرعيـــة
فان سخط العامة يجحف برضى الخاصة وان سخط الخاصـــة يغتفر مع
رضى العـامة وليس أحدٌ من الرعيـــة أثقل على الوالى مؤنةً فى الرخاء
وأقل معونةً فى البـــلاء وأكره للانصاف وأسأل بالالحـاف وأقل شكرا
عند الاعطاء وأبطأ عذرا عند المنع وأخف صبرا عند ملمات الدهر من
أهل الخاصة وانمـا عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من
الأمة فليكن صغوك لهم وميلك معهم وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم
عنـــدك أطلبهم لمعايب النـــاس فان فى النـــاس عيوبا الوالى أحق من
سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منهـا فانمـا عليك تطهير ماظهر لك
والله يحكم على ماغاب عنك فاستر العورة مااستطعت يستر الله منك
ماتحب ستره من رعيتك أطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك
سبب كل وتر وتغاب عن كل مالا يصح لك ولا تعجلن الى تصديق ساع
فان الساعى غاش وان تشبه بالناصحين ولا تدخلن فى مشورتك بخيلا
يعـــدل بك عن الفضل ويعـــدك الفقر ولا جبانا يضعفك عن الامور
ولا حريصا يزين لك الشره بالجور فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى
يجمعها سوء الظن بالله ان شر وزرائك من كان قبلك للاشرار وزيرا

ومن شَرِكَهُمْ فى الآثام فلا يكونَنّ لك بطانة فانهم أعْوان الأئمة واخْوان الظَلَمَة وأنتَ واجدٌ منهـم خَيْرَ الخلَف ممن له مثْلُ آرائهم ونَفَاذهم وليس عليه مثْل آصارهم وأوزارهم ممن لايعُاون ظالما على ظُلْمِـه ولا آثما على اثْمه أولئك أخَفّ عليك مؤُونَةً وأحْسَــن لك مَعُونة وأحْنَى عليك عَطْفا وأقلّ لغيرك الْفا فاتّخذ أولئك خاصّةً لخلَوَاتك وحَفَلاتك ثم ليَكن آثَرَهم عندك أقْوَلُهم لك بمُرّ الحَقّ وأقلّهم مُساعدة فيما يكون منك مما كَرِه الله لأوْليائه واقعًا ذلك من هَواك حيث وقَعَ والْصَقْ بأهل الوَرَع والصّدْق ثم رُضْهم على أن لايُطْرُوك ولا يُبجحوك بباطل لم تَفعَلْه فانّ كثْرة الاطْرء تُحْدث الزَهْو وتُدْنى من العزّة ولا يكونَنّ المحْسِــن والمُسىء عندك بمنْزلة سَواء فانّ فى ذلك تَزْهيدا لأهْل الاحسان فى الاحسان وتدْريبا لأهــل الاساءة على الاساءة وألْزم كُلّا منهم ماألْزَم نفســه واعْلَمْ أنه ليس شئ بأدْعى الى حُسْــن ظنّ وَال برَعيّته من احْسانه اليهم وتخْفيفه المُؤونات عليهم وترْك استكْراهه اياهُم على ماليس له قبَلهم فلْيَكُنْ منــك فى ذلك أمْر يجْمع لك حُسْنَ الظنّ برَعيّتك فانّ حُسْن الظنّ يقْطَع عنك نَصَبًا طويلا وانّ أحَقّ مَنْ حَسُنَ ظنّك به لمَن حَسُنَ بلاؤُك عنده وانّ أحَقّ مَن ساءَ ظَنّك به لمَنْ ساءَ بلاؤك عنده ولا تنْقُضْ سُنّةً صالحة عَمل بها صُدُور هذه الأمّة واجْتَمَعَتْ بهـا الأُلْفة وصَلَحَتْ عليها الرعية ولا تُحْدثَنّ

سنّة تَضُرّ بشئ مما مضى من تلك السُّنن فيكون الأجر لمن سنّها والوزر عليك بما نقضْتَ منها وأكثر مُدارسة العُلماء ومناقشة الحُكماء فى تثبيت ماصَلَح عليه أمر بلادك واقامة مااستقام به الناس قبلك واعلم أنّ الرعية طبقات لايصلُح بعضُها الّا ببعض ولا غنًى ببعضها عن بعض فمنها جُنودُ الله ومنها كُتّاب العامّة والخاصة ومنها قُضاةُ العدل ومنها عُمّال الانصاف والرفْق ومنها أهلُ الجزْية والخَراج من أهــل الذمّة ومُسْلمة الناس ومنها التجّار وأهلُ الصناعات ومنها الطبَقة السُفْلَى من ذَوى الحاجة والمَسكَنة وكُلّا قد سَمّى اللهُ سَهْمَه ووضَع على حَدّه فريضةً فى كتابه أو سُــنّة نبيه صلى الله عليه وآله عَهْدًا منه عندنا محفوظا فالجُنود باذن الله حُصُون الرعية وزَيْن الوُلاة وعزّ الدين وسُــبُل الأمْن وليس تَقوم الرعية الّا بهم ثم لاقوام للجُنود الا بما يُخْرِج اللهُ تعالى لهم من الخَرَاج الذى يقْوَوْن به فى جهاد عَدُوّهم ويعتمدون عليه فيما يُصْلحهم ويكون من وراء حاجتهم ثم لاقوامَ لهذَيْن الصنْفين الا بالصّنْف الثالث من القُضَاة والعُمّال والكُتّاب لمَا يُحكمون من المَعَاقد ويَجْمعون من المنافع ويُؤْتمَنون عليه من خَواصّ الامور وعَوَامّها ولا قوامَ لهم جميعا الا بالتجّار وذَوى الصّــناعات فيما يجتمعون عليــه من مَرَافقهم ويُقيمونه من أسْــواقهم ويكْفُونهم من الترَفّق بأيْديهم مالا يبْلُغ رفْق غيرهم ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة

والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفى الله لكل سعة ولكل على الوالى حق بقدر مايصلحه وليس يخرج الوالى من حقيقة ماألزمه الله من ذلك الا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزومه الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل فول من جنودك أنصحهم فى نفسك لله ولرسوله ولامامك وأطهرهم جيبا وأفضلهم حلما ممن يبطىء عن الغضب ويستريح الى العذر ويرأف بالضعفاء وينبو على الاقوياء ممن لايثيره العنف ولا يقعد به الضعف ثم الصق بذوى المروآت والاحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من أمورهم مايتفقده الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن فى نفسك شئ قويتهم به ولا تحقرن لطفا تتعاهدهم به وان قل فانه داعية الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف امورهم اتكالا على جسيمها فان لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به وللجسيم موقعا لايستغنون عنه وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم فى معونته وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهلهم حتى يكون همهم هما واحدا فى جهاد العدو فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك وان أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل فى البلاد

وظُهور مودّة الرعيّة وأنه لا تَظْهر مودّتهم الا بسلامة صدورهم ولا تصحّ نصيحتهم الا بحيطتهم على وُلاة أمورهم وقلّة استثقال دُوَلهم وتَرْكُ استبطاء انقطاع مُدّتهم فافسَحْ فى آمالهم وواصلْ فى حُسْن الثّناء عليهم وتَعْديد ماأبْلَى ذوو البلاء منهم فان كَثْرةَ الذِّكْر لحُسْن فَعالهم تَهُزّ الشُّجاع وتُحَرِّضُ الناكلَ ان شاء اللهُ تعالى ثم اعْرِف لكلِّ امرئ منهم ماأبْلَى ولا تُضيفَنَّ بلاءَ امرئ الى غيره ولا تُقَصِّرَنَّ به دون غاية بلائه ولا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امرئ الى أنْ تُعَظِّم من بَلائه ماكان صغيرا ولا ضَعةُ امرئ أنْ تَسْتَصْغِرَ من بَلائه ماكان عظيما واردُدْ الى الله ورسوله مايُضْلِعُكَ من الخُطوب ويَشْتَبِه عليك من الأمور فقد قال الله سبحانه لقَوْم أَحَبَّ ارْشادَهم (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ وأُولِى الأمْر منكم فان تنازعتُم فى شئ فَرُدُّوه الى الله والرسول) فالرَّدُّ الى الله الأخذ بمحكَم كتابه والرَّدُّ الى الرسول الأخْذ بسُنَّته الجامعة غير المُفَرِّقة ثم اخْتَرْ للحُكْم بين الناس أفْضَل رَعيّتك فى نَفْسك ممّن لاتَضيق به الامور ولا تُمَحِّكه الخُصوم ولا يَتَمادى فى الزَّلّة ولا يَحْصَر عن الفَىْء الى الحَقّ اذا عَرَفه ولا تُشْرِف نَفْسُه على طَمَع ولا يَكْتَفى بأدْنَى فَهْم دون أقصاه أوْقَفَهم فى الشُّبُهات وآخَذَهم بالحُجَج وأقَلَّهم تَبَرُّمًا بمراجعة الخَصْم وأصْبَرَهم على تَكَشُّف الأُمور وأصْرَمَهم عند اتّضاح الحُكْم ممن لايَزْدَهيه اطْراء

ولا يَسْتَميله اغْراء وأولئك قليل ثم أَكْثِرْ تَعاهُد قضائه وافْسَح له فى البَذْل ما يُزِيح علّته وتَقِل معه حاجتُه الى الناس وأَعْطه من المنزلة لديك مالا يَطْمَع فيه غيرُه من خاصتك لتأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك . فانْظُر فى ذلك نَظَرا بليغا فانّ هذا الدّين قد كان أسيرا فى أيْدى الاشرار يُعمَل فيه بالهوى وتُطلب به الدّنيا ثم انْظُرْ فى أُمورِ عُمّالك فاسْتَعْمِلْهم اخْتبارا ولا تُوَلِّهِمْ مُحاباةً وأَثَرَةً فانهم جماعٌ من شُعَب الجَوْر والخيانة وتَوَخَّ منهم أهل التّجْربة والحَياء من أهل البُيوتات الصالحة والقَدَم فى الاسْلام فانهم أكْرَمُ أخْلاقا وأصَحّ أعْراضا وأقَلّ فى المطامع اشرافا وأبلغ فى عواقب الأمور نَظَرا ثم أَسْبِغ عليهم الأرزاق فان ذلك قوّةٌ لهم على اسْتِصْلاح أنفُسِهم وغنًى لهم عن تَناوُل ما تحت أيْديهم وحُجّة عليهم ان خالَفُوا أمْرك أو خانُوا أمانتك ثم تَفَقّدْ أعمالهم وابْعَث العُيُون من أهل الصِّدْق والوَفاء عليهم فانّ تَعاهُدك فى السرّ لأمورهم حَدْوةٌ لهم على استعمال الأمانة والرِّفْق بالرَّعيّة وتَحَفّظ من الاعوان فانْ أحدٌ منهم بَسَط يَدَه الى خيانة اجْتَمَعَتْ بها عليه عندك أخْبار عُيُونك اكْتَفَيْتَ بذلك شاهدًا فَبَسَطْتَ عليه العُقُوبة فى بَدَنه وأخَذْتَه بما أصابَ من عمله ثم نَصَبْتَه بمقام المَذَلّة ووَسَمْتَه بالخيانة وقَلّدْتَه عارَ التُّهْمَة وتَفَقّدْ أمْرَ الخَراج بما يُصْلِح أهلَه فان فى صلاحه وصلاحهم صلاحًا لمن سواهم

ولا صَلاحَ لمن سواهم الاّ بهم لانّ الناس كُلّهم عيالٌ على الخَراج وأهْله ولكن تطرُّلكَ فى عمارة الارض أبْلَغ من نَظَرلكَ فى اسْتِجْلاب الخَراج لأنّ ذلكَ لايُدْرَكُ الاّ بالعمارة ومَن طلبَ الخَراج بغير عمارة أخْرَب البلادَ وأهلكَ العباد ولم يَسْتَقم أمْرُه الاّ قليلا فانْ شَكَوْا ثِقَلاً أوعِلّةً أوانْقطاع شرْبٍ أو بالّةٍ أو احالةَ أرض اغْتَمَرها غَرَقٌ أو أجْحَف بها عَطَشٌ خَفِّفْتَ عنهم بما تَرْجُو أن يَصْلُحَ به أمْرُهم ولا يَثْقُلَن عليـكَ شئٌ خَفّفْتَ به المُؤْنَةَ عنهم فانه ذُخْر يَعُودون به عليكَ فى عمارة بَلَدكَ وتَزْيين ولايَتكَ مع استجلابكَ حُسْنَ ثنائهم وتَبَجُّحكَ باستفاضة العَدْل فيهم مُعْتَمِدا فَضْل قُوّتهم بما ذَخَرْتَ عندهم من اجْمامكَ لهم والثقة منهم بما عَوّدْتَهم من عَدْلكَ عليهم فى رِفْقكَ بهم فربما حَدَث من الأمور ماإذا عُوّل فيه عليهم من بَعْدُ احْتَمَلُوه طَيّبَة أنْفُسُهُم به فانّ العُمْران يَحْتَمِل ماحَمّلْتَه وانما يأتى خَرابُ الأرض من اعْوازِ أهْلها وانما يُعْوِز أهْلُها لاشْراف أنْفُس الوُلاة على الجمع وسُوء ظَنّهم بالبقاء وقلّة انتفاعهم بالعِبَر ثم انْظُر فى حال كُتّابكَ فَوَلِّ على أُمورِكَ خَيْرَهم واخْصُص رَسائلَكَ التى تُدْخِل فيها مَكائِدَكَ وأسرارَكَ بأجمعهم لوُجوه صالح الاخْلاق ممّن لاتُبْطِره الكَرامة فيجترئ بها عليكَ فى خلاف لكَ بحَضْرة مَلأٍ ولا تُقَصِّر به الغَفْلة عن ايراد مكاتَبات عُمّالكَ عليكَ واصدار جَواباتها على الصَّواب

عنكَ فيما يَأخُذ لكَ ويُعْطى منكَ ولا يُضْعف عقدا اعْتَقَده لكَ ولا يَعْجز
عن اطلاق ماعُقِد عليكَ ولا يَجْهَل مَبْلَغ قَدْر نفسه فى الأمور فان
الجاهل بقَدْر نفْسه يكون بقدر غيره أجْهلَ ثم لايكن اختيارُكَ اياهم
على فراستكَ واستنامتكَ وحُسْن الظن منكَ فانّ الرجال يَتَعرّفون
لفراسات الوُلاة بتَصَنُّعهم وحُسن خدمتهم وليس وراءَ ذلكَ من النصيحة
والأمانة شئ ولكن اخْتَبِرْهم بما وَلُوا للصالحين قَبْلكَ فاعْمد لأحْسنهم
فى العامّة أثرًا وأعْرَفهم بالأمانة وجْهًا فان ذلكَ دليلٌ على نصيحتكَ لله
ولمن وَليتَ أمْرَه واجعل لرأس كلّ من أمورِكَ رأسا منهم لايقْهَره كبيرُها
ولا يَتَشتّتُ عليه صغيرُها ومهما كان فى كُتّابكَ من عَيب فتَغابيْتَ عنه
أُلْزمْتَه ثم اسْتَوص بالتجّار وذوى الصناعات وأوْص بهم خيرا المُقيم منهم
والمُضْطرب بماله والمُتَرفّق بِبَدنه فانهم مَوادّ المنافع وأسباب المَرَافق
وجُلّابُها من المَباعد والمَطارح فى برّكَ وبحرِكَ وسَهْلكَ وجَبَلكَ وحيث
لايَلْتَئِم الناسُ لمواضعها ولايجْتَرِؤون عليها فانهم سلْمٌ لاتُخاف بائقَتُه وصُلْحٌ
لاتُخْشَى غائلتُه وتَفَقّدْ أمورَهم بحضْرتكَ وفى حَواشى بلادكَ واعْلَم مع
ذلكَ انّ فى كثير منهم ضيقا فاحشًا وشُحًّا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكّما
فى البياعات وذلكَ بابُ مَضَرّة للعامّة وعَيبٌ على الوُلاة فامْنَع من الاحتكار
فان رسول الله صلى الله عليه وآله مَنَع منه وليَكُن البيع بيعا سمْحا

بموازين عَدْل وأسْعار لاتُجْحِف بالفريقين من البائع والمُبْتاع فمن قارَف حُكْرةً بعد نَهْيك اياه فنَكِّلْ به وعاقب فى غير اسْراف ثم اللهَ اللهَ فى الطَبَقة السُّفْلَى من الذين لاحيلةَ لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البُؤْسَى والزَمْنَى فانّ فى هذه الطبقة قانعًا ومُعْتَرًّا واحْفَظ لله مااسْتَحْفَظك من حَقّه فيهم واجعل لهم قِسْما من بيْت مالك وقِسْما من غَلَّات صَوافى الاسلام فى كل بلد فان للأقْصَى منهم مِثْل الذى للأدْنَى وكُلٌّ قد اسْتُرْعيت حقّه فلا يَشْغَلَنَّك عنهم بَطَرٌ فانك لاتُعْذَر بتَضْييعك التافهَ لاحْكامك الكثيرَ المُهمّ فلا تُشْخِصْ هَمَّك عنهم ولا تُصَعِّرْ خَدَّك لهم وتَفَقَّد أمورَ مَن لايَصِلُ اليك منهم ممن تَقْتَحِمه العيون وتَحْتَقِرُه الرجال فَفَرِّغ لأولئك ثِقَتَك من أهل الخَشْية والتواضع فليَرْفَع اليك أمورَهم ثم اعمَل فيهم بالاعْذار الى الله سبحانه يوم تَلْقاه فانّ هؤلاء من بين الرَعيّة أحْوَجُ الى الانْصاف من غيرهم وكُلٌّ فأعْذِرْ الى الله فى تأدية حقه اليه وتَعَهَّد أهلَ اليُتْم وذوى الرِّقَّة فى السِّنّ ممن لاحيلَة له ولا يَنْصِب للمسألة نَفْسه وذلك على الوُلاة ثَقِيل والحَقّ كُلُّه ثَقِيل وقد يُخَفِّفه اللهُ على أقوام طَلَبوا العاقِبةَ فصَبَّروا أنْفُسَهم ووَثِقُوا بصدق مَوعود الله لهم واجْعَلْ لذوى الحاجات منك قِسْما تُفَرِّغُ لهم فيه شَخْصَك وتَجْلِس لهم مَجْلِسا عامًّا فتتواضَع فيه لله الذى خَلَقَك وتُقْعِد عنهم جُنْدَك وأعْوانَك من أحْراسك

وشُرَطك حتى يُكلّمك متكلّمهم غيرَ مُتَتَعتِع فانّى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول فى غير مَوْطن (لن تُقَدَّس أمَّةٌ لايُؤْخَذ للضعيف فيها حقُّه من القَوِىّ غير مُتَتَعْتِع) ثم احْتَمِل الخُرْق منهم والعِىّ ونَحِّ عنهم الضِيقَ والأنَفَ يَبْسُط اللهُ عليكَ بذلكَ أكْنافَ رحمته ويُوجِبْ لكَ ثوابَ طاعته وأعطِ ماأعْطَيْتَ هنيأ وامْنَعْ فى إجْمال وإعْذار ثم أمورٌ من أُمورِكَ لابُدَّ لكَ من مُباشَرتِها منها اجابةُ عُمَّالكَ بما يَعْيا عنه كُتَّابُكَ ومنها اصْدارُ حاجات الناس يومَ وُرودها عليكَ مما تَحْرَج به صدورُ أعوانكَ وأمْضِ لكل يوم عَمَلَه فان لكل يوم مافيه واجعل لنفسكَ فيما بينكَ وبين الله تعالى أفضل تلكَ المواقيت وأجْزَلَ تلكَ الاقسام وإن كانت كُلّها لله اذا صَلَحت فيها النِيَّة وسَلِمت منها الرعيّة وليكن فى خاصّة ماتُخْلِص لله به دينَكَ اقامةُ فرائضه التى هى له خاصة فأعْطِ اللهَ من بَدَنكَ فى لَيْلكَ ونَهارِكَ ووَفِّ ما تَقَرَّبْتَ به الى الله سبحانه من ذلكَ كاملا غيرَ مَثْلُوم ولا منقوص بالغا من بَدَنكَ مابَلَغ واذا قُمْتَ فى صلاتكَ للناس فلا تكونَنّ مُنَفِّرا ولا مُضَيِّعا فانَ فى الناس من به العِلّة وله الحاجة وقد سألتُ رسول الله صلى الله عليه وآله حين وَجَّهَنى اليَمن كيف أُصَلّى بهم فقال (صَلِّ بهم كصلاة أضْعَفهم وكُنْ بالمؤمنين رحيما) وأمّا بعدُ فلا تُطَوِّلَنّ احتجابَكَ عن رَعِيَّتكَ فانّ

احتجابَ الوُلاة عن الرعية شُعْبة من الضيق وقلّة علمٍ بالأمور والاحتجاب منهم يَقْطع عنهم علْمَ ما احتجبوا دونه فيَصْغُر عندهم الكبير ويَعْظُم الصغير ويَقْبُح الحَسَن ويَحْسُن القبيح ويُشاب الحق بالباطل وانما الوالى بَشَرٌ لايَعْرف ما توارَى عنه الناسُ به من الأمور وليست على الحق سماتٌ تُعرَفُ بها ضُروب الصدق من الكذب وانما أنتَ أحد رَجُلين اما امْرُؤٌ سَخَت نفسُكَ بالبَذْل فى الحق ففيمَ احتجابُكَ من واجب حق تُعطيه أو فعْل كريم تُسْديه أو مُبْتَلًى بالمَنْع فما أسْرَع كَفّ الناس عن مَسألتك اذا أيسُوا من بَذْلك مع أنّ أكثر حاجات الناس اليك مما لامَؤُونة فيه عليك من شَكاة مَظْلَمة أو طَلَب انصاف فى مُعامَلة ثم انّ للوالى خاصةً وبِطانة فيهم اسْتئْثار وتَطاوُلٌ وقلة انْصاف فى مُعاملة فاحْسم مادة أولئك بقَطع أسباب تلك الاحوال ولا تُقْطِعَنّ لأحد من حاشيتك وخاصّتك قطيعة ولا يَطْمَعَنّ منك فى اعتقاد عُقْدة تَضُرّ بمن يَليها من الناس فى شِرْب أو عَمَل مشترَك يَحملون مؤونَته على غيرهم فيكون مَهْنَأ ذلك لهم دونَكَ وعيبُه عليك فى الدنيا والآخرة وألْزِم الحقَّ مَن لَزِمه من القَريب والبعيد وكُن فى ذلك صابراً محتسباً واقعاً ذلك من قرابتك وخاصّتك حيثُ وَقَع وابْتَغِ عاقبَتَه بما يَثْقُل عليك منه فانّ مَغَبّة ذلك محمودة وان ظَنّت الرعية بك حَيْفاً فأصحِرْ لهم بعُذْرك واعْدِلْ عنك

ظنونهم باصحارك فان فى ذلك رياضة منك لنفسك ورفقا برعيتك واعذارا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق ولا تدفعن صلحا دعاك اليه عدوك ولله فيه رضا فان فى الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمنا لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتهم فى ذلك حسن الظن وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت فانه ليس من فرائض الله شئ الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك فانه لا يجترئ على الله الا جاهل شقى وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته وحريما يسكنون الى منعته ويستفيضون الى جواره فلا ادغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك فيه من الله طلبة فلا تستقيل فيها

دُنْيالَ ولا آخَرتكَ إياكَ والدماءَ وسَفْكَها بغير حلّها فانه ليس شئ أدْعى لنِقْمة ولا أعْظَم لتَبِعَــة ولا أحْرَى بزَوال نِعْمــة وانقطاع مُدّة من سَفْك الدّماء بغــير حَقّها والله سبحانه يَتَوَلّى الحُكْم بين العباد فيما تَسافَكوا من الدّماء يومَ القيامة فلا تُقَوِيَنّ سُلْطانَكَ بسَفْك دَم حَرام فانّ ذلكَ مما يُضْعفُه ويُوهنُه بل يُزيله ويَنْقُلُه ولا عُذْرَ لكَ عند الله ولا عندى فى قَتْل العَمْد لأنّ فيــه قَوَدَ البَدَن وان ابْتُليتَ بخَطأ وأفْرَط عليكَ سَوْطُكَ أو سيفُكَ أو يَدُكَ بعقُوبة فانّ فى الوَكْزة فما فوقَها مَقْتَلة فلا تَطْمَحَنّ بكَ نَخْوَة سُلْطانكَ عن أن تُؤَدّى الى أولياء المَقْتول حَقّهم وإياكَ والاعْجاب بنفسكَ والثّقَةَ بما يُعْجبكَ منها وحُبَّ الاطْراء فانّ ذلكَ من أوْثَق فُرَص الشّيطان فى نفسه ليَمْحَقَ مايكون من احسان المحسنين وإياكَ والمَنَّ على رَعيّتكَ باحسانكَ أو التّزَيّد فيما كان من فعْلكَ أو أن تَعِــدَهُم فتُتْبع مَوْعِدَكَ بخُلْفــكَ فانّ المَنّ يُبْطل الاحسانَ والتّزَيُّد يَذْهَب بنور الحَقّ والخُلْف يوجب المَقْتَ عند الله والناس قال الله سبحانه (كَبُرَ مَقْتًا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون) وإياكَ والعَجَلَة بالأُمور قبلَ أوانها أو التّسَقُّط فيها عند امكانها أو اللّجاجَة فيها اذا تَنَكّرَتْ أو الوَهْنَ عنها اذا اسْتَوْضَحَتْ فَضَعْ كُلَّ أمْرٍ مَوْضعَه وأوْقعْ كُلّ عَمَلٍ مَوْقعَه وإياكَ والاسْتئْثار بما الناسُ فيــه أُسْوَةٌ والتّغابِىَ عما يُعْنَى به مما قد وَضَحَ للعُيون فانه مأخوذٌ منكَ

لغيرك وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور وينتصف منك للظلوم املك حمية أنفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك والواجب عليك أن تتذكر مامضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاضلة أو أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله أو فريضة فى كتاب الله فتقتدى بما شاهدت مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك فى اتباع ما عهدت اليك فى عهدى هذا واستوثقت به من الحجة لنفسى عليك لكيلا يكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة أن يوفقنى واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء فى العباد وجميل الأثر فى البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وأن يختم لى ولك بالسعادة والشهادة انا الى الله راغبون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين

ومن طريف أخبار بن أبى عتيق أن عثمان بن حيان المرى لما دخل المدينة واليا عليها اجتمع الاشراف عليه من قريش والانصار فقالوا له انك لاتعمل عملا أجدى ولا أولى من تحريم الغناء والرثاء ففعل وأجلهم

ثلاثا فقدم ابن أبي عتيق في الليلة الثالثة فحط رحله بباب سلامة الزرقاء وقال لها بدأت بك قبل أن أصير الى منزلي فقالت أوما تدري ما حدث وأخبرته الخبر فقال أقيمي الى السحر حتى ألقاه فقالت إنا نخاف أن لانقني شيأ وننكظ (أي نعجل) فقال انه لابأس عليك ثم مضى الى عثمان فاستأذن عليه فأخبره أن أحدما أقدمه عليه حب التسليم عليه وقال له ان من أفضل ماعملت به تحريم الغناء والرثاء فقال ان أهلك أشاروا علي بذلك قال فانك قد وفقت ولكني رسول امرأة اليك تقول قد كانت هذه صناعتي فتبت الى الله منها وأنا أسألك أيها الأمير أن لاتحول بينها وبين مجاورة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال عثمان اذن أدعها لك قال اذن لايدعها الناس ولكن تدعو بها فتنظر اليها فان كانت ممن يترك تركتها قال فادع بها قال فأمرها ابن أبي عتيق فتقشفت وأخذت سبحة في يدها وصارت اليه وحدثته عن مآثر آبائه ففكه لها فقال لها ابن أبي عتيق اقرئي للامير ففعلت فأعجب بذلك فقال لها فاحدي للامير فجركه حداؤها ثم قال لها غني للامير فجعل يعجب بذلك عثمان فقال له ابن أبي عتيق فكيف لو سمعتها في صناعتها فقال له قل لها فلتقل فأمرها فتغنت

سددن خصاص الخيم لما دخلنه * بكل لبان واضح وجبين

فنزل عثمان بن حيان عن سريره حتى جلس بين يديها ثم قال لا والله ماشئّلت يُخْرَج عن المدينة فقال له ابن أبى عتيق أذًا يقول الناسُ أذنَ لسلامة فى المُقام ومَنع غيْرَها فقال له عثمان قد اذنْتُ لهم جميعا

بعض أخبار الحجّاج لما ولى العراق

قال التّوّزى بَيْنما نحن فى المسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذَوُو حال حَسَــنة يخرج الرجل منهم فى العشرة والعشرين من مواليه اذ أتى آت فقال هذا الحجاج قد قدم أميرا على العراق فاذا به قد دخل المسجد مُعْتَمّـا بعمامة قد غطّى بها أكْثَر وَجْهه متقلّدا سيفا متنكّبا قوسا يَؤُم المنبر فقام الناس نحوَه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لايتكلم فقال الناس بعضهم لبعض قبح الله بنى أُمَيّة حيث تستعمل مثلَ هذا على العراق حتى قال عُمَير بن ضابئ البُرجُمّى ألاَ أَحْصِبُه لكم فقالوا أَمْهِلْ حتى نَنْظر فلما رأى عيونَ الناس اليه حَسَرَ اللثام عن فيه ونَهَض فقال

أنا ابنُ جَلَا وطَلّاع الثّنَايا * متى أضعِ العمامة تعرفونى

ثم قال ياأهـل الكوفة انّى لأرَى رُؤسا قد أينعتْ وحان قطافُهـا وانّى لَصاحبُها وكأنّى أنْظُر الى الدّماء بين العمائم واللحى ثم قال

هذا أوان الشّدّ فاشتدّى زيَمْ * قد لفّها الليــلُ بسَوّاق حُطَمْ

ليس براعى ابلٍ ولا غـــنمْ * ولا بجزّار على ظَهْرِ وَضَمْ

ثم قال

قد لفّها الليلُ بعصْلَبيّ * أروعَ خرّاجٍ من الدوّىّ

* مُهاجرٍ ليس بأعْرابىّ *

وقال

قد شمّرتْ عن ساقها فشُدّوا * وجدّت الحـرْبُ بكم فجِـدّوا

والقَـــوْس فيها وَتَرٌ عُـرُدّ * مثـلُ ذراع البَكْر أو أشـدّ

* لابُدّ ممـا ليس منه بُدّ *

إنّى والله ياأهْل العراق مايُقَعْقَع لى بالشنان ولا يُغمَز جانبى كتغمـاز التين ولقـد فُرِرْتُ عن ذكاء وفُتّشت عن تجربة وان أمير المؤمنـين أطال اللهُ بقاه نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدنى أمرّها عودًا وأصلبها مكسرا فرماكم بى لأنكم طال ماأوضعتم فى الفتنة واضطجعتم فى مراقد الضلال والله لأحزمنّكم حزم السلَمَة ولأضربنّكم ضربَ غرائب الابل فانكم لكأهْل قرية كانت آمنـة مُطمئنة يأتيها رزقُها رَغَدًا من كل مكان فكفرتْ بأنْعُم الله فأذاقها اللهُ لباسَ الجوع والخوف بمـا كانوا يصـنعون وانّى والله ماأقول الاّ وَفَيت ولا أهُمّ الاّ أمْضَيت ولا أخْلُق الاّ فَرَيْتُ وان أمير المؤمنين أمرنى باعطائكم أعطيـاتكم وأنْ أُوجِّهكم

لمحاربة عدوّكم مع المُهَلّب بن أبى صُـفْرة وانى أقسم بالله لاأجد رجلا تخلّف بعد أخْذ عطائه بثلاثه أيام الاّ ضربتُ عُنُقَه ياغلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقرأ

بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عبدالملك أمير المؤمنين الى مَن بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يَقُل أحد منهم شيأ فقال الحجاج اكْفُف ياغلام ثم أقبـلَ على الناس فقال أَسَـلَّمُ عليكم أمير المؤمنين فلم تَرُدُّوا عليه شـيأ هذا أَدَب ابن نِهْيَة أمَا والله لأُؤدِّبَنَّكم غيرَ هذا الأدب أو لتَسْتَقيمُنّ اقرأ ياغلام كتاب أمير المؤمنـين فلما بلغ الى قوله سـلام عليكم لم يَبْقَ فى المسجد أحَد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام

(زَعَم أبو العباس ان ابن نهية رجل كان على الشُرْطة بالبصرة قَبْل الحَجّاج) ثم نزل فوضع للنـاس أعطياتهم فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يَرْعَش كبرًا فقـال أيُّها الأمير انّى من الضَعْف على ما ترى ولى ابْنٌ هو أقْوى على الاَسْفار منّى فتَقَبَّلْه بَدَلاً منّى فقال له الحجاج نَفْعَل أيّها الشيخ فلما وَلّى قال له قائل أتَدْرى مَن هذا أيها الأمير قال لا قال هذا عُمَير ابن ضابئ البُرْجُمىّ الذى يقول أبوه

هَمَمْتُ ولم أفْعَل وكدتُ وليْتَنى * تَركتُ على عثمان تبكى حَلائلُه

ودخل هـذا الشيخ على عثمان مقتُولا فوطئ بَطْنَه فكسر ضِلَعَين

من أضـلاعه فقال رُدُّوه فلما رُدّ قال له الحجاج أيها الشيخ هلّا بعثتَ الى أمير المؤمنين عثمان بَدَلاً يومَ الدار انّ فى قتلك أيها الشيخ لَصلاحا للمسلمين ياحَرَسِىّ اضْرِبَنّ عُنُقَه فجعل الرجل يَضيق عليه أمْرُه فيرتحل ويأمُر وليّه أنْ يَلْحَقَه بزاده ففى ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدى

تَجَهّز فامّا أنْ تَزُور ابنَ ضابئٍ * عُمَيرًا واما أنْ تَزُورَ المُهلّبا

هما خُطّتا خَسْفٍ نَجاؤُكَ منهما * رُكُوبُكَ حَوليّا من الثلج أشهبا

فأضحى ولو كانت خُراسانُ دونَه * رآها مكانَ السوق أو هى أقْرَبا

خُطْبَةُ طارق قبلَ فُتوح الأنْدَلُس

لَمّا بلَغ طارقًا دُنُوّ لَذريق قام فى أصحابه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم حثّ المسلمين على الجهاد ورغّبهم ثم قال أيها الناس أين المَفَرّ البحرُ من ورائكم والعدوّ أمامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضْيَع من الأيتام فى مأدُبة اللئام وقد استقبلكم عدُوّكم بجيشه وأسلحته وأقواتُه موفورة وأنتم لاوَزَرَ لكم الّا سُيُوفكم ولا أقْوات الّا ماتستخلصونه من أيدى عدوّكم وان امتدّت بكم الايام على افتقاركم ولم تُنجِزوا لكم أمرًا ذهب ريحكم وتعوّضت القلوبُ من رُعْبها عنكم الجُرْأةَ عليكم فادفعوا عن أنفسكم خِذْلانَ هذه العاقبة من أمركم بمُناجزة هذا الطاغية فقد ألقت به اليكم مَدينَتُه الحصينة وان

انتهاز الفرصـة فيه لمُمْكِن ان سَمَحْتم لانفسكم بالموت وانى لم أحَذِّركم أمْرًا أنا عنه بنَجْوة ولا حَمَلْتكم على خُطّة أرْخَص متاع فيها النفوس أبْدأ بنفْسى واعلموا انكم ان صبَرتم على الاشَقّ قليلا استمتعتم بالأرْفه الألَذّ طويلا فلا تَرْغبوا بأنفسكم عن نفسى فما حَظُّكم فيه بأوْفَر من حَظّى وقد بَلَغكم ماأنشأتْ هذه الجزيرة من الخيرات العميمه وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الابطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ثِقَةً منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ليكون حَظُّه منكم ثوابَ الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهـذه الجزيرة وليكون مغنَمها خالصـة لكم من دونه ومن دون المؤمنـين سواكم والله تعالى وليُّ انجادكم على مايكون لكم ذكراً فى الدارين واعلموا أنّى أوّل مُجيب الى مادَعَوْتكم اليـه وانى عنـد مُلْتقى الجَمْعين حاملٌ بنفسى على طاغية القوم لَذَريق فقاتلُه ان شاء اللهُ تعالى فاحملوا معى فان هَلَكْتُ بعده فقد كُفيتم أمْرَه ولم يُعْوِزْكم بَطَل عاقل تُسْندون أموركم اليه وان هلكتُ قبل وصولى اليه فاخلُفونى فى عزيمتى هذه واحملوا بانفسكم عليه واكتفوا الهمّ من فتح هذه الجزيرة بقتله

صفة الامام العـادل

كتب عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه لما وَلِىَ الخلافة الى الحسن ابن أبى الحسن البصرى أن يكتب اليــه بصفة الامام العـادل فكتب اليه الحسن رحمه الله

اعلم ياأمير المؤمنين ان الله جعل الامام العادل قوامَ كل مائل وقَصْد كل جائر وصَلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونَصَفَةَ كل مظلوم ومَفْزَع كل ملهوف والامام العــدل ياأمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله الرفيق الذى يَرْتاد لها أطيبَ المَرْعَى ويَذُودُها عن مَراتِع المَهْلكة ويَحْميها من السباع ويَكْنُفُها من أذَى الحَرّ والقَرّ والامام العدل ياأمير المؤمنين كالأب الحـانى على ولده يســعى لهم صغارا ويعلّمهم كبارا يكتسب لهم فى حياته ويدّخر لهم بعــد مماته والامام العدل ياأمير المؤمنين كالأم الشفيقة البَرة الرفيقة بولدها حَمَلَته كُرْها ووضَعته كرها وربَّته طفلا تسهَر بسَهَره وتَسْكُن بسكونه تُرْضــعُه تارةً وتَفْطِمُه أُخْرَى وتفرح بعـافيته وتَغْتَمّ بشِكايتــه والامام العــدل ياأمير المؤمنين وصىّ اليتامى وخازن المساكين يُرَبِّى صــغيرَهم ويَمُون كبيرهم والامام العدل ياأمير المؤمنين كالقلب بين الجَوارِح تَصْلح الجوارح بصــلاحه وتفسُد بفساده والامام العــدل ياأمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عبـاده يَسْمع كلام الله

ويُسْمعهم ويَنظر الى الله ويُريهم وينقاد الى الله ويقودهم فلا تكن باأمير المؤمنين فيما مَلَّكك الله كعبد ائْتَمَنَه سيّده واسْتَحْفَظه مالَه وعيالَه فَبَدّد المالَ وشَرّد العيال فأفْقَر أهلَه وفَرّق مالَه واعلم ياأمير المؤمنين ان الله أنزل الحُدودَ ليَزْجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف اذا أتاها مَن يَليها وان الله أنزل القصاص حياةً لعباده فكيف اذا قَتَلَهُم من يَقْتَصّ لهم واذكر ياأمير المؤمنين الموتَ ومابعده وقلةَ أشْياعك عنْده وأنصارك عليه فتَزَوّدْ له ولما بَعْده من الفَزَع الاكبر واعلم ياأمير المؤمنين ان لك منزلا غيرَ منزلك الذى أنت فيه يطول فيه ثَواؤُك ويُفارقك أحبّاؤُك يُسْلمونك فى قَعْره فريدا وحيدا فتَزَوّدْ له مايَصْحبك يومَ يَفرّ المَرْءُ من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبَنيه واذكر ياأمير المؤمنين اذا بُعْثِر مافى القُبور وحُصّل مافى الصدور فالأسْرار ظاهرة والكتاب لايُغادر صغيرةً ولا كبيرةً الّا أحصاها فالآنَ ياأمير المؤمنين وأنت فى مَهَل قبل حلول الأجَل وانقطاع الأمَل لاتحكم ياأمير المؤمنين فى عباد الله بحُكْم الجاهلين ولا تَسْلُكْ بهم سبيل الظالمين ولا تُسَلّط المستكبرين على المستضعَفين فانهم لايَرْقُبون فى مؤمن الًّا ولا ذمّةً فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالك وأثقالًا مع أثقالك ولا يَغُرَّنّكَ الذين يَنْعَمون بما فيه بُؤْسُك ويأكلون الطيبات فى دُنياهم باذهاب طيّباتك

فى آخرتك لاتنظر الى قدرتك اليومَ ولكن انظر الى قدرتك غداً وأنتَ مأسورٌ فى حبائل الموت وموقوف بين يدى الله فى مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عَنَت الوجوه للحىّ القيّوم انى ياأمير المؤمنين وان لم أبلغ بعظتى مابلّغه أولو النُّهى من قبلى فلَمْ آلُكَ شفقةً ونصحاً فأنزل كتاب اليك كمداوى حبيبه يَسقيه الأدوية الكريهة لِمَا يَرجو له فى ذلك من العافية والصحة والسلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته

وللفرزدق فى وصف الامام زين العابدين رضى الله تعالى عنه

هـذا الذى تَعرِف البَطحاءُ وَطْأتَه * والبيتُ يعـرفه والحـــلّ والحَرَمُ

هـــذا ابن خير عبـاد الله كلهم * هـذا التّقىّ النّقىّ الطاهر العَــلَمُ

اذا رأته قـــريش قال قائلها * الى مكارم هـــذا ينتهى الـكرم

يُنمَى الى ذروة العـزّ التى قَصُرت * عن نَيلها عَرَب الاســلام والعجم

يَكاد يُمسكه عـــرفانَ راحتـــه * رُكْنُ الحَطـيم اذا ماجاء يَســتلم

فى كفه خَـــيزُرانٌ ريحُه عَبِقٌ * من كفّ أروَع فى عِرْنينه شَمَمُ

يُغضى حَياءً ويُغضَى من مَهابَته * فما يُكلَّم الّا حـــين يَبتسم

يَنشَقُّ نور الهُـدَى من نُور غُرّته * كالشمس يَنجاب عن اشراقها القَتَم

مُشتَقَّة من كرام القوم نَبعتُــه * طابَت عَناصره والخِيم والشــيَم

هذا ابن فاطمة ان كنتَ جاهلَه * بجدّه أنبياءُ الله قد خُتموا

اللهُ شرّفه قدْرًا وعظّمه * جَرى بذاك له فى لوحه القلمُ

وليس قولُك من هذا بضائره * العُرْبُ تعرف من أنكرتَ والعجم

كلتا يديه غياثٌ عمّ نفعُهما * يُستوكفان ولا يعروهما عدم

سهْل الخليقة لاتُخشى بوادره * يزينه اثنان حُسْن الخلق والشيم

حمّال أثقال أقوام اذا اقترضوا * حلْو الشمائل تحلو عنده نعمُ

ماقال لا قطُّ الا فى تشهّده * لولا التشهّد كانت لاؤه نعمُ

عمّ البريّة بالاحسان فانقشعت * عنها الغياهب والإملاق والعدم

من معشر حبّهم دين وبغضهم * كفر وقربهم منجى ومعتصم

ان عُدّ أهلُ التقى كانوا أئمتهم * أوقيل من خيرُ أهل الأرض قيل همُ

لايستطيع جوادا بعد غايتهم * ولا يدانيهم قومٌ وان كرُموا

همُ الغيوثُ اذا ماأزمةٌ أزمت * والأسْدُ أسْدُ الشرى والبأس محتدم

لاينقص العسرُ بسطًا من أكفّهم * سيّان ذلك ان أثروا وان عدموا

مقدّمٌ بعد ذكر الله ذكرهمُ * فى كل بدء ومختوم به الكلم

يأبى لهم أنْ يحلّ الذمّ ساحتهم * خُلقٌ كريمٌ وأيدٍ بالندى هُضُم

أىّ الخلائق ليست فى رقابهم * لاوّليّة هذا أوله نعمُ

من يعرف الله يعرف أوّليّة ذا * فالدين من بيت هذا ناله الأمم

وخطب واصل بن عطاء وكان ألثغ بالراء فكان لذلك يتجنبها فى كلامه

الحمد لله القــديم بلا غاية والباقى بلا نهاية الذى علا فى دنوه ودنا فى علوه فلا يحويه زمان ولا يحيط به مكان ولا يؤوده حفظ ماخلق ولم يخلقه على مثال سبق بل أنشأه ابتداعا وعدله اصطناعا فأحســن كل شئ خلقه وتمم مشيئته وأوضح حكمته فدل على ألوهيته فسبحانه لامعقب لحكمه ولا دافع لقضائه تواضع كل شئ لعظمتــه وذل كل شئ لسلطانه ووسع كل شئ فضله لايعزب عنه مثقال حبــة وهو السميع العليم وأشهد ان لا اله الا الله وحده الها تقــدست أسماؤه وعظمت آلاؤه علا عن صفات كل مخلوق وتنزه عن شبه كل مصنوع فلا تبلغه الأوهام ولا تحيط به العقول ولا الافهام يعصى فيحلم ويدعى فيسمع ويقبــل التوبة من عباده ويعفو عن السيآت ويعلم مايفعلون وأشهد شهادة حق وقول صــدق باخلاص نية وصحة طوية أن محمد بن عبدالله عبده ونبيه وخالصته وصفيه ابتعثه الى خلقه بالبينة والهدى ودين الحق فبلغ مألكته ونصح لأمته وجاهد فى سبيل الله لاتأخذه فى الله لومة لائم ولا يصــده عنه زعم زاعم ماضيا على سنته موفيا على قصده حتى أتاه اليقين فصــلى الله على محمد وعلى آل محمد أفضــل وأزكى وأتم وأنمى

وأجلّ وأعلى صلاة صلّاها على صفوة أنبيائه وخالصة ملائكته وأضعاف ذلك انه حميد مجيد أوصيكم عباد الله مع نفسي بتقوى الله والعمل بطاعته والمجانبة لمعصيته وأحضكم على مايدنيكم منه ويزلفكم لديه فان تقوى الله أفضل زاد وأحسن عاقبة فى معاد ولا تلهينكم الحياة الدنيا بزينتها وخدعها وفواتن لذاتها وشهوات آمالها فانها متاع قليل ومدة الى حين وكل شئ منها يزول فكم عاينتم من أعاجيبها وكم نصبت لكم من حبائلها وأهلكت ممن جنح اليها واعتمد عليها أذاقتهم حلوا ومزجت لهم سما أين الملوك الذين بنوا المدائن وشيدوا المصانع وأوثقوا الأبواب وكاثفوا الحجاب وأعدّوا الجياد وملكوا البلاد واستخدموا التلاد قبضتهم بحملها وطحنتهم بكلكلها وعضتهم بأنيابها وعاضتهم من السعة ضيقا ومن العزة ذلا ومن الحياة فناء فسكنوا اللحود وأكلهم الدود وأصبحوا لاترى الامساكنهم ولا تجد الا معالمهم ولا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم نبسا فتزودوا عافاكم الله فان أفضل الزاد التقوى واتقوا الله ياأولى الألباب لعلكم تفلحون جعلنا الله واياكم ممن ينتفع بمواعظه ويعمل لحظه وسعادته وممن يستمع القول فيتبع أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب ان أحسن قصص المؤمنين وأبلغ مواعظ المتقين كتاب الله الزكية آياته الواضحة بيناته فاذا تلى عليكم

فأنصتوا له واسمعوا لعلكم تفلحون أعوذ بالله القوىّ من الشيطان الغوىّ انّ الله هو السميع العليم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ثم قال — نفعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم والوحى المبين وأعاذنا وإياكم من العذاب الأليم وأدخلنا وإياكم جنات النعيم

كتاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الى بعض اخوانه يعاتبه

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فقد عاقنى الشكّ فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك وذلك أنك ابتدأتنى بلطف عن غير خبرة ثم أعقبتنى جفاء عن غير جريرة فأطمعنى أولك فى اخائك وأيأسنى آخرك عن وفائك فلا أنا فى اليوم مجمع لك اطّراحا ولا أنا فى غد وانتظاره منك على ثقة فسبحان من لو شاء كشف بايضاح الرأى فى أمرك عن عزيمة الشكّ فيك فاجتمعنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف والسلام

وكتب وهو فى السجن الى أبى مسلم صاحب الدعوة يستعطفه

بسم الله الرحمن الرحيم

من الأسير فى يديه بلا ذنب اليه ولا خلاف عليه (أما بعد) فآتاك الله حفظ الوصية ومنحك نصيحة الرعية وألهمك عدل القضية فانك مستودع الودائع ومولى الصنائع فاحفظ ودائعك بحسن صنائعك فالودائع عارية والصنائع مرعية وما النعم عليك وعلينا فيك بمنزور نداها ولا ببلوغ مداها فنبه للتفكير قلبك واتق الله ربك وأعط من نفسك من هو تحتك ماتحب أن يعطيك من هو فوقك من العدل والرأفة والأمن من المخافة فقد أنعم الله عليك بأن فوض أمرنا اليك فاعرف لنا لين شكر المودة واغتفار مس الشدة والرضا بما رضيت والقناعة بما هويت فان علينا من سمك الحديد وثقله أذى شديدا مع معالجة الأغلال وقلة رحمة العمال الذين تسهيلهم الغلظة وتيسيرهم الفظاظة وايرادهم علينا الغموم وتوجيههم الينا الهموم زيارتهم الحراسة وبشارتهم الاياسة فاليك بعد الله نرفع كربة الشكوى ونشكو شدة البلوى فتى تمل الينا طرفا وتولنا منك عطفا تجد عندنا نصحا صريحا وودا صحيحا لايضيع مثلك مثله ولا ينفى مثلك اهله فارع حرمة من أدركت بحرمته واعرف حجة من

فلجت بحجته فانّ الناس من حوضك رواء ونحن منه ظماء يمشون في الأبراد ونحن نحجل في الأقياد بعد الخير والسعة والخفض والدعة والله المستعان وعليه التكلان صريح الأخبار منجي الابرار الناس من دولتنا في رخاء ونحن منها في بلاء حين أمن الخائفون ورجع الهاربون رزقنا الله منك التحنن وظاهر علينا من التمنن فانك أمين مستودع ورائد مصطنع والسلام ورحمة الله

رسالة عبد الحميد الكاتب التي اوصى فيها الكتّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حفظكم الله ياأهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملوك المكرمين أصنافا وان كانوا في الحقيقة سواء وصرفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الأدب والمروآت والعلم والرزانة بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم لايستغني الملك عنكم ولا يوجد كاف الا منكم فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون وأبصارهم التي بها يبصرون وألسنتهم التي

بها ينطقون وأيديهم التى بها يبطشون فأمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم وليس أحد من أهل الصناعات كلها أحوج الى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيها الكتاب اذا كنتم على ما يأتى فى هذا الكتاب من صفتكم فإن الكاتب يحتاج فى نفسه ويحتاج منه صاحبه الذى يثق به فى مهمات أموره أن يكون حليما فى موضع الحلم فهيما فى موضع الحكم مقداما فى موضع الاقدام محجاما فى موضع الاحجام مؤثرا للعفاف والعدل والانصاف كتوما للأسرار وفيا عند الشدائد عالما بما يأتى من النوازل يضع الأمور مواضعها والطوارق فى أماكنها قد نظر فى كل فن من فنون العلم فأحكمه وان لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفى به يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعد لكل أمر عدته وعتاده ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته فتنافسوا يا معشر الكتاب فى صنوف الآداب وتفهموا فى الدين وابدؤا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها ثقاف ألسنتكم ثم أجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسمو اليه هممكم ولا تضيعوا

النَّظَر فى الحساب فإنه قوام كُتّاب الخَراج وارْغَبُوا بأنْفُسكم عن المَطامع سَنِيّها ودَنيّها وسَفْساف الامور ومَحاقرها فأنها مَذَلّة للرّقاب مَفْسَدة للكُتّاب ونَزِّهوا صناعتَكم عن الدَّناءة وارْبَؤُوا بأنْفُسكم عن السعاية والنّميمة وما فيــه أهل الجَهالات وايّاكم والكِبْر والسُخْف والعَظَمة فانها عَداوة مُجْتَلَبَة من غير إحْنَة وتَحابُّوا فى الله عز وجـل فى صناعتكم وتَوَاصَوْا عليها بالذى هو أَلْيَق لاهل الفضل والعدل والنُّبْل من سَلَفكم وانْ نَبا الزمانُ برجُل منكم فاعْطفوا عليه وواسُوه حتى يرجع اليـه حالُه ويَثُوب اليه أمْرُه وان أَقْعَدَ أحدًا منكم الكِبَر عن مَكْسَبه ولقاء اخْوانه فزُورُوه وعظّموه وشاوِرُوه واسْتَظْهروا بفضل تَجْرِبَته وقديم معرفته وليَكن الرجُل منكم على مَن اصْطَنَعه واسْتَظْهر به لِيَوم حاجَته اليه أَحْوَطَ منه على وَلده وأخيــه فان عَرَضَت فى الشُّغْل مَحْمَدَة فلا يَصْرِفْهـا الاّ الى صاحبه وان عَرَضَتْ مَذَمّة فلْيَحْمِلْها هو من دونه ولْيحْذَر السَّقْطة والزَّلّة والمَلَل عند تغيُّر الحـال فان العَيب اليكم مَعشرَ الكُتاب أَسْرَعُ منه الى القُرّاء وهو لكم أَفْسَد منه لها فقد علمتم أنّ الرجل منكم اذا صَحِبَه مَن يَبْذُل له من نَفْسه مايَجب له عليه من حَقّه فواجبٌ عليه أن يعتقد له من وفائه وشُكْره واحتمـاله ونصيحته وكتمـان سرّه وتدبير أمره ماهو جزاءٌ لحَقّه ويصـدّق ذلك فعْلُه عند الحاجة اليه والاضطرار الى مالديه

فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم فى حالة الرَخاء والشدة والحرْمان والمُواساة والاحسان والسَّراء والضَّراء فنعمت الشيمة هذه لمن وُسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة وإذا وَلِيَ الرجلُ منكم أو صُيّر اليه من أمْر خَلْق الله وعياله أمْرٌ فليُراقب الله عز وجل وليُؤْثِرْ طاعتَه وليَكن على الضعيف رفيقا وللمظلوم مُنْصفا فانّ الخَلْقَ عيالُ الله وأحبهم اليه أرفقُهم بعياله ثم ليَكُنْ بالعَدْل حاكما وللأشراف مُكْرِما وللفَيْء مُوَفِّرا وللبلاد عامرا وللرعيّة مُتألّفا وعن أذاهم متخلفا وليكن فى مجلسه متواضعا حليما وفى سجلات خراجه واستقضاء حقوقه دقيقا واذا صَحِبَ أحدُكم رجلا فليَختَبِرْ خلائقَه فاذا عَرَف حَسَنَها وقبيحَها أعانه على ما يوافقه من الحَسَن واحتال على صَرْفه عمّا يَهْواه من القبيح بألطف حيلة وأجمل وسيلة وقد علمتم أن سائس البَهيمة اذا كان بصيرا بسياستها التَمَس معرفةَ أخْلاقها فان كانت رَمُوحا لم يَهِجْها اذا ركِبها وان كانت شَبوبا اتّقاها من بين يديها وان خاف منها شُرودا توَقّاها من ناحية رأسها وان كانت حَرُونا قَمَع برِفْق هَواها فى طُرُقها فان استمرت عَطَفَها يسيرا فيَسْلس له قيادُها وفى هذا الوصف من السياسة دلائلُ لمَن ساسَ الناسَ وعامَلَهم وجَرّبهم وداخَلَهم والكاتب لفَضْل أدَبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس

ويناظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التى لا تحير جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطابا الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها ألا فارفقوا رحمكم الله فى النظر واعملوا ما أمكنكم فيه من الروية والفكر تأمنوا باذن الله ممن صحبتموه النبوة والاستثقال والجفوة ويصير منكم الى الموافقة وتصيروا منه الى المؤاخاة والشفقة ان شاء الله ولا يجاوزن الرجل منكم فى هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون فى خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير واستعينوا على أفعالكم بالقصد فى كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان أهلهما ولا سيما الكتاب وأرباب الآداب وللأمور أشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتنف أعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة وأصدقها حجة وأحمدها عاقبة واعلموا ان للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه ورويته فليقصد الرجل منكم فى مجلسه قصد الكافى فى منطقه وليوجز فى ابتدائه وجوابه

ولْيأخذ بمجامع حججه فان ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل من اكثاره ولْيضرع الى الله فى صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعه فى الغلط المضر ببدنه وعقله وأدبه فانه ان ظن منكم ظان أو قال قائل ان الذى برز من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بحسن ظنه أومقالته الى أن يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف ولا يقل أحد منكم انه أبصر بالأمور وأحمل لأعباء التدبير من مرافقه فى صناعته ومصاحبه فى خدمته فان أعقل الرجلين عند ذوى الألباب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى ان أصحابه أعقل منه وأجمل فى طريقته وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكاثر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيره وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته وأنا أقول فى كتابى هذا ماسبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وتممته به تولانا الله وإياكم يامعشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باسعاده وارشاده فان ذلك اليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مُشاورة المَهْدى لأهل بيته فى حَرْب خُراسان

قال ابن عبد ربه فى العقد الفريد

هـذا ما تَراجَع فيــه المهدى ووزراؤه وما دار بينهم من تدبير الرأى فى حرب خراسان أيامَ تحامَلت عليهم العُمّال وأعنَفت فحملتهم الدالّة وما تقـدّم لهم من المكانة على أنْ نَكثوا بيعتَهم ونقضوا مَوْثِقهم وطَرَدُوا العُمّال والتَوَوْا بما عليهم من الخراج وحمل المَهْدىَّ ما يُحِبُّ من مصلحتهم ويكره من عَنَتهم على أن أقال عَثْرتهـم واغتفر زَلّتهم واحتمل دالّتهـم تَطَوُّلا بالفضل واتّساعا بالعفو وأخْذًا بالحُجّة ورفقًا بالسياسة ولذلك لم يزل مُذْ حَمّله الله أعْباءَ الخلافة وقلّده أمورَ الرَّعيّة رفيقًا بمَدار سلطانه بصيرا بأهل زَمانه باسطا للمَعْدَلة فى رعيّته تَسْكُن الى كَنَفه وتأنس بعَفْوه وتثق بحِلْمه واذا وَقَعت الأقْضية اللازمة والحقوق الواجبة فليس عنده هَوادة ولا اغْضاء ولا مُداهَنة أثَرَةً للحق وقياما بالعدل وأخْذًا بالحَزْم فدَعا أهلَ خُراسان الاغترارُ بحِلْمه والثقة بعفوه أن كَسَرُوا الخَراج وطَرَدُوا العُمّال وسألوا ما ليس لهم من الحق ثم خَلَطوا احتجاجا باعتذار وخُصومة باقرار وتَنَصُّلا باعتلال فلما انتهى ذلك الى المهدى خرج الى مجلس خَلائه وبَعَث الى نَفَر من لُحْمته ووُزرائه فأعْلَمَهم الحال واستفهم للرعية ثم أمَر المَوالىَ بالابتـداء وقال للعباس بن محمد أى عَمّ تَعَقَّبْ قولَنا وكُنْ حَكَمًا

بيننا وأرســل الى وَلَدَيْه موسَى وهـارون فأحضرهما الأمر وشاركهما في الرأى وأمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم واثبات مقالتهم فى كتاب

فقال سلاّم صاحب المظالم

أيّها المهدى ان فى كل أمر غاية ولكل قوم صناعة استفرغت رأيهم واستغرقت أشغالهم واستنفدت أعمارهم وذهبوا بها وذهبت بهم وعرفوا بها وعرفت بهم ولهـذه الأمور التى جعلتنا فيها غاية وطلبت معونتنا عليها أقوام من أبناء الحرب وساسة الأمور وقادة الجنود وفرسان الهزاهز واخوان التجارب وأبطال الوقائع الذين رشحتهم سجالها وفيأتهم ظلالها وعضتهم شدائدها وقرمتهم نواجذها فلو جمعت ماقبلهم وكشفت ماعندهم لوجدت نظائر تؤيد أمرك وتجارب توافق نظرك وأحاديث تقوى قلبك فأمّا نحن معاشر عمالك وأصحاب دواوينك فحسن بنا وكثير منا أن نقوم بثقل ماحملتنا من عملك واستودعتنا من أمانتك وشغلتنا به من امضاء عدلك وانفاذ حكمك واظهار حقك

فأجابه المهدى انّ فى كلّ قوم حكمة ولكلّ زمان سياسة وفى كلّ حال تدبيرا يبطل الآخر الأوّل ونحن أعلم بزماننا وتدبير سلطاننا

قال نعم أيّها المهـدى أنت متّبع الرأى وثيق العقدة قوى المنّـة بليغ الفطنة معصوم النية محضور الروية مؤيد البديهة موفّق العزيمة

مُغَانٍ بالظَفَرِ مَهْدِيّ الى الخَيْرِ ان هَمَمْتَ ففى عَزْمِكَ مَوَاقِعُ الظَنّ وان اجْتَمَعَتْ صَدَعَ فعلُكَ مُلْتَبِسَ الشَكّ فاعْزِمْ يَهْدِ اللهُ الى الصواب قَلْبَكَ وقُلْ يُنْطِقِ اللهُ بالحَقّ لسانَكَ فانّ جُنُودَكَ جَمّة وخَزائنكَ عامرة ونفسكَ سَخِيّة وأمْرَكَ نافذ

فاجابه المهدى انّ المُشاورة والمُناظرة بَابَا رَحْمَة ومِفْتَاحَا بَرَكَة لا يَهْلِكُ عليهما رأيٌ ولا يَتَغَيّل مَعَهما حَزْم فأشيروا برأيكم وقولوا بما يَحْضُرُكم فانى من ورائكم وتوفيقُ الله من وراء ذلك

قال الربيع

أيُّها المَهْدى انّ تصاريف وُجُوه الرَأْى كثيرة وان الاشارة ببعض مَعَاريض القول يَسيرة ولكن خراسان أرضٌ بعيدة المسافة مُتَراخية الشُقّة مُتَفاوتة السَبيل فاذا ارْتَأَيْت من مُحكَمِ التَدْبير ومُبْرَمِ التقدير ولُباب الصواب رَأْيًا قد أحكَمَه نَظَرُكَ وقَلّبه تَدْبيرُكَ فليس وراءه مَذْهَب طاعن ولا دُونَه مَعْلَق لخصومة عائب ثم أجْبَتَ البُرُدَ به وانطوت الرسل عليه كان بالحَرَى أن لا يصل اليهم مُحكَمُه إلا وقد حدث منهم ما ينقضه فما أيْسَرَ أن ترجع اليكَ الرسل وترِدَ عليكَ الكتب بحقائق أخبارهم وشوارد آثارهم ومصادر أمورهم فتُحْدِثَ رأيا غيره وتبتدع تدبيرا سواه وقد انفرجت الحَلَق وتحللت العُقَد واسترخى الحِقَاب وامتدّ الزمان ثم لعلها

موقع الآخرة كصدر الاولى ولكن الرأى لك أيها المهدى وفقك الله أن تصرف اجالة النظر وتقليب الفكر فيما جمعتنا له واستشرتنا فيه من التدبير لحربهم والحيل فى أمرهم الى الطلب لرجل ذى دين فاضل وعقل كامل وورع واسع ليس موصوفا بهوى فى سوالك ولا متهما فى أثرة عيك ولا ظنينا على دخلة مكروهة ولا منسوبا الى بدعة محذورة فيقدح فى ملكك ويريض الأمور لغيرك ثم تسند اليه أمورهم وتفوض اليه حربهم وتأمره فى عهدك ووصيتك اياه بلزوم أمرك مالزمه الحزم وخلاف نهيك اذا خالفه الرأى عند استحالة الأمور واشتداد الأحوال التى ينقض أمر الغائب عنها ويثبت رأى الشاهد لها فانه اذا فعل ذلك فواثب أمرهم من قريب وسقط عنه مايأتى من بعيد تمت الحيلة وقويت المكيدة ونفذ العمل وأحد النظر ان شاء الله

قال الفضل بن العباس

أيها المهدى ان ولى الامور وسائس الحروب ربما نحى جنوده وفرق أمواله فى غير ماضيق أمر حزبه ولا ضغطة حال اضطرته فيقعد عند الحاجة اليها وبعد التفرقة لها عديما منها فاقدا لها لايثق بقوة ولا يصول بعدة ولا يفزع الى ثقة فالرأى لك أيها المهدى وفقك الله أن تعفى خزائنك من الانفاق للاموال وجنودك من مكابدة الاسفار

ومقارعة الأخطار وتغرير القتال ولا تسرع للقوم فى الاجابة الى ما يطلبون والعطاء لما يسألون فيفسد عليك أدبهم وتجرئ من رعيتك غيرهم ولكن اغزهم بالحيلة وقاتلهم بالمكيدة وصارعهم باللين وخاتلهم بالرفق وأبرق لهم بالقول وأرعد نحوهم بالفعل وابعث البعوث وجند الجنود وكتب الكتائب واعقد الألوية وانصب الرايات وأظهر أنك موجه اليهم الجيوش مع أحنق قوادك عليهم وأسوئهم أثرا فيهم ثم ادسس الرسل وأبثث الكتب وضع بعضهم على طمع من وعدك وبعضا على خوف من وعيدك وأوقد بذلك وأشباهه نيران التحاسد فيهم واغرس أشجار التنافس بينهم حتى تملأ القلوب من الوحشة وتنطوى الصدور على البغضة ويدخل كلا من كل الحذر والهيبة فان مرام الظفر بالغيلة والقتال بالحيلة والمناصبة بالكتب والمكايدة بالرسل والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل فى القلوب القوى الموقع من النفوس المعقود بالحجج الموصول بالحيل المبنى على اللين الذى يستميل القلوب ويسترق العقول والآراء ويستميل الأهواء ويستدعى المواتاة أنفذ من القتال بظبات السيوف وأسنة الرماح كما أن الوالى الذى يستنزل طاعة رعيته بالحيل ويفرق كلمة عدوه بالمكايدة أحكم عملا وألطف منظرا وأحسن سياسة من الذى لا ينال ذلك الا بالقتال والاتلاف للاموال والتغرير والخطار وليعلم المهدى

بأنه ان وَجَّه لقتالهم رَجُلا لم يَسِرْ لقتالهم الا بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة وتَقْدم على أسفار ضيِّقة وأموال متفرقة وقُوَّاد غَشَشَة ان ائتمنهم استنفدوا ماله وان استنصحهم كانوا عليه لا له

قال المهدى هــذا رأىٌ قد أسفر نُورُه وأبرق ضَوْءُه وتمثَّــل صوابه للعيون وتجسَّد حقُّه فى القلوب ولكن فوق كل ذى علم عليم ثم نظر الى ابنه علىّ فقال ما تقول

قال على

أيها المهدى ان أهل خراسان لم يَخْلَعوا عن طاعتك ولم يَنْصبوا من دونك أحدًا يقــدَح فى تغيير ملكك ويُريض الأمورَ لفساد دولتك ولو فعلوا لكان الخَطْبُ أيسر والشأن أصغر والحال أذلّ لأنّ الله مع حقه الذى لايخذُله وعنــد موعده الذى لايُخلفــه ولكنهم قوم من رعيتك وطائفة من شيعتك الذين جعلك الله عليهم واليا وجعل العــدل بينك وبينهم حاكما طلبوا حقًا وسألوا انصافا فإن أجبتَ الى دعوتهم ونفَّسْتَ عنهم قبل أن يتلاحم منهم حال أو يحدُث من عندهم فتق أطَعْتَ أمرَ الربّ وأطْفَأْتَ نائرةَ الحرب ووفّرتَ خزائن المـال وطَرَحْتَ تغرير القتال وحَمَل الناسُ محمَل ذلك على طبيعة جودك وسجية حلمك واسجاح خليقتك ومَعْدَلة نظرك فأمنْتَ أنْ تُنْسَبَ الى ضُــعْف وان يكون ذلك فيما بقى

دربة وان منعتهم ماطلبوا ولم تجبهم الى ماسألوا اعتدلت بك وبهم الحال وساويتهم فى ميدان الخطاب فما أرب المهدى أن يعمد الى طائفة من رعيته مقرين بمملكته مذعنين بطاعته لايخرجون أنفسهم عن قدرته ولا يبرؤنها من عبوديته فيملكهم أنفسهم ويخلع نفسه عنهـم ويقف على الحيل معهم ثم يجازيهـم السوء فى حد المنازعة ومضمار المخاطرة أيريد المهدى وفقه الله الأموال فلعمرى لاينالها ولا يظفر بها الا بانفاق أكثر منها مما يطلب منهم وأضعاف مايدعى قبلهم ولو نالها فحملت اليه أو وضعت بخرائطها بين يديه ثم تجافى لهم عنها وطال عليهم بها لكان مما اليه ينسب وبه يعرف من الجود الذى طبعه الله عليـه وجعل قرة عينه ونهمة نفسه فيه فان قال المهدى هذا رأى مستقيم سديد فى أهل الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا وتحامل ولاتنا فأما الجنود الذين نقضوا مواثيق العهود وأنطقوا لسان الارجاف وفتحوا باب المعصية وكسروا قيد الفتنة فقد ينبغى لهم أن أجعلهم نكالا لغيرهم وعظة لسواهم فيعلم المهدى انه لو أتى بهم مغلولين فى الحديد مقرنين فى الاصفاد ثم اتسع لحقن دمائهـم عفوه ولاقالة عثرتهم صفحه واستبقاهم لما هم فيه من حربه أو لمن بازائهم من عدوه لما كان بدعا من رأيه ولا مستنكرا من نظره لقـد علمت العرب انه أعظم الخلفاء والملوك عفوا وأشـدها وقعا

وأصدقها صَوْلة وأنه لايتعاظمه عفو ولا يتكاءده صفح وان عظم الذنب وجل الخطب فالرأى للمهدى وفقه الله تعالى أن يحل عقدة الغيظ بالرجاء لحسن ثواب الله فى العفو عنهم وأن يذكر أولى حالاتهم وضيعة عيالاتهم برا بهم وتوسعا لهم فانهم اخوان دولته وأركان دعوته وأساس حقه الذين بعزتهم يصول وبحجتهم يقول وانما مثلهم فيما دخلوا فيه من مساخطه وتعرضوا له من معاصيه وانطووا فيه عن اجابته ومثله فى قلة ماغير ذلك من رأيه فيهم أو نقل من حاله لهم أو تغير من نعمته بهم كمثل رجلين أخوين متناصرين متوازرين أصاب أحدهما خبل عارض ولهو حادث فنهض الى أخيه بالأذى وتحامل عليه بالمكروه فلم يزدد أخوه الا رقة له ولطفا به واحتيالا لمداواة مرضه ومراجعة حاله عطفا عليه وبرا به ومرحمة له

فقال المهدى أما على فقد كوى سمت اللبان وفض القلوب فى أهل خراسان ولكل نبأ مستقر فقال ماترى ياأبا محمد يعنى موسى ابنه

فقال موسى

أيها المهدى لاتسكن الى حلاوة مايجرى من القول على ألسنتهم وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم الحال من القوم ينادى بمضمرة شر وخفية حقد قد جعلوا المعاذير عليها سترا واتخذوا العلل من دونها

حِجَابا رَجاء أن يُدافعوا الأيام بالتأخير والأمورَ بالتطويل فيكسروا حيلة
المهدى فيهم ويُفْنُوا جُنودَه عنهم حتى يتلاحم أمرُهم وتتلاحق مادّتهم
وتَسْتَفْحل حَرْبُهم وتستمرّ الأمور بهم والمهدىّ من قوادهم فى حال غرّة
ولباس أمنَــة قد فتَر لها وأنس بها وسَكَن اليها ولولا مااجتمعتْ به
قلوبهم وبردَتْ عليه جُلودهم من المُناصبة بالقتال والاضمار للقراع عن
داعية ضلال أو شيطان فساد لرَهبوا عوَاقبَ أخبار الوُلاة وغبّ سكون
الأمور فليَشْتد المهدى وفقه الله أزرَه لهم وليَكْتبْ كتَائبه نحوَهم وليَضع
الامر على أشَــدّ مايَحْضُره فيهــم وليُوقنْ أنه لايُعْطيهم خُطّةً يريد بها
صَــلاحَهم الا كانت دُرْبة الى فَسادهم وقُوّةً على مَعْصيتهم وداعيـــةً الى
عَوْدتهــم وسَبَبًا لفَســاد مَن بحَضْرته من الجنود ومَن ببــابه من الوُفود
الذين أقرّهــم وتلك العــادة وأجْرَاهم على ذلك الارَب ولم يَبْرَح فى فَتْق
حادث وخلاف حاضر لايَصلح عليـــه دين ولا تستقيم به دُنْيا وان طَلَب
تغييرَه بعد استحكام العادة واستمرار الدُّرْبَة لم يَصل الى ذلك الا بالعُقوبة
المُفْرطة والمَؤُنة الشــديدة والرأىُ للمهــدى وفقه الله أن لايُقيل عَثْرتهم
ولا يَقْبَل مَعْذرَتهم حتى تَطأَهم الجيوش وتأخُذَهم السيوف ويَسْتَحرّ بهم
القتل ويُحْدق بهم المَوت ويُحيط بهم البَلاء ويُطْبق عليهم الذّل فان فعل
المهــدى بهم ذلك كان مَقْطَعَةً لكل عادة سوء فيهم وهَزيمةً لكل بادرة

شرّ فيهم واحتمالُ المهدى فى مَؤُنة غزوتهم هذه تَضَع عنه غزَوات كثيرة ونَفَقات عظيمة

قال المهدى قد قال القوم ذاحكُم ياأبا الفضل

فقال العباس بن محمد

أيها المهــدى أما (المَوالى) فأخَذوا بفروع الرأى وسَلَكوا جَنَبات الصَواب وتَعَدَّوا أُمورا قَصَّر بنَظَرهم عنها أنه لم تأت تَجارِبُهم عليها وأما (الفضل) فأشار بالأموال أن لاتُنْفق والجنود أن لاتُفرَّق وبأن لايعطَى القومُ ماطَلَبُوا ولا يُبْــذَل لهم ماسألوا وجاء بأمرٍ بيْن ذلك اســتصغارًا لأمْرهم واستهانةً بحَرْبهم وانما يَهيج جَسيمات الأمور صغارُها وأما(علىّ) فأشار باللين وافْراط الرفْق واذا جَرَّد الوالى لمن غَمط أمْرَه وسفهَ حقَّه اللينَ بَحْتًا والخيرَ مَحْضا لم يَخلطْهما بشدّة تَعطف القلوب عن لينــه ولا بشَرّ يَحْبسهم الى خيره فقــد مَلَّكهم الخَلْع لعُذْرهم ووسّع لهم الفُرْجة لثَنْى أعناقهم فان أجابوا دعوته وقبلوا لينه من غير خوف اضطرهم ولا شدّة فتْرَوَة فى رؤسهم يســتدعون بها البَلاء الى انفسهم ويستصرخون بهـا رأى المهدى فيهم وان لم يَقْبلوا دعوتَه ويُسرعوا لاجابتــه باللين المحض والخير الصُراح فذلك ماعليه الظن بهم والرأىُ فيهم وما قد يُشْــبه أن يكون من مثلهم لأنّ الله تعـالى خَلَق الجنــة وجَعل فيهـا من النعيم

المقيم والملك الكبير مالا يخطر على قلب بشر ولا تدركه الفكر ولا تعلمه نفس ثم دعا الناس اليها ورغبهم فيها فلولا انه خلق نارا جعلها لهم وجة يسوقهم بها الى الجنة لما أجابوا ولا قبلوا وأما (موسى) فأشار بأن يعصبوا بشدة لا لين فيها وأن يرموا بشر لا خير معه واذا أضمر الوالى لمن فارق طاعته وخالف جماعته الخوف مفردا والشر مجردا ليس معهما طمع ولا لين يثنيهم اشتدت الأمور بهم وانقطعت الحال منهم الى أحد أمرين اما أن تدخلهم الحمية من الشدة والأنفة من الذلة والامتعاض من القهر فيدعوهم ذلك الى التمادى فى الخلاف والاستبسال فى القتال والاستسلام للموت واما أن ينقادوا بالكره ويذعنوا بالقهر على بغضة لازمة وعداوة باقية تورث النفاق وتعقب الشقاق فاذا أمكنتهم فرصة أو ثابت لهم قدرة أو قويت لهم حال عاد أمرهم الى أصعب وأغلظ وأشد مما كان

وقال فى قول الفضل

أيها المهدى أكفى دليل وأوضح برهان وأبين خبر بأن قد أجمع رأيه وحزم نظره على الارشاد ببعثة الجيوش اليهم وتوجيه البعوث نحوهم مع اعطائهم ماسألوا من الحق واجابتهم الى ماسألوه من العدل

قال المهدى ذلك رأى

قال هارون ماخُلطت الشـدة أيها المهدى باللين فصارت الشـدة أمَرّ فطبام لما تَكْرَه وعاد اللين أهْـدَى قائد الى ماتُحِبّ ولكن أرَى غير ذلك

قال المهدى لقد قلتَ قولا بديعا وخالفتَ فيه أهل بيتك جميعا والمرء مُؤْتَمَن بما قال وظنين بما ادّعى حتى يأتىَ ببيّنة عادلة وحجة ظاهرة فاخرُج عما قلت

قال هارون

أيها المهدى انّ الحَرْب خُدَعة والاَعاجم قوم مَكَرة وربما اعتَدلت الحال بهم واتَّفَقَتْ الاهواء منهم فكان باطنُ مايُسرّون على ظاهر مايُعْلنون وربما افترقت الحالان وخالَف القلبُ اللسان فانطوَى القلبُ على محجُوبة تُبْطَن واستَسَرّ بمَدْخولة لاتُعْلَن والطبيب الرفيق بطبّه البصير بأمْره العالِم بمَقَدَّم يده وموضع مِيسَمه لايَتَعجّل بالدواء حتى يَقَع على معرفة الداء فالرأىُ للمهدى وفقه الله أن يَفُرّ باطنَ أمرهم فَرّ المُسنَّة ويَمْخَض ظاهرَ حالهم مَخْض السقاء بمُتَابَعة الكُتُب ومظاهَرة الرُّسُل ومُوالاة العُيون حتى تُهْتَكَ حُجُب عيونهم وتُكْشَف أغْطِيةُ أمورهم فان انْفَرَجَت الحال وأفْضَت الأمور به الى تغيير حال أو داعية ضلال اشتملت الاهواء عليه وانْقَادَ الرجال اليه وامتَدّت الاَعْناق نحوه بدين

يعتقدونه وإثم يستحلونه عصبهم بشدة لالين فيها ورماهم بعقوبة لا عفو معها وان انفرجت العيون واهتصرت الستور ورفعت الحجب والحال فيهم مريعة والأمور بهم معتدلة فى أرزاق يطلبونها وأعمال ينكرونها وظلامات يدعونها وحقوق يسألونها بماتة سابقتهم. ودالة مناصحتهم فالرأى للمهدى وفقه الله أن يتسع لهم بما طلبوا ويتجافى لهم عما كرهوا ويشعب من أمرهم ماصدعوا ويرتق من فتقهم ماقطعوا ويولى عليهم من أحبوا ويداوى بذلك مرض قلوبهم وفساد أمورهم فانما المهدى وأمته وسواد أهل مملكته بمنزلة الطبيب الرفيق والوالد الشفيق والراعى المجرب الذى يحتال لمرابض غنمه وضوال رعيته حتى يبرئ المريضة من داء علتها ويرد الصحيحة الى أنس جماعتها ثم ان خراسان بخاصة الدين لهم دالة محمولة وماتة مقبولة ووسيلة معروفة وحقوق واجبة لأنهم أيدى دولته وسيوف دعوته وأنصار حقه وأعوان عدله فليس من شأن المهدى الاضطغان عليهم ولا المؤاخذة لهم ولا التوغر بهم ولا المكافأة باساءتهم لان مبادرة حسم الامور ضعيفة قبل أن تقوى ومحاولة قطع الأصول ضئيلة قبل أن تغلظ أحزم فى الرأى وأصح فى التدبير من التأخير لها والتهاون بها حتى يلتئم قليلها بكثيرها وتجتمع أطرافها الى جمهورها .

قال المهدى مازال هارون يقع وقع الحيا حتى خرج خروج القدح من الماء وانسل انسلال السيف فيما ادعى فدعوا ماسبق موسى فيه انه هو الرأى وثنى بعده هارون ولكن من لأعنة الخيل وسياسة الحرب وقادة الناس ان أمعن بهم اللجاج وأفرطت بهم الدالة ·

قال صالح

لسنا تبلغ أيها المهدى بدوام البحث وطول الفكر أدنى فراسة رأيك وبعض لحظات نظرك وليس ينفض عنك من بيوتات العرب ورجال العجم ذو دين فاضل ورأى كامل وتدبير قوى تقلده حربك وتستودعه جندك ممن يحمل الامانة العظمة ويضطلع بالاعباء الثقيلة وأنت بحمد الله ميمون النقيبة مبارك العزيمة مخبور التجارب محمود العواقب معصوم العزم فليس يقع اختيارك ولايقف نظرك على أحد توليه أمرك وتسند اليه ثغرك الا أراك الله ماتحب وجمع لك منه ماتريد

قال المهدى انى لأرجو ذلك لقديم عادة الله فيه وحسن معونته عليه ولكن أحب الموافقة على الرأى والاعتبار للمشاورة فى الأمر المهم

قال محمد بن الليث

أهل خراسان أيها المهدى قوم ذوو عزة ومنعة وشياطين خدعة زروع الحمية فيهم نابتة وملابس الأنفة عليهم ظاهرة فالروية عنهم عازبة

والعجلة عنهم حاضرة تسبق سيولهم مطرهم وسيوفهم عذلهم لأنهم بين سفلة لا يعدو مبلغ عقولهم منظر عيونهم وبين رؤساء لا يلجمون الا بشدة ولا يفطمون الا بالمر وان ولى المهدى عليهم وضيعا لم تنقد له العظماء وان ولى أمرهم شريفا تحامل على الضعفاء وان أخر المهدى أمرهم ودافع حربهم حتى يصيب لنفسه من حشمه ومواليه أو بنى عمه أو بنى أبيه ناصحا يتفق عليه أمرهم وثقة تجتمع له أملاؤهم بلا أنفة تلزمهم ولا حمية تدخلهم ولا مصيبة تنفرهم تنفست الأيام بهم وتراخت الحال بأمرهم فدخل بذلك من الفساد الكبير والضياع العظيم مالا يتلافاه صاحب هذه الصفة وان جد ولا يستصلحه وان جهد الا بعد دهر طويل وشر كبير وليس المهدى وفقه الله فاطما عاداتهم ولا قارعا صفاتهم بمثل أحد رجلين لا ثالث لهما ولا عدل فى ذلك بهما أحدهما لسان ناطق موصول بسمعك ويد ممثلة لعينك وصخرة لا تزعزع وبهمة لا تثنى وبازل لا يفزعه صوت الجلجل نقى العرض نزيه النفس جليل الخطر قد اتضعت الدنيا عن قدره وسما نحو الآخرة بهمته فجعل الغرض الاقصى لعينه نصبا والغرض الأدنى لقدمه موطئا فليس يقبل عملا ولا يتعدى أملا وهو رأس مواليك وأنصح بنى أبيك رجل قد غذى بلطيف كرامتك ونبت فى ظل دولتك ونشأ على قوائم أدبك فان قلدته أمرهم وحملته ثقلهم

واستندتَ اليه ثغرهم كان قفلا فتحه أمرك وبابًا أغلقه نهيك فجعل العدل
عليه وعليهم أميرا والانصاف بينه وبينهم حاكما واذا حكم المنصفة وسلك
المعدلة فأعطاهم مالهم وأخذ منهم ماعليهم غرس فى الذى لك بين صدورهم
وأسكن لك فى السويداء داخل قلوبهم طاعة راسخة العروق باسقة الفروع
متماثلة فى حواشى عوامهم متمكنة من قلوب خواصهم فلا يبقى فيهم
ريب الا نفوه ولا يلزمهم حق الا أدوه وهذا أحدهما والآخر عود
من غيضتك ونبعة من أرومتك فتى السن كهل الحلم راجح العقل محمود
الصرامة مأمون الخلاف يجرد فيهم سيفه ويبسط عليهم خيره بقدر
مايستحقون وعلى حسب مايستوجبون وهو فلان أيها المهدى فسلطه
أعزك الله عليهم ووجهه بالجيوش اليهم ولا تمنعك ضراعة سنه وحداثة
مولده فان الحلم والثقة مع الحداثة خير من الشك والجهل مع الكهولة
وانما أحداثكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه واختصكم به من مكارم
الأخلاق ومحامد الفعال ومحاسن الأمور وصواب التدبير وصرامة
الأنفس كفراخ عتاق الطير المحكمة لأخذ الصيد بلا تدريب والعارفة
لوجوه النفع بلا تأديب فالحلم والعلم والعزم والحزم والجود والتؤدة
والرفق ثابت فى صدوركم مزروع فى قلوبكم مستحكم لكم متكامل عندكم
بطبائع لازمة وغرائز ثابتة

قال معاوية بن عبد الله

فتاءُ أهل بيتك أيها المهدى فى الحلم على ماذُكر وأهلُ خراسان فى حال عزّ على ماوُصف ولكن انْ وَلِّى المهدى عليهم رَجُلا ليس بقديم الذكْر فى الجنود ولابنَبيه الصوت فى الحروب ولا بطويل التجربة للامور ولا بمعروف السياسة للجيوش والهيبة فى الاعداء دخل ذلك أمران عظيمان وخَطَران مَهُولان أحدُهما ان الاعداء يغْتَمزونها منه ويحتقرونها فيه ويجترؤون بها عليه فى النهوض به والمقارعة له والخلاف عليه قبل الاختبار لامْره والتكشّف لحاله والعلم بطباعه والأمر الآخر أنّ الجُنود التى يقود والجيوش التى يسوسُ اذا لم يختبروا منه البأس والنَّجدة ولم يعرفوه بالصّيت والهَيْبة انكسرت شجاعتهم وماتت نَجْدَتهم واستأخرت طاعتهم الى حين اختبارهم ووقوع معرفتهم وربما وقع البَوار قبل الاختبار وبباب المهدى وفقه الله رجل مَهيب نَبيه حَنيكٌ صَيّتٌ له نَسَب زاكٍ وصَوتٌ عالٍ قد قاد الجيوش وساس الحروب وتألّف أهل خراسان واجتمعوا عليه بالمقة ووثقوا به كل الثّقة فلو ولّاه المهدى أمرهم لكفاه الله شرهم قال المهدى جانَبْتَ قَصْد الرَّمِيّة وأبَيْتَ الّا عَصَبيّة اذ رأْىُ الحَدَث من أهل بيتنا كرأى عَشَرة حُلَماء من غيرنا ولكن أين تركتم وليّ العهد

قالوا

لم يمنعنا من ذكره الا كونه شبيه جده ونسيج وحده ومن الدين وأهله بحيث يقصر القول عن أدنى فضله ولكن وجدنا الله عز وجل حجب عن خلقه وستر دون عباده علم ماتختلف به الأيام ومعرفة ماتجرى عليه المقادير من حوادث الأمور وريب المنون المخترمة لخوالى القرون ومواضى الملوك فكرهنا شسوعه عن محلة الملك ودار السلطان ومقر الامامة والولاية وموضـــع المدائن والخزائن ومستقر الجنود ومعدن الجود ومجمع الأموال التى جعلها الله قطبا لدار الملك ومصـــيدة لقلوب النـاس ومثابة لاخوان الطمع وثوار الفتن ودواعى البدع وفرسان الضلال وأبناء الموت وقلنا ان وجه المهـــدى ولى عهده فحدث فى جيوشه وجنوده ماقد حدث بجنود الرسل من قبله لم يستطع المهـــدى ان يعقبهم بغيره الا أن ينهد اليهـم بنفسه وهذا خطر عظيم وهول شديد ان تنفست الأيام بمقامه واستدارت الحال باتمامه حتى يقع عوض لايستغنى عنه أو يحدث أمر لابد منه صار مابعده مما هو أعظم هولا وأجل خطرا له تبعا وبه متصلا

قال المهدى

الخطب أيسر مما تذهبون اليه وعلى غير ماتصفون الأمر عليه نحن أهل البيت نجرى من أسـباب القضايا ومواقع الأمور على سابق من

العلْمِ ومحتومٍ من الأمر قد أنبأَتْ به الكُتُب ونبأت عليه الرُسُل وقد تَنَاهى ذلكَ بأجمعه الينا وتكامل بحذَافيره عندنا فيـه نُدَبِّر وعلى الله نتوكل انه لابد لوليّ عهـدى ووليّ عهـد عَقِبى بعدى أن يقود الى خراسان البعوث ويتوجه نحوها بالجنود أما الأول فانه يُقَـدِّم اليهم رسله ويُعمل فيهم حيَـله ثم يخرج نَشطا اليهم حَنقا عليهم يريد أن لايَدَع أحدا من اخوان الفتن ودواعى البِدَع وفُرْسان الضلال الا تَوَطَّأَه بحرّ القتل وألبَسه قناعَ القهر وقلّده طَوق الذل ولا أحدا من الذين عملوا فى قصّ جناح الفِتْنة واخماد نار البِـدْعة ونُصْرة وُلَاة الحقّ الا أجْرى عليهم ديَم فَضْله وجَداول نَيْله فاذا خرج مُزْمعًا به مُجْمِعًا عليه لم يَسِرْ الا قليلا حتى تأتيَه ان قد عَمِلَتْ حيَلُه وَكَدَحت كُتُبه ونَفَذَت مكايده فهـدأت نافرة القـلوب ووقَعَتْ طائرة الأهواء واجتمع عليـه المختلفون بالرضى فيميل نظرًا لهم وبرًّا بهم وتَعَطُّفا عليهم الى عَدُوّ قد أخاف سبيلَهم وقطع طريقهم ومنع حُجّاجهم بيتَ الله الحرام وسَلَب تُجّارَهم رزْقَ الله الحلال وأما الآخَر فانه يوجه اليهم ثم تعتقد له الحجة عليهم باعطاء مايطلبون وبذل مايسألون فاذا سَمِعت الفرَق بقرَاباتها له وجَنَح أهل النواحى بأعْناقهم نحوه فأصْغَتْ اليه الأفئدة واجتمعت له الكلمة وقدمت عليه الوُفود قَصَدَ لأول ناحية نجعَتْ بطاعتها وألقَت

بأزمّتها فالبسها جَنَاح نعمته وأنزلها ظل كرامته وخصها بعظيم حبائه ثم عمّ الجماعة بالمَعْدَلة وتعطف عليهم بالرحمة فلا تبقى فيهم ناحيةٌ دانية ولا فرْقة قاصية الا دَخَلَتْ عليها بركته ووصلتْ اليها مَنْفعته فأغنى فقيرَها وجبر كَسيرَها ورفَع وضيعَها وزاد رفيعَها ماخلا ناحيتين ناحية يَغْلب عليها الشقاء وتستميلهم الأهْواء فتستخف بدعوته وتبطئ عن اجابتـــه وتتثاقل عن حقّه فتكون آخر مَن يبعث وأبطأ من يوجه فيصطلي عليها موجودَه ويبتغي لها علّة لايلبث أن يجدَ بحق يلزمهم وأمر يجب عليهم فتستلحمهم الجيوش وتأكلهم السيوف ويستحرّ بهم القتل ويحيط بهم الأسر ويفنيهم التتبع حتى يخرب البلاد ويؤتم الأولاد وناحيـــة لايبسط لهم أمانا ولا يقبل لهم عهدا ولا يجعل لهم ذمة لانهم أول مَن فتح باب الفُرقة وتدرع جلباب الفتنة وربض فى شق العصـا ولكنه يقتل أعلامهم ويأسر قوّادهم ويطلب هُرّابهم فى لجج البحـار وقلل الجبال وخمل الأودية وبطون الأرض تقتيلا وتغليلا وتنكيلا حتى يَدَع الديار خرابا والنساء أيامى وهـذا أمر لانعرف له فى كتبنا وقتا ولا نصحح منه غير ماقلنـا تفسيرا وأما موسى ولى عهدى فهذا أوانُ توجهه الى خراسـان وحلوله بجرجان وما قضى اللهُ له من الشخوص اليها والمقام فيها خيرٌ للمسلمين مَغَبّةً له باذن الله عاقبة من المقام

بحيث يغمر فى لجج بحورنا ومدافع سيولنا ومجامع أمواجنا فيتصاغر عظيم فضـله ويتدأب مشرق نوره ويتقلل كثير ماهو كائن منه فمن يصحبه من الوزراء ويختار له من الناس

قال محمد بن الليث

أيهـا المهدى ان ولىّ عهدك أصبح لأُمّتك وأهـل ملّتك عَلَما قد تَثَنّت نحوَه أعناقُهـا ومدّت سَمْتَــه أبصارَهـا وقد كان لقُرْب دراه منك ومحلّ جواره لك عُطْل الحـال غُفْل الأمْر واسـعَ العُذْر فأما اذا انفَرَد بنفســه وخَلا بنَظَره وصار الى تدبيره فان من شأن العامة أن تَتَفَقّـد مَخارج رأيه وتَسْتَنْصت لمَواقع آثاره وتَسْأل عن حوادث أحواله فى برّه ومَرْحَمته واقساطه ومَعْدَلته وتدبيره وسياسته ووزرائه وأصحابه ثم يكون ماسَبَق اليهم أغْلَبَ الاشـياء عليهم وأمْلَكَ الأمور بهم وألْزَمَها لقلوبهم وأشـدّها استمالةً لرأيهـم وعَطْفـا لأهْوائهم فلا يَفْتأُ المهدى وفقه الله ناظرا له فيمـا يُقَوّى عَمَد مَمْلكته ويسَدّد أركانَ ولايته ويستجمع رضـاءَ أمّته بأمر هو أزْيَنُ لحـاله وأظْهَر لجـاله وأفضـل مَغَبّة لأمره وأجل موقعـا فى قلوب رعيتــه وأحمد حالا فى نفوس أهل ملّته ولا أدفعَ مع ذلك باستجماع الأهواء له وأبْلَغ فى استعطـاف القلوب عليه من مَرْحَمة تَظْهر من فعله ومَعْدَلة تنتشر عن أثَره ومَحَبّــة للخَير وأهْله وان يختـار

المهـدى وفقـه الله من خيـار أهـل كل بلدة وفقهاء أهل كل مصر أقواما تسكن العامة اليهـم اذا ذكروا وتأنس الرعية بهم اذا وصفوا ثم تسهل لهم عمـارة سبل الاحسـان وفتح باب المعروف كما قد كان فتح له وسهل عليه

قال المهدى صدقت ونصحت ثم بعث فى ابنه موسى فقال

أى بنى انك قد أصبحت لسمت وجوه العامة نصبا ولمثنى أعطاف الرعية غاية فحسنتك شاملة واساءتك نائية وأمرك ظاهر فعليك بتقوى الله وطاعته فاحتمل سخط النـاس فيهـما ولا تطلب رضاهم بخلافهـما فانّ الله عز وجل كافيك من أسخطه عليك ايثارك رضاه وليس بكافيك من يسخطه عليـك ايثارك رضا من سواه ثم اعلم أنّ لله تعالى فى كل زمان فترة من رسله وبقايا من صفوة خلقه وخبايا لنصرة حقه يجدد حبل الاسـلام بدعواهم ويشيد أركان الدين بنصرتهم ويتخذ لأوليـاء دينه أنصارا وعلى اقامة عدله أعوانا يسـدون الخلل ويقيمون الميـل ويدفعون عن الارض الفساد وانّ أهل خراسان أصبحوا أيدى دولتنا وسـيوف دعوتنـا الذين نسـتدفع المكاره بطاعتهم ونستصرف نزول العظـائم بمناصحتهـم ونـدافع ريب الزمان بعزائمهم ونزاحم ركن الدهر ببصائرهـم فهـم عمـاد الارض اذا أرجفت لففها وخوف الاعداء اذا

برزت صفحتها وحصون الرعية اذا تضايقت الحال بها قد مضت لهم وقائع صادقات ومواطن صالحات أخمدت نيرانَ الفتن وقسمت دواعى البِدَع وأذلّت رقاب الجبّارين ولم ينفكّوا كذلك ماجَرَوا مع ريح دولتنا وأقاموا فى ظلّ دَعْوَتنا واعتصموا بحبل طاعتنا التى أعز الله بها ذلّتهم ورفع بها ضَعَتَهم وجعلهم بها أربابا فى أقطار الارض وملوكا على رقاب العالمين بعد لِباس الذُّلّ وقِناع الخوف وإطْباق البَلَا ومُحالَفة الأسى وجَهْد البأس والضّرّ فظاهِرْ عليهم لِباسَ كَرامتك وأنْزِلْهم فى حدائق نعمتك ثم اعْرِفْ لهم حقّ طاعتهم ووسيلة دالّتهم وماتّة سابقتهم وحُرْمة مُناصحتهم بالاحسان اليهم والتوسعة عليهم والاثابة لمُحسنهم والاقالة لمُسيئهم أىْ بُنَىَّ ثم عليكَ العامّة فاستدْعِ رضاها بالعَدْل عليها واستجلبْ مودّتها بالانصاف لها وتَحَسّنْ بذلك لربّك وتوثّق به فى عين رعيتك واجعلْ عُمّالَ العُذْر وولاةَ الحُجَج مُقدّمةً بين عملك ونَصَفَةً منك لرعيتك وذلك ان تأمر قاضىَ كُلّ بلد وخيار أهل كل مصْر أن يختاروا لأنفسهم رَجُلًا تُولّيه أمْرَهُم وتجعل العَدْل حاكما بينه وبينهم فان أحْسَنَ حُمِدتَ وان أساء عُذِرْتَ هولاء عُمّال العُذْر وولاة الحُجَج فلا يَسْقُطَنّ عليك مافى ذلك اذا انتشر فى الآفاق وسَبَق الى الاسماع من انعقاد ألسنة المُرْجفين وكَبْت قُلوب الحاسدين وإطْفاء نيران الحُروب وسلامة عواقب الامور

ولا ينفكن فى ظل كرامتك نازلا وبعرا حبلك متعلقا رجلان أحدهما كريمة من كرائم رجالات العرب وأعلام بيوتات الشرف له أدب فاضل وحلم راجح ودين صحيح والآخر له دين غير مغموز وموضع غير مدخول بصير بتقليب الكلام وتصريف الرأى وأنحاء العرب ووضع الكتب عالم بحالات الحروب وتصاريف الخطوب يضع آدابا نافعة وآثارا باقيـة من محاسنك وتحسين أمرك وتحلية ذكرك فتستشيره فى حربك وتدخله فى أمرك فرجـل أصبته كذلك فهو يأوى الى محلتى ويرعى فى خضرة جنانى ولا تدع أن تختار لك من فقهاء البلدان وخيار الأمصار أقواما يكونون جيرانك وسمارك وأهل مشاورتك فيما تورد وأصحاب مناظرتك فيما تصدر فسر على بركة الله أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلا يهدى الى الصواب قلبك وهاديا ينطق بالخير لسانك وكتب فى شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ببغداد

وقال ابراهيم بن المهدى يرثى ابنه وكان مات بالبصرة

نأى آخر الايام عنك حبيب * فللعين سح دائم وغـــروب

دعته نوى لا يرتجى أوبة لها * فقلبك مسلوب وأنت كئيب

يؤب الى أوطـــانه كل غائب * وأحمد فى الغيـاب ليس يؤب

تبدل دارا غير دارى وجيرة * سواى وأحداث الزمان تنوب

أقام بها مُسْتَوطنا غيرَ أنه * على طول أيام المُقام غَريب
كأنْ لم يكُنْ كالغُصْن في مَيعة الضُحى * سَقاهُ النَدَى فاهتزّ وهو رَطيب
كأنْ لم يكن كالدُرّ يَلْمع نُوره * بأصْدافه لمّا تَشنْه ثُقُوب
كأن لم يكن زَيْنَ الفناء ومَعْقل النســاء اذا يومٌ يكونُ عَصيب
وريْحان صَدْري كان حين أشمّه * ومُؤْنس قَصْري كان حين أغيب
وكانت يَدي مَلأى به ثم أصْبَحَتْ * بحَمْد الهى وهى منه سَليب
قَليلا من الأيام لم يُرْوَ ناظري * بها منه حتى أعْلَقَتْه شَعوب
كظلّ سَحابٍ لم يُقِمْ غيرَ ساعة * الى أن أطاحَتْه فَطاح جَنوب
أو الشمس لما من غَمام تَحَسَّرَتْ * مَساءً وقد وَلَّتْ وحانَ غُروب
سأبكيك ما أبقَتْ دُموعي والبُكَى * بعينَيَّ ماءً يابُنَيَّ يُجيب
وما غارَ نَجْمٌ أو تَغَنَّتْ حمامةٌ * أو اخْضَرَّ في فَرْع الأراك قَضيب
حَياتيَ ما دامَتْ حياتي وان أمُتْ * ثَوَيتُ وفى قلبي عليك نُدُوب
وأُضْمِرُ ان أنْفَدْتُ دمعيَ لوعةً * عليك لها تحتَ الضُلوع وَجيب
دَعَوْتُ أطبّاءَ العراق فلم يُصب * دواءَك منهم فى البلاد طَبيب
ولم يَملك الآسون دَفْعا لمُهْجة * عليها لأشْراك المَنُون رَقيب
قَصَمْتَ جَناحي بَعْدَما هَدّ مَنكبي * أخُوك فرأسي قد عَلاه مَشيبُ
فأصْبَحْتُ فى الهُلّاك الاّ حُشاشة * تُذاب بنار الحُزْن فهي تَذُوب

تَوَلَّيْتُمَا فى حقبَــة فترَكْتُمَا * صَـــدًى يتولى تارةً ويثوب

فلا مَيْتَ آلّا دونَ رُزْئك رُزؤه * ولو فُتِنَتْ حُزْنًا عليـــه قلوب

وانى وانْ قَدَّمْتَ قَبْلِى لعَالِمٌ * بأنى وانْ أبطأتُ منكَ قريب

وانّ صَـباحًا نلتقى فى مَسائه * صَباحٌ الى قلبى الغَدَاةَ حبيب

المأمون ورائى البرامكة

قال خادم المأمون طَلَبَنى أمير المؤمنين ليلةً وقد مضى من الليل ثُلُثُه فقال لى خُذْ معكَ فلانا وفلانا وسَمَّاهُما لى أحدُهما علىّ بن محمد والآخر دينار الخادم واذهبْ مُسْرعا لَما أقول لكَ فانه بَلَغَنى أنّ شيخا يَحْضُر ليلا الى آثار دُور البَرامكة ويُنْشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويَنْدُبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض أنت وعلىّ ودينار حتى تَرِدُوا تلكَ الخرِبات فاسْتَتِروا خَلْفَ بعض الجُدُر فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى ونَدَب وأنشد أبياتا فأتُونى به قال فأخَذْتُهما ومَضَيْنا حتى أتَيْنا الخَرِبات فاذا نحن بغُلام قد أتى ومَعَهُ بساطٌ وكرسىّ حديد واذا شيخ قد جاء وله جَمال وعليه مَهابة ولُطْف فجلس على الكرسى وجعل يبكى وينتحب ويقول هذه الابيات

ولما رأيتُ السَيْفَ جَنْدَلَ جعفرًا * ونادى منادٌ للخليفـــة فى يَحْيَى

بَكَيتُ على الدُنْيا وزاد تأسُّفى * عليهم وقلتُ الآن لاتنفع الدنيا

مع أبيات أطالها فلما فَرَغ قَبَضْنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين ففزع فَزَعًا شديدا وقال دَعونى حتى أُوصى بوصيّة فانى لا أوقن بعدها بحياة ثم تقدّم الى بعض الدكاكين واستفتح وأخَذ ورقة وكَتَب فيها وصيّة وسلّمها الى غلامه ثم سرْنا به فلما مَثَل بين يدى أمير المؤمنين قال حين راهُ مَن أنتَ وبمَ اسْتَوْجَبْتَ منكَ البَرامكة ماتفعلُه فى خَرائب دُورهم قال الشيخ ياأمير المؤمنين انّ للبرامكة أيادىَ خَضرةً عندى أفتأذن لى أن أُحَدّثَكَ بحالى معهم قال قُلْ فقال ياأمير المؤمنين أنا المُنْذر بن الْمُغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عنّى نعْمتى كما تَزول عن الرّجال فلما رَكبَنى الديْن واحْتجْتُ الى بيع ماعَلَى رَأسى ورُؤُوس أهْلى وبيْتى الذى وُلدْتُ فيه أشاروا عَلَىّ بالخُروج الى البرامكة فخرجتُ من دمَشْق ومَعى نيّف وثلاثون رجلا من أهْلى ووَلَدى وليس معنا مايُبَاع ولا مايُوهَب حتى دَخَلْنا بَغْداد ونَزَلْنا فى بعض المساجد فَدَعَوْتُ ببعض ثياب كنتُ أعْدَدْتُها لأسْتَتر بها فَلبسْتُها وخَرَجْتُ وتَرَكْتُهم جياعا لاشئَ عندَهم ودَخَلْتُ شوارع بغداد سائلا عن البرامكة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفى جانبه شيخ بأحْسن زىّ وزينة وعلى الباب خادمان وفى الجامع جماعةٌ جُلوسٌ فَطَمعْتُ فى القوم ودخلتُ المسجدَ وجلستُ بين أيديهم وأنا أقَدّم رِجْلا وأُؤَخر أُخْرى والعَرَق يَسيل منى لانها لم تكن صناعَتى

واذا الخــادمُ قد أقبــلَ ودعا القومَ فقاموا وأنا مَعَهم فدَخلُوا دارَ يحيى ابن خالد فدخلتُ معهم واذا يحيى جالسٌ على دَكّة له وسْط بُسْتان فَسَلَّمْنَا وهو يَعُدُّنا مائة وَواحِدًا وبين يَدِه عَشَرة من وَلَده واذا بمائة واثنى عشر خادما قد أقبلوا ومع كل خادم صينيّة من فضّة على كل صينية ألْفُ دينار فَوضَعوا بين يَدَىْ كل رَجُل منّا صينيةً فرأيتُ القاضىَ والمشايخ يَضَعُون الدنانير فى أكمامهم ويَجْعَلون الصينيّات تحتَ آباطهم ويقوم الاوّل فالاول حتى بَقيتُ وحدى لا أجْسُر على أخْذ الصينية فغمزنى الخادم فَجَسَرْتُ وأخَـذْتُها وجعلتُ الذهَبَ فى كُمّى والصينيةَ فى يدى وقُمْتُ وجعلت أتلفّتُ الى وَرَاءى مَخَافَةَ أن أُمْنَع من الذهَاب فوصَلْتُ وأنا كذلكَ الى صَحْن الدار ويحيَى يُلاحظُنى فقـال للخادم ائتنى بهذا الرَّجُل فأتانى فقال مالى أراكَ تتلفّتُ يمينا وشمالاً فقَصَصْتُ عليه قصّتى فقال للخادم ائتنى بولَدى موسى فأتاه به فقال له يابُنَىّ هذا رَجُلٌ غريبٌ فَخُذْه اليــكَ واحْفَظْه بنفسكَ ونعْمتكَ فقَبَض موسى وَلَدُه على يَدى وأدْخلَنى الى دار من دُوره فأكْرَمنى غايةَ الاكرام وأقمْتُ عنده يَوْمى ولَيْلتى فى ألَذّ عَيْشٍ وأتَمّ سُرورٍ فلما أصْبحَ دَعا بأخيــه العباس وقال له الوزير أمرَنى بالعَطْف على هذا الفَتى وقد عَلمْتَ اشتغالى فى بيْت أمير المؤمنين فاقبضْه اليكَ وأكْرمه ففَعَلَ ذلكَ وأكْرَمنى غايةَ الاكرام ثم لما كان من الغَد

تَسَلَّمَنِى أخوه أحمد ثم لم أزَلْ فى أيْدى القوم يَتَدَاوَلُونَنى مدةَ عشرةِ أيام لاأعْرف خَبَرَ عيالى وصِبْيانى أفى الامْواتِ هُمْ أمْ فى الاحْياء فلما كان اليوْم الحادي عشر جاءنى خادمٌ ومَعَهُ جماعة من الخَدَم فقالوا قُمْ فاخْرُجْ الى عيالك بسلام فقلت واوَيلاه سُلِبْتُ الدَّنانير والصينيّة وأُخْرَجُ على هذه الحالة انّا لله وانا اليه راجعون فَرُفِع السِّتْر الاوّل ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع فلما رَفَع الخادم السِّتْرَ الاخير قال لى مهما كان لك من الحوائج فارْفعْها الىَّ فانى مأمورٌ بقضاء جميع ما تأمُرُنى به فلما رُفِع السِّتْرُ الأخير رأيتُ حُجرةً كالشمس حُسْـنا ونورًا واسْتَقْبلَنى منها رائحةُ النَّدّ والعود ونَفَحات المِسْك واذا بصِبْيانى وعيالى يَتَقَلَّبون فى الحرير والدِّيباج وحُمِلَ الىَّ مائةُ ألف دِرْهَم وعَشْرةُ آلاف دينار ومَنْشُورًا بضَيْعَتَيْن وتلك الصينية التى كنت أخَذْتُها بما فيها من الدَّنانير والبَنادق وأقَمْتُ يا أمير المؤمنين مع البرامكة فى دورهـم ثلاثَ عشرةَ سـنة لايعلَم الناسُ أمِنَ البرامكة أنا أم رَجُلٌ غريب فلما جاءتهـم البَلِيّة ونَزَل بهم يا أمير المؤمنين من الرشيد ما نزل أجْحَفَنى عمرو بن مَسْعدة وألْزمَنى فى هاتين الضيعتين من الخَراج مالا يَفِى دَخْلُهما به فلما تَحامَل علىَّ الدَّهْر كنتُ فى آخر الليل أقْصد خَرِباتِ دُورهم فأنْدُبُهم وأذْكر حُسْنَ صُنْعهم الىَّ وأبكى على احسانهم فقال المأمون عَلَىَّ بعمرو بن مسعدة فلما أُتِى به قال له تعْرف

هذا الرَجُلَ قال يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمته في ضَيْعَتِه قال كذا وكذا فقال له رُدَّ اليه كُلَّ ماأخذته منه في مُدّته وأَفْرِغْهما له ليكونا له ولعَقِبه من بعده قال فعلا نحيب الرَجُل فلما رأى المأمونُ كثْرةَ بكائه قال له ياهذا قد أحسنّا اليك فما يبكيك قال ياأمير المؤمنين وهذا أيضا من صَنيع البرامكة لو لم آت خرباتهم فأبكيهم وأندُبهم حتى اتصل خبَري الى أمير المؤمنين ففَعَل بي مافَعَل من أين كنتُ أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فرأيتُ المأمون وقد دَمعتْ عيْناهُ وظهر عليه حُزْنه وقال لعَمْرى هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابْكِ واياهُمْ فاشكُرْ ولهم فأوْفِ ولاحسانهم فاذْكُرْ

رسالة سهل بن هارون في البخل

بسم الله الرحمن الرحيم

أصلحَ اللهُ أمركم وجَمع شملكم وعلّمكم الخير وجعلكم من أهله قال الأحنف بن قيس يامعشر بني تميم لاتُسرعوا الى الفتنة فانّ أسرَع الناس الى القتال أقلّهم حياء من الفرار وقد كانوا يقولون اذا أردتَ أن ترى العُيوب جَمّةً فتأمّلْ عَيّاباً فانه انما يَعيب الناسَ بفَضْل مافيه من العيب ومن أعْيَب العَيْب أن تَعيب ماليس بعَيب وقبيحٌ أن تَنْهى مُرشِداً وأن تُغْري بمُشفق وما أردنا بما قلنا الا هدايتكم وتقويمكم واصلاحَ فاسدكم

وابقاءَ النعمة عليكم وما أخطأنا سبيلَ حُسْن النيّة فيما بيننا وبينكم وقد تعلمون أنّا ماأوصيناكم الا بما اخترناه لكم ولأنفسنا قبلكم وشهرنا به في الآفاق دونكم ثم نقول في ذلك ماقال العَبْد الصالح لقومه (وما أريد أن أخالفكم الى ماأنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاحَ مااستطعتُ وما توفيقي الا بالله عليه توكلتُ) فما كان أحقّنا منكم في حرمتنا بكم أن ترعَوْا حتى قصدنا بذلك البكم على مارعيناه من واجب حقكم فلا العُذْرَ المبسوط بلغتم ولا بواجب الحُرمة قمتم ولوكان ذكرُ العيوب يُراد به فخرٌ لرأينا في أنفسنا من ذلك شُغلًا عِبْتُموني بقولي لخادمي أجيدي العجين فهو أطيبُ لطُعمه وأزيد في رَيْعه وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أملكوا العجين فانه أحدُ الرَّيْعَيْن وعبتموني حين ختمت على مافيه شيءٌ ثمين من فاكهة رَطْبة نقية ومن رَطْبة غريبة على عَبْدٍ نَهِمٍ وصَبيٍ جَشِع وأَمَةٍ لَكْعاءَ وزوجةٍ مُضيعة وعِبْتُموني بالختْم وقد ختم بعض الائمة على مِزْوَد سويق وعلى كيس فارغ وقال طينةٌ خيرٌ من ظِنَّة فأمسكتم عمّن خَتم على لاشيءٍ وعِبْتُم مَن خَتَم على شيءٍ.وعبتموني أن قلتُ للغلام انما زدتَ في المَرَق فزِدْ في الانضاج ليجتمع مع التأدّم باللحم طيبُ المرق وعبتموني بخصف النعْل وبتصدير القميص وحين زعمتُ أنّ المخصوفة من النّعل أبقى وأقوى وأشبه بالنّسْك وأنّ الترقيع من الحزْم والتفريط من

التَّضْييع وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَخْصِف نَعْلَه ويُرَقِّع ثَوْبه ويقول لو أُهْدِىَ الىّ ذراعٌ لقَبِلْتُ ولو دُعيتُ الى كُرَاعٍ لأَجَبْتُ وقالت الحكماء لاجَديدَ لمَنْ لم يَلْبَس الخَلَق وبَعَثَ زياد رَجُلا يَرْتادُ له مُحَدِّثا واشترط عليه أن يكون عاقلا فأتاه به مُوافقا فقال له أكنتَ به ذا معرفة قال لا ولكنى رأيْتُه فى يومٍ قائظ يَلْبَس خَلَقًا ويَلْبَس النّاسُ جَديدا فتَفَرَّسْت فيه العقلَ والأدبَ وقد عَلِمْت أنّ الخَلَقَ فى موضعه مثلُ الجديد فى موضعه وقد جعل الله لكل شئ قَدْرا وسَمَا به موضعا كما جعل لكل زمانٍ رجالًا ولكل مقامٍ مَقالا وقد أحيَا الله بالسُّمّ وأماتَ بالدواء وأغَصّ بالماء وقد زَعَمُوا أنّ الاصلاح أحدُ الكاسبَيْن كما زعموا أن قِلّةَ العيال أحدُ اليَسَارَيْن وقد جَبَرَ الأحْنَف بن قَيْس يَدَ عَنْزٍ وأمر مالكُ بن أنَس بفَرْكِ النَّعل وقال عُمَرُ بن الخطاب مَن أكَلَ بيْضَةً فقد أكل دَجاجة ولَبِس سالم بن عبدالله جِلْدَ أُضْحِيَة وقال رجل لبعض الحكماء أريد أن أُهْدِى اليكَ دَجاجة فقال ان كان لابُدّ فاجعلْها بَيُوضًا وعبتمونى حين قلت من لم يَعرِف مواضعَ السَرَف فى الموجود الرخيص لم يعرف مواضعَ الاقتصاد فى المُمْتَنِع الغالى ولقد أُتيتُ بماء للوضوء على مبلَغ الكفاية وأشَدّ من الكفاية فلما صِرْتُ الى تفريق أجزائه على الاعضاء والى التوفير عليها من وضيعة الماء وَجَدْتُ فى الأعضاء فضلا عن الماء

فعلتُ أن لو كنتُ سلكتُ الاقتصادَ في أوائله لخرج آخره على كفاية أوله ولكان نصيب الأول كنصيب الآخر فعبتموني بذلك وشنعتم عليّ وقد قال الحسنُ وذكر السَرَف أمَا انه ليكون في المـاء والكلأ فلم يرض بذكر المـاء حتى أردفه الكلأ وعبتموني أن قلت لايغترنّ أحدكم بطول عمره وتقويس ظهره ورقة عظـمه ووهن قوّته وأن يرى نحوه أكثر ذريّته فيدعوه ذلك الى اخراج ماله من يده وتحويله الى ملك غيره والى تحكيم السَرَف فيــه وتسـليط الشهوات عليــه فلعلّه يكون معمّرا وهو لايدري وممدودا له في السنّ وهو لايشـعر ولعـلّه أن يرزق الولد على اليأس ويحدث عليه من آفات الدهر مالا يخطر على بال ولا يدركه عقل فيسـتردّه ممن لايردّه ويظهر الشكوى الى من لايرحمه أصعبَ ما كان عليــه الطلب وأقبحَ ما كان به أن يطلب فعبتموني بذلك وقد قال عمرو ابن العاص اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا وعبتموني بأن قلت بأنّ السَّرَف والتبذير الى مال المواريث وأموال الملوك وأنّ الحفظ للمال المكتسب والغنى المجتلب والى مَن لايعرّض فيــه بذهاب الدين واهتضام العرض ونَصَب البــدن واهتضـام القلب أسرعُ ومَن لم يحسب نفقتــه لم يحسب دخله ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع الأصل ومن لم يعرف للغنى قدْرَه فقد أذن بالفقر وطاب نفسا

بالذُّل وعبتمونى بأن قلت انّ كَسْبَ الحلال يَضْمَن الانْفَاقَ فى الحلال وانّ الخبيث يَنْزِع الى الخبيث وانّ الطَّيِّب يَدْعو الى الطَّيِّب وانّ الانفاق فى الهوى حِجَابٌ دونَ الهوى فَعِبْتُمْ علىّ هـذا القول وقد قال معاوية لم أرَ تَبْـذيرا قَطّ الّا والى جَنْبه تضييع وقد قال الحَسَـن ان أردْتم أن تَعْرِفوا من أيْنَ أصابَ الرجلُ مالَهَ فانظروا فيما ذا يُنْفِقُه فان الخبيث انما يُنْفَقُ فى السَرَف وقلت لكم بالشَفَقة عليكم وحُسْن النظر منى لكم وأنتم فى دار الآفات والجوائحُ غيرُ مأمونات فانْ أحاطَتْ بمال أحدكم آفةٌ لم يَرْجِع الى نفسه فاحذروا النِقَم واختلافَ الامكنــة فانّ البَلِيّة لاتجرى فى الجميع الا بموْت الجميع وقد قال عُمَر بن الخطاب رضى الله عنــه فى العبد والأمَة والشاة والبَعير فَرِّقوا بين المَنايا وقال ابن سيرين لبعض البَحْرِيّين كيف تصـنعون بأموالكم قالوا نُفَرِّقُها فى السُفُن فان عَطِب بعضٌ سَلِمَ بعضٌ ولولا أنّ السَلامة أكثر ماحَمَلْنا أموالَنا فى البحر قال ابن سيرين يَحْسَبها خَرْقاء وهى صَناع وعبتمونى بأن قلت لكم عند اشْفاقى عليكم ان للغِنَى لَسُكْرًا وللمال لَنَزْوة فمن لم يَحفظ الغِنَى من سُكْره فقـد أضاعَه ومن لم يرْتَبِط المال بخَوْف الفقر فقـد أهْمَلَه فعبتمونى بذلك وقد قال زيد بن جَبَلة ليس أحد أقْصَر عقلا من غَنِىّ أمِنَ الفقر وسُكْرُ الغنى أكثرُ من سُكْر الخمر وقد قال الشاعر فى يحيى بن خالد بن برمك

وهُوبُ تلادِ المالِ فيما ينوبُه * منوعٌ اذا مامنَعْهُ كان أحْزَما

وعبتمونى حين زعمتم أنى أقدّم المالَ على العلْمِ لأنّ المالَ به يُفادُ العلم وبه تقوم النفس قبلَ أن تَعْرِف فَضْلَ العلم فهو أصل والاصل أحقّ بالتفضيل من الفَرْع فقلتم كيف هذا وقد قيل لرئيس الحكماء الأغنياءُ أفضلُ أم العُلَماء قال العلماء قيل له فما بالُ العلماء يأتون أبوابَ الاغنياء أكثر مايأتى الاغنياء أبوابَ العلماء قال ذلك لمعرفة العلماء بفضْل المال وجَهْل الاغنياء بحقّ العلم فقلتُ حالُهما هى القاضية بينهما وكيف يَسْتَوى شئٌ حاجَةُ العامّة اليه وشئٌ يُغْنى فيه بَعْضُهم عن بعض وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الاغنياء باتّخاذ الغَنَم والفقراء باتّخاذ الدَّجاج وقال أبو بكر رضى الله عنه انى لأُبْغض أهلَ بيْتٍ ينْفقُون نَفَقَةَ الايّام فى اليوْم الواحد وكان أبو الأسْود الدُّؤَلى يقول لولده اذا بَسَط اللهُ لكَ الرزْق فابْسُطْ واذا قَبَضَ فاقْبِضْ وعبتمونى حين قلتُ فَضْل الغنى على القوت انما هو كفضل الآلة تكون فى البَيْت اذا احْتيج اليها اسْتُعْمِلَت وان استغنى عنها كانت عُدّة وقد قال الحُصَين بن المُنْذر وَدِدْتُ أنّ لى مثل أُحُد ذَهَبًا لاأنْتفع منه بشئٍ قيل له فما كنتَ تَصْنَع به قال لكثرة من كان يَخْدُمُنى عليه لانّ المالَ مَخْدوم وقد قال بعض الحكماء عليكَ بطلب الغنَى فلو لم يكن فيه الا أنه عزٌّ فى قلبكَ وذلٌّ

فى قلب عدوك لكانَ الحظّ فيه جسيما والنفْع فيه عظيما ولسنا ندَع سيرةَ الانبياء وتعليم الخلفاء وتأديبَ الحكماء لأصحاب اللهو ولستم على تردُّون ولا رأيى تُفنّدون فقدّموا النَظر قبــل العَزم وأدركوا مالكم قبــل أن تُدركوا ما لكم والسلام عليكم

وكتب الجاحظ الى بعض اخوانه فى ذمّ الزمان

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظَكَ اللهُ حفْظ مَن وفّقه للقَناعة واستعمله بالطاعة كتبتُ اليك وحالى حالُ مَن كَثُفَتْ غُمومه وأشْكَلَتْ عليه أُموره واشْتَبه عليه حالُ دَهْره ومَخْرج أمْره وقلّ عنــده مَن يثق بوَدّه أو يَحْمد مَغبّــة اخائه لاسْتحالة زماننـا وفساد أيامنا ودَوْلة أنْذالنا وقدمًا كان مَن قدّمَ الحياءَ على نفسه وحكّم الصــدْق فى قوله وآثر الحقّ فى أموره ونبذ المُشْتبهات عليــه من شؤونه تمّتْ له الســلامة وفازَ بوُفور حَظّ العافية وحمد مَغَبّة مكروه العاقبة فنَظَرْنا اذْ حال عندنا حكْمُه وتحَوّلَتْ دَوْلَتُه فوجدْنا الحياءَ مُتّصلا بالحرْمان والصدْق آفةً على المــال والقصدَ فى الطّلَب بتَرْك استعمال القِحَــة وإخلاق العِرْض من طريق التوكّل دليــلا على سَخافة الرأى اذْ صارَت الحُظْوة الباسقة والنعمة السابغة فى لُؤْم المَشيئة وسَــناءُ الرزق من جهة محاشاة الرخاء ومُلابَسة مَعَرّة العار ثم نظرنا فى تَعَقُّب المُتعقّب

لقولنا والكاشرَ لُحجتنَا فأقَمْنا له عَلَمًا واضحا وشاهـدا قائما ومَنارا بَيِّنا اذ وَجَدْنا مَن فيه السُّفُولِيّة الواضحة والمَثالب الفاضحة والكَذب المُبرّح والخُلْف المُصَرّح والجهالة المُفرطة والركاكة المُسْتَخِفَة وضعْف اليقين والاستِثْبات وسُرعة الغضَب والجَراءة قد استكملَ سُروره واعتَدَلَتْ أموره وفاز بالسَّهْم الأغْلب والحَظّ الأوْفر والقَدْر الرَفيع والجَواز الطائع والأمر النافذ ان زَلّ قيل حَكَم وان أخطأ قيـل أصابَ وان هَذَى فى كلامه وهو يقْظان قيـل رُؤْيا صادقة من نَسَمَة مُباركة فهذه حُجَّتُنا والله على مَن زَعَم انّ الجَهْـل يَخْفض وانّ النُوكَ يُردى وانّ الكَذب يَضُرّ وأنّ الخُلْف يُزْرى ثم نظرنا فى الوفاء والامانة والنُبْل والبَلاغة وحُسن المَذْهب وكَمال المُروءة وسَعَة الصَدْر وقِلّة الغَضب وكَرَم الطَبيعة والفائق فى سَعة علْمه والحاكم على نفسه والغالب لهَواه فوجَدْنا فلانَ بن فلان ثم وجدنا الزمان لم يُنْصفْه من حَقّه ولاقامَ له بوظائف فَرْضـه ووجدنا فضائلَه القائمة له قاعدةً به فهذا دليلُ أنّ الطَلاح أجْدَى من الصَلاح وأن الفضـل قد مضى زمانُه وعَفَتْ آثاره وصارت الدائرة عليـه كما كانت الدائرة على ضِـدّه ووجدنا العقلَ يَشْقَى به قرينُه كما أنّ الجهل والحُمْق يَحْظَى به خَدينـه ووجدنا الشعْر ناطقـا على الزمان ومُعْربا عن الايام حيث يقول

تحامق مع الحمقى اذا مالقيتهم * ولاقهم بالجهل فعل أخي الجهل
وخلط اذا لاقيت يوماً مخلطا * يخلط فى قول صحيح وفى هزل
فانى رأيت المرأ يشقى بعقله * كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

فبقيت أبقاك الله مثل من أصبح على أوفاز ومن النقلة على جهاز لايسوغ له نعمة ولا تطعم عينه غمضة فى أهاويل يباكره مكروهها ويراوحه عقابيلها فلو أن الدعاء أجيب والتضرع سمع لكانت العدة العظمى والرجفة الكبرى فليت أى أخى ماأستبطئه من النفخة ومن فجأة الصيحة قضى فحان وأذن به فكان فوالله ماعذبت أمة برجفة ولا ريح ولا سخطة عذاب عيني برؤية المغايظة المذمنة والاخبار المهلكة كأن الزمان يوكل بعذابي أو ينصب بأيامى فما عيش من لايسر بأخ شفيق ولا يصطبح فى أول نهاره الا برؤية من يكرهه ويغمه بطلعته فقد طالت الغمة وواظبت الكربة وادلهمت الظلمة وخمد السراج وتباطأ الانفراج

وكتب الجاحظ الى محمد بن عبد الملك يستعطفه

بسم الله الرحمن الرحيم

أعاذك الله من سوء الغضب وعصمك من سرف الهوى وصرف ماأعارك من القوة الى حب الانصاف ورجح فى قلبك ايثار الأناة فقد خفت أيدك الله أن أكون عندك من المنسوبين الى نزق السفهاء ومجانبة

سُبُل الحكماء وبعد فقد قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت

وانّ امرأً أمسى وأصبح سالماً * من الناس الا ماجنى لسعيد

وقال الآخر

ومن دعا الناس الى ذمّه * ذموه بالحق وبالباطل

فان كنتُ اجترأت عليك أصلحك الله فلم أجترئ الا لأنّ دوامَ تغافُلك عنّى شَبيهٌ بالاهمال الذى يورث الاغفال والعفوُ المُتتابع يؤْمِن من المكافأة ولذلك قال عُيينة بن حصن بن حُذيفة لعُثمان رحمه الله عُمَرُ كان خيراً لى منك أرهبنى فاتّقانى وأعطانى فأغنانى فان كنتَ لاتهبُ عقابى أيدك الله لخدمة فهبْه لأياديك عندى وانّ النعمةَ تَشفع فى النقمة والا تفعلْ ذلك لذلك تُعد الى حُسن العادة والا فافعلْ ذلك لحُسن الأحدوثة والا فأْت ماأنتَ أهله من العفو دون ماأنا أهلهُ من استحقاق العُقوبة فسبحانَ مَن جعلك تعفُو عن المتعمّد وتتجافى عن عقاب المُصرّ حتى اذا صرتَ الى مَن هفوتُه ذكرٌ وذنبُه نسيان ومَن لايعرف الشكر الا لك والانعام الا منك هجمتَ عليه بالعُقوبة واعلمْ أيدك الله أنّ شينَ غضبك عليّ كزينِ صفحك عنى وأنّ موتَ ذكرى مع انقطاع سببى منك كحياة ذكرك مع اتّصال سببى بك واعلم أنّ لك فطنةَ عليم وغفلةَ كريم والسلام

وصْف الجاحظ لقُريش وبني هاشم

قد عَلِم النـاس كيفَ كَرَم قُرَيش وسَخاؤها وكيف عُقولها ودَهاؤها وكيف رأيُها وذكاؤها وكيف سياسَتُها وتدبيرها وكيف إيجازها وتَحْسيرها وكيف رَجاحة أحْلامها إذا خَفَّ الحَليم وحدَّة أذهـانها اذا كَلَّ الحديد وكيف صَبْرُها عند اللقاء وثباتُها في اللأْواء وكيف وفاؤها اذا استُحْسِن الغَدْر وكيف جودُها اذا حُبَّ المالُ وكيف ذِكْرُها لأحاديث غَد وقلة صُدودها عن جهة القَصْد وكيف اقْرارُها بالحقّ وصَبْرُها عليـه وكيف وصْفُها له ودُعاؤها اليه وكيف سَماحَة أخلاقها وصَونُها لأعْراقها وكيف وصَلوا قديمَهم بحَديثهم وطَريفَهم بتَليدهم وكيف أشْبَه عَلانيَتَهم سِرُّهم وقولَهم فعلُهم وهل سـلامة صدر أحدهم الا على قدر بُعد غَدْرِه وهل غَفْلَتُه الا في وزن صدْق ظَنّه وهل ظَنُّه الا كيَقين غيره

دُرَّتازَيْن لقُرَّتَيْ عَيْن

حكي عن محمد بن عبـدالرحمن الهاشمي قال كانت عَتَّابة أُمُّ جعفر ابن يحيى تَزُور أُمّي وكانت لبيبة من النسـاء حازمة فصيحة بَرْزَة يُعْجِبُني أن أجدَها عنـد أمي فأستكثر من حديثها فقلت لها يوما ياأم جعفر ان بعض النـاس يُفَضِّل جعفرا على الفضـل وبعضهم يفضل الفضل على جعفر فأخبريني فقالت مازِلْنا نَعرف الفضـل للفضل فقلت ان

أكثر النـاس على خلاف هذا فقالت هاءنا أُحَدِّثك واقْض أنت وذلك الذى أردتُ منها فقـالت كانا يوما يلعَبان فى دارى فدخل أبوهما فدعا بالغذاء وأحْضَرَهما فطَعِما معه ثم آنَسَهُما بحديثه ثم قال لهما أتلعبان بالشطْرَنْج فقـال جعفر وكان أجْرَأهما نعم قال فهـل لاعبْتَ اخاكَ بها قال جعفر لا قال فالْعبا بها بينَ يدَىّ لأرَى لِمَن الغَلَب فقال جعفر نعم وكان الفضل أبْصَرَ منه بها فجِئ بالشطرنج فَصُفَّتْ بينهما وأقبلَ عليها جعفر وأعْرَض عنها الفضـل فقال له أبوه مالَكَ لا تُلاعب أخاكَ فقال لا أُحبّ ذلك فقـال جعفر انه يَرَى أنه أعلمُ بها فيأنَفُ من مُلاعَبَتى وأنا أُلاعبُـه مُخاطَرَةً فقال الفضل لا أفعل فقال أبوه لاعِبْه وأنا معَكَ فقال جعفر رضيتُ وأبَى الفضل واستعفَى أباهُ فأعْفاه ثم قالت لى قد حَدَّثْتُكَ فاقْض فقلت قد قَضَيْتُ للفضـل بالفضل على أخيـه فقالت لو عَلِمْتَ أنك لا تُحْسن القضاءَ لَما حكَّمْتُكَ أفلا ترى أنّ جعفرا قد سَقَط أربَع سَقَطات تَنَزَّه الفضـل عنهنّ فسَقَط حين اعترَف على نفسـه بأنه يلْعب بالشطْرَنْج وكان أبوه صاحبَ جِدّ وسقط على الْتزام مُلاعَبة أخيه واظْهار الشَهْوَة لغَلَبه والتَعَرُّض لغَضَبه وسقط فى طلب المُقامَرة واظهار الحِرْص على مال أخيه والرابعـة قاصمة الظَهْر حين قال أبوه لأخيـه لاعِبْه وأنا معك فقال أخوه لا وقال هو نعم فناصَبَ صفًّا فيه أبوه وأخوه

فقلتُ أحسنْتَ والله وانكَ لأقْضَى من الشَّـعْبِيّ ثم قلت لها عَزَمْتُ
عليكَ أخبريني هل خَفِي مثْلُ هذا على جعفر وقد فَطَن له أخوه فقالت
لولا العزيمــة لما أخْبَرْتُكَ انّ أباهما لمّا خرج قلت للفضل خاليــةً به
ماَمَنَعَكَ من ادْخال السُّرور على أبيكَ بملاعبــة أخيكَ فقــال أمْرانِ
أحدُهما لو أنّي لاعَبْتُه لَغَلَبْتُه فأخْجَلْتُه والثاني قول أبي لاعبْه وأنا معكَ
فما يَسُرّني أن يكون أبي معي على أخي ثم خَلَوْتُ بجعفر فقلت له يسأل
أبوكَ عن اللعب بالشطرنج فيَصْمُت أخوكَ وتعترف وأبوكَ صاحب جدّ
فقال انى سَمِعْتُ أبي يقول نعْم لَهْوُ البال المَكْدُود وقد عَلِم ماتَلَقّاه من
كدّ التّعلّم والتّأدّب ولم آمَن أن يكون بلَغَه أنّا نَلْعَب بها ولا أن يُبادر
فيُنكر فبادرْت بالاقْرار اشْفاقا على نفسي وعليـه وقلتُ ان كان تَوبيخ
فَدَيتُــه من المُوَاجهة به فقلتُ له يابنيّ فَلِمَ تقول ألاعبُه مُخاطرةً كأنكَ
تُقامر أخاكَ وتَستكثر مالَه فقال كلّا ولكنه يَستَحْسن الدَّواة التي وهَبَها لي
أميرُ المؤمنين فَعَرَضْتُها عليه فأبَى قبولَهـا وطَمِعْتَ أن يُلاعبَني فأُخاطِره
عليها وهو يَغلبُني فتَطيب نفسُه بأخْذها فقلت لها ياأُمّاه ما كانت هذه
الدواة فقالت انّ جعفرا دَخَل على أمير المؤمنــين فرأى بين يديه دواةً
من العقيق الاحمر مُحلّاةً بالياقوت الازرق والاصــفر فرآه يَنْظُر اليهـا
فوهَبَها له فقلت ايه فقالت ثم قلت لجعفر هَبْكَ اعتــذرْت بما سمعتَ

فما عُذْرُكَ من الرضا بمُناصَبة أبيك حين قال لاعبْه وأنا معكَ فقلتَ أنتَ نَعَمْ وقال هو لا فقال عَرَفْتَ انه غالبُنى ولو قتر لَعِبُه لتغالبتُ له مع مالَه من الشَرَف والسُرور بتحيُّز أبيه اليه قال محمد بن عبد الرحمن فقلت بَخٍ بَخٍ هـذه والله السيادة ثم قلت لها يا أُمَّاه أكان منهما مَن بَلَغ الحُلُم فقالت يابنىّ أين يُذْهَب بك أُخْبِرُكَ عن صَبِيَّيْن يلْعَبان فتقول أكان منهما من بلغ الحلم لقد كنا نَنْهى الصَّبىّ اذا بَلَغ العَشْر وحَضَر من يُستَحيى منه أن يبتَسِم

دُرَّتا زَيْن لقُرَّتَى عين

يحكى أنّ الفضل بنَ سهل أرسلَ وَهْب بن سعيد الى فارس مُحَاسِبًا لعُمَّالها فَبَلَغه أنّه خانَ فَعَزَله وسَخِط عليه وبعث به الى أخيه الحَسَن ابن سهل لينظر فى أمره فأحَسّ وهب بن سعيد بالشرّ فأوصَى الى رَجل من أهل واسطَ ثقَة مُوسِر يَتَحرَّف بالجِزارة ويتّجر فى الجُلود فأعطاهُ مالا عظيما وضَمّ اليه ولَدَيه الحَسَن وسليمان وهما صغيران ثم توجَّه وهبٌ الى بَغْداد فَغرِق وهَلَكَ غَرَقًا فلما بلغ ذلكَ الوصىَّ أخبر به الغُلامَيْن وقال اختارا حِرفةً تَحْتَرِفان بها وان اخترتُما الجِزارةَ وبيعَ الجُلود بَصَّرْتُكما بذلكَ ولكما عندى مالٌ سأشترى لكما به ضِياعًا تَسْتَظْهِران بها على أحْداث الزمان فقالا مالَنا ولحِرَف العوامّ وصناعاتِهم وانما حِرفة أمثالنا

جَزْر أعناق الرّجال فى القَراطيس فَسَمِع الجزار كلامًا لاعَهْد له بسَماع مثْله فتهيَّبهما الوصىّ ورأى برًّا ليس من سوقه فضمّ اليهما مَن يؤدِّبُهما ويُصْلِح من شأنهما فلما اشتدّا قالا لوصيّهما انّ واسطَ لاتَفى لنا بما نَرومُه من العلْم ونُؤَمِّلُه من الرّآسـة فقـال لهما الوصى انّ مثلَكما لايُولّى عليه فَرأْنى بأمْركما أُطِعْ فقالا له جَهِّزْنا الى مُعْتَرَض العلماء ومستقرّ الخلفاء فجهزَهما الى بَغْـداد ودَفَع اليهما من المـال ما أَحَبّاه وذَكَر الصُولى أنه دفع اليهما مالَهُما كلَّه فلما صارا الى بغداد نالا ما أمّلا من الرآسة والعلم ثم كتبا معًا فى دار المأمون فى حال غُلُوميّتهما وصغَرسنّهما ورأى المأمون يوما أحدَهما فى الدار عشى فقال له من أنتَ ياغلام فقال أنا الناشئ فى دولتكَ المُغْتَذى بنعمتكَ المكرَّم بخدْمتكَ عبدُكَ وابن عبدكَ سليمان ابن وهب فقـال المأمون أحسنتَ ياغلام ثم ان المأمون دعا سليمان ابن وهب وهو غلام فأمرَه أن يكتُب بين يديه كتابا لم يبلُغْ قدرُه أن يكتُبَ مثلَه فحرّره على ما أراد المأمون على أحْسَنِ خطّ وأصح ضَـبْط وأسهل لفظ وأجود معنًى فَسُرَّ به المأمون سرورا ظهر عليه فلما خرج سليمان كتب اليه بعض اخوان أبيه يقول

أبوكَ كَلَّفَكَ الشأو البعيـد كما * قدْمًا تَكَلَّفه وهْبُ أبو حَسَن

فلستَ تُحْمد ان أدركتَ غايتَه * ولستَ تُعْذَر مسبوقا فلا تَهِن

ولم تزل أمورهما تنمى حتى نالا الوزارة وحكى أن ابن يزيد بن محمد المهلبي وفد على سليمان بن وهب حين استوزر فسرّ به وعرف له فضله وأجلسه الى جانبه فأنشده قوله

وهبتم لنا يا آل وهب مودّة * فأبقت لنا مالًا ومجدًا يؤثّل
فمن كان للآثام والذلّ أرضه * فأرضكم للاجر والعزّ منزل
رأى الناس فوق المجد مقدار فضلكم * فقد سألوكم فوق ما كان يسئل
يقصر عن مسعاتكم كلّ آخر * وما فاتكم ممن تقدّم أوّل
بلغت الذى قد كنت آمله لكم * وان كنت لم أبلغ بكم ما أؤمل

فقطع عليه سليمان انشاده وقال لاتقل ذلك أصلحك الله وانك عندى كما أنشدنى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير حيث قال

أقهقه مسرورا اذا أنت سالم * وأبكى من الاشواق حين تغيب

فقال له المهلبي فليسمع الوزير من آخر الشعر ما يحقر أوله فقال هات وأنشأ يقول

ومالى حقّ واجب غير أننى * بجودكم فى حاجتى أتوسّل
وانكم أفضلتم وبررتم * وقد يستتم النعمة المتفضل
وأوليتم فعلا جميلا مقدّما * فعودوا فانّ العود بالحرّ أجمل
فكم ملحف قد نال ما رام منكم * وعفنا عن مثل ذلك التجمّل

وعوّدتمونا قبلَ أن نسألَ الغنَى * ولا وجه للمعروف والوجهُ يُبْذَلُ

فقال سليمـان والله لاتبرح حتى أقضى حوائجك كائنةً ما كانت ولولم أفدْ مما أنالَنى أمير المؤمنين الا شكرك لرأيتُ بذلك جنانى مُمْرعا وزَرْعى مُرْتعا ثم وقع له فى رقاع كثيرة كانت معه بجميع ما أرادَ

وقال أبو الطيّب يمدح أبا شُجاع فاتكاً

وكان يلقب بالمجنون

لاخيلَ عنــدَكَ تُهديها ولامالُ * فليُسعدِ النُطقُ ان لم تُسعدِ الحالُ

واجْزِ الاميرَ الذى نُعماهُ فاجئــةٌ * بغير قولٍ ونُعمَى النـاسِ أقوالُ

فربمـا جَزَتِ الاحسـانَ مُوليَــه * خريدةٌ من عَذَارى الحىِّ مِكْسالُ

وان تكن مُحكَماتُ الشكلِ تمنعنى * ظهورَ جَرْىٍ فلى فيهنّ تَصْهالُ

وما شكَرْتُ لأنّ المالَ فرّحنى * سيّان عندىَ اكثارٌ وإقلالُ

لكن رأيتُ قبيحًـا أن يُجادلنـا * وأننـا بقضـاء الحـقّ بُخّالُ

فكنتُ مُنْبتَ رَوْضِ الحَزْنِ باكَرَه * غيثٌ بغير سِباخ الارضِ هطّالُ

غيثٌ يُبَيِّــنُ للنُظّار موقعُـــه * أنّ الغُيوثَ بما تأتيــه جُهّالُ

لايُدرِكُ المجدَ الاّسيّدٌ فطنٌ * لما يَشُقّ على السّاداتِ فعّالُ

لا وارثٌ جهِلَتْ يُمناه ماوهبتْ * ولا كَسوبٌ بغير السيفِ سَئّالُ

قال الزمانُ له قولا فأفهَمَــه * أنّ الزمانَ على الامساكِ عَذّالُ

تدرى القناةُ اذا اهتزّت براحته * أنّ الشقيّ بها خيلٌ وأبطال
كفاتكٍ ودخول الكاف منقصة * كالشمس قلتُ وماللشمس أمثال
القائدُ الأسدَ غذّتها براثنه * بمثلها من عداه وهى أشبال
القاتلِ السيفَ فى جسم القتيل به * وللسيوف كما للناس آجالُ
تغير عنه على الغارات هيبته * وماله بأقاصى البرّ أهمال
له من الوحش مااختارت أسنّته * عيرٌ وهيقٌ وخنساءُ وذيّال
تمسى الضيوفُ مشهّاةً بعقوته * كأن أوقاتها فى الطيب آصال
لواشتهت لحمَ قاريها لبادرها * خراذلٌ منه فى الشيزى وأوصال
لايعرفَ الرزءَ فى مالٍ ولاولدٍ * الا اذا احتفز الضيفانَ ترحال
يروى صدى الارض من فضلات ماشربوا
محضُ اللقاح وصافى اللون سلسال
تقرى صوارمُه الساعاتِ عَبطَ دمٍ * كأنما الساعُ نزّالٌ وقفّال
تجرى النفوس حواليه مخلّطةً * منها عداةٌ وأغنامٌ وآبالُ
لايُحرم البعدُ أهلَ البعد نائلَه * وغيرُ عاجزةٍ عنه الأطيفال
أمضى الفريقين فى أقرانه ظُبةً * والبيضُ هاديةٌ والسمرُ ضُلّال
يريكَ مخبرُه أضعافَ منظره * بين الرجال وفيها الماء والآل
وقد يلقّبه المجنونَ حاسدُه * اذا اختلطنَ وبعضُ العقل عُقّال

يَرْمى بها الجيشَ لابُدَّ لَهُ ولها * من شَقِّه ولوأنَّ الجيشَ أجبال
اذا العدَى نَشِبَت فيهم مَخالبُه * لم يَجْتَمِع لهم حِلْمٌ ورِيبال
يروعهم منه دهرٌ صَرْفُه أبداً * مُجاهرٌ وصُروف الدهر تغتال
أناله الشرفَ الأعلى تَقَدُّمه * فَمَا الذى بِتَوقِّى ما أتَى نَالُوا
اذا المُلوكُ تَحلَّت كان حِليَتُه * مُهَنَّدٌ وأصَمُّ الكعب عَسَّال
أبو شجاع أبو الشُّجعان قاطبةً * هَولٌ نمَتْه من الهَيجاء أهوال
تملَّكَ الحمدَ حتى ما لمُفْتَخِر * فى الحمد حاءٌ ولا ميمٌ ولا دال
عليه منه سرابيلٌ مُضاعفةٌ * وقد كفاه من الماذىّ سِرْبال
وكيف أسْتُرُ ما أولَيْتَ من حَسَنٍ * وقد غمرتَ نَوَالا أيُّها النَّال
لَطَّفْتَ رأيَكَ فى بِرِّى وتكرمتى * انّ الكريم على العَلْياء يَحْتال
حتى غدوتَ وللاخبار تَجْوال * وللكواكب فى كفيك آمال
وقد أطالَ ثَنَائى طُولُ لابسه * انّ الثناء على التِنْبال تِنْبال
ان كنتَ تَكْبُرُ أن تَختال فى بَشَرٍ * فانّ قدرك فى الأقدار يختال
كأنّ نفسكَ لا تَرْضاكَ صاحِبَها * الا وأنتَ على المفضال مفضال
ولا تَعُدُّكَ صَوّانا لمهجتها * الا وأنت لها فى الرَّوْع بَذّال
لولا المَشَقّة ساد الناسُ كلُّهم * الجودُ يُفْقر والاقدام قَتّال
وانما يَبْلغ الانسانُ طاقته * ما كُلُّ ماشيةٍ بالرَّحْل شِمْلال

انّا لفى زمن تركُ القبيح به * من أكثر الناس احسان واجمال
ذِكْرُ الفتى عمرُه الثانى وحاجتُه * ماقاتَهُ وفُضولُ العَيش أشغال

قال أبو الطيب المتنبي يرثي أبا شجاع فاتكا

الحُزن يُقلق والتجمّلُ يردَعُ * والدمع بينهما عَصِيٌّ طيِّع
يتنازعان دُموعَ عينِ مُسَهَّدٍ * هذا يجيء بها وهذا يرجع
النوم بعد أبي شُجاع نافرٌ * والليلُ مُعْيٍ والكواكب ظُلَّع
إني لأجْبُنُ من فراق أحبتي * وتُحس نفسي بالحِمام فأشجُع
ويزيدني غَضَب الأعادي قسوةً * ويلمّ بي عَتْب الصديق فأجزَع
تَصْفو الحياةُ لجاهلٍ أو غافلٍ * عما مضى منها وما يُتَوقّع
ولِمَن يُغالط في الحقائق نفسَه * ويَسومُها طَلَبَ المُحال فتَطمَع
أين الذى الهَرَمان من بُنيانه * ما قومهُ ما يومُهُ ما المَصْرع
تتخلّف الآثار عن أصحابها * حِيْنًا ويُدرِكُها الفناء فتتبَع
لم يرضَ قلبَ أبي شجاع مبلغٌ * قبلَ المماتِ ولم يَسَعْهُ موضع
كنّا نظنُّ دياره مملوءةً * ذهبًا فماتَ وكلُّ دارٍ بلقَع
وإذا المكارم والصوارم والقنا * وبناتُ أعْوَجَ كلُّ شيءٍ يجمع
المجدُ أخسرُ والمكارم صَفقةً * من أن يَعيش بها الكريم الأروع
والناسُ أنزلُ في زمانك منزلا * من أن تُعايشَهم وقدرُك أرفع

بَرْدُ حشاىَ ان استطعتَ بلفظة * فلقـــد تَضُرّ اذا تشاء وتنفع

ما كان منكَ الى خليـــل قبلها * ما يُسْتراب به ولا ما يُوجـــع

ولقـــد أراك وما تُلِمّ مُلمّـــةٌ * الا نفاها عنـــك قلبٌ أصْمع

ويَدٌ كأنّ قتالَها ونوالَهـا * فرضٌ يَحُقّ عليـــك وهو تبرّع

يامَن يُبَـــدِّل كل يوم حُـــلّةً * أنَّى رضيتَ بحُـــلّة لا تُنْزَع

مازلتَ تخلَعُها على مَن شاءها * حتى لبستَ اليومَ مالا تخلَع

مازلتَ تَدفَع كل أمرٍ فادحٍ * حتى أتى الامرُ الذى لا يُدْفَع

فظلِلْتَ تنظر لارماحُكَ شُرَّعٌ * فيما عَراكَ ولا سُيوفُكَ قُطَّع

بأبى الوحيـــدَ وجيشُه متكاثرٌ * يَبكى ومن شَرّ السلاح الأَدْمُع

واذا حَصَلْتَ من السلاح على البُكا * فحَشاكَ رُعْتَ به وخَدّكَ تَقرَع

وصَلَتْ اليكَ يدٌ سَواءٌ عنـدها * ألبازُ الأَشْهبُ والغرابُ الأبقع

مَن للمحافل والجحافل والسُّرَى * فقـــدَتْ بفقـــدكَ نيّرًا لا يَطلُع

ومَنِ اتخذتَ على الضّيوف خليفةً * ضاعوا ومثلُكَ لا يَكاد يُضيّع

قُبْحًا لوجهـــكَ يازمانُ فانه * وجـــهٌ له من كل لُؤْم بُرْقُع

أيموت مثـــلُ أبى شُجاعٍ فاتكٌ * ويَعيش حاسدُه الخَصِىُّ الأَوْكَع

أيدٌ مُقطَّعـــةٌ حوالَىْ رأســـه * وقفًا يَصيح بها ألا مَن يَصفَع

أبقيتَ أكْذَبَ كاذبٍ أبقيتَـــه * وأخذتَ أصدقَ مَن يقول ويَسمع

وتركتَ أنتنَ ريحَــة مذمومة * وسلبتَ أطيبَ ريحــة تتَضَوّع

فاليومَ قرَّ لكل وحْش نافــرٍ * دَمُه وكان كأنه يتطلّع

وتصالحتْ ثمرُ السياط وخيلُه * وأوتْ اليهـا سُوقُها والأذْرُع

وعَفا الطراد فلا سنانٌ راعفٌ * فوق القَناة ولاحُسامٌ يلمــع

ولّى وكلُّ مُخَــالمٍ ومُنَــادمٍ * بعــد اللزوم مُشَيِّعٌ ومودِّع

مَن كان فيــه لكل قوم ملجأً * ولســيفه فى كل قوم مَرْتَع

إن حلَّ فى فُرْسٍ ففيها ربُّها * كسْرَى تَذلّ له الرقابُ وتخضع

أو حَــلّ فى رومٍ ففيها قيصرٌ * أو حــل فى عُرْبٍ ففيها تُبَّع

قد كان أسرعَ فارس فى طعنة * فرسًا ولكنّ المنيّــة أسرع

لاقلّبتْ أيدى الفوارس بعدَه * رُمحًا ولا حملتْ جوادا أربَع

وللمتنبي يمدح سيف الدولة ويذكر بناءَ قلعة الحدَث

على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قــدر الكرام المكارم

ويَعظُم فى عين الصــغير صغارُها * وتصــغُر فى عين العظيم العظائم

يُكلف سيفُ الدولة الجيشَ همَّه * وقد عَجَزَت عنه الجُيوش الخضارم

ويَطْلُب عند الناس ماعند نفسه * وذلكَ مالا تدّعيــه الضَــراغم

يُفَدّى أتَمُّ الطَّــيرِ عمرًا ســلاحَه * نُسورُ المَلاَ أحــداثُها والقشاعمُ

وما ضَرّها خَلْقٌ بغَــير مَخالب * وقــد خُلقَت أســيافُه والقوائم

هل الحَـدَث الحمْراء تَعْرف لونَها * وتَعْـلَم أىُّ السَّاقيَيـن الغَمَائم
سَقَتْها الغَمامُ الغُرُّ قبـل نُزوله * فلما دنا منهـا سَقَتها الجماجم
بَنَاها فأعلَى والقَنـا تَقْرَع القنـا * ومَوْج المَنَايا حولَها مُتـلاطم
وكان بهـا مثْلُ الجُنون فأصبحتْ * ومن جُثَث القَتْلى عليها تمائم
طَرِيدةَ دَهْـر ساقَها فـرَدَدْتَهـا * على الدِّين بالخَطِّيِّ والدهـر راغم
تُفيتُ الليالى كلَّ شىءٍ أخـذتَه * وهُنَّ لمَا يأخُذْن منـك غَوارم
وكيف تُرَجِّى الرُّومُ والرُّوسُ هَدْمَها * وذا الطعـنُ آسـاسٌ لهـا ودعائم
وقـد حاكموهـا والمَنـايا حواكِمٌ * فما ماتَ مظلـوم ولاعاش ظـالم
أتوكَ يَجُرُّون الحـديدَ كأنَّهُـم * سَرَوْا بجيـاد مالَهُنَّ قـوائم
اذا بَرَقوا لم تُعرَف البيضُ منهـمُ * ثيابُهُـمُ مِن مثلها والعمائم
خميس بشَرْق الارض والغَرْب زَحْفه * وفى أُذُن الجـوزاء منـه زمازم
تَجَمَّع فيـه كلُّ لِسْنٍ وأُمَّــة * فما تُفْهِم الحُـدَّاثَ الا التراجم
فلله وقتٌ ذَوَّب الغـشَّ نارُهُ * فلم يَبْقَ الا صارمٌ أو ضُبارم
تقطَّـعَ مالاَيَقْطَع الدرعَ والقَنـا * وفرَّ من الابطال مَن لايُصـادم
وقَفْتَ وما فى المَوْت شَكٌّ لواقف * كأنك فى جَفْن الرَّدَى وهو نائم
تَمُرُّ بكَ الابطـال كَلْمَى هزيمـةً * ووجهُكَ وضَّـاح وثَغْرُكَ باسم
تجاوزتَ مقدار الشجاعة والنُّهَى * الى قول قـومٍ أنت بالغيب عالم

ضَمَمْتَ جَناحَيْهم على القلب ضَمَّةً * تَمُوتُ الخَوافى تحتها والقوادم
بضَرْبٍ أتى الهامات والنصرُ غائب * وصار الى اللَّبَّات والنصرُ قادم
حَقَرْتَ الرُدَيْنِيّات حتى طرحتَها * وحتى كأنَّ السيفَ للرمح شاتم
ومَن طلبَ الفتحَ الجليلَ فانما * مفاتيحُه البيضُ الخفافُ الصوارم
نثرتَهُمُ فوقَ الأُحَيْدِبِ نَثْرةً * كما نُثِرت فوقَ العَروسِ الدراهم
تَدُوسُ بك الخيلُ الوُكُورَ على الذُّرَى * وقد كَثُرَتْ حولَ الوُكُورِ المَطاعم
تَظُنُّ فِراخُ الفُتْخِ أنكَ زُرْتَها * بأُمّاتِها وهى العِتاقُ الصَّلادم
اذا زَلِقَتْ مَشَّيْتَها ببطونها * كما تَتَمَشّى فى الصَّعيدِ الأَراقم
أفى كل يوم ذا الدُّمُسْتُقُ مُقْدِمٌ * قَفاهُ على الاقدامِ للوجهِ لائم
أَيُنْكِرُ ريحَ الليثِ حتى يَذُوقَه * وقد عَرَفَتْ ريحَ الليوثِ البهائم
وقد فَجَعَتْه بابنِه وابنِ صهرِه * وبالصِّهرِ حَمْلاتُ الأميرِ الغواشم
مَضَى يشكُرُ الاصحابَ فى فَوْتِه الظُّبا * بما شَغَلَتْها هامُهُم والمَعاصم
ويَفْهَمُ صوتَ المَشْرَفِيّةِ فيهمُ * على أنَّ اصواتَ السُّيوفِ أعاجم
يُسَرُّ بما أعطاكَ لا عن جَهالةٍ * ولكنَّ مَغْنوماً نَجا منكَ غانم
لكَ الحمدُ فى الدُّرِّ الذى لىَ لَفْظُه * فانكَ مُعْطيهِ وانىَ ناظم
وانى لَتَعْدُو بى عطاياكَ فى الوَغَى * فلا أنا مذمومٌ ولا أنتَ نادم
على كلِّ طيّارٍ اليها برِجْلِه * اذا وَقَعَتْ فى مِسْمَعَيْهِ الغماغم

ألا أيها السيف الذى لسبتَ مُغمَداً * ولا فيكَ مُرْتابٌ ولا مثلكَ عاصِم

هنيئاً لضرب الهام والمجد والعُلا * وراجيكَ والاسـلام أنكَ سالم

ولِمْ لا يَقِي الرحمنُ حَدَّيكَ ماوَقَى * وتَفْليقُــه هامَ العدَى بكَ دائم

بعض حكم المتنبي

ذَلَّ مَن يَغْبطُ الذليلَ بعيْشٍ * رُبَّ عيشٍ أخَفُّ منه الحِمام

كل حلْمٍ أتى بغير اقتدار * حُجَّةٌ لاجئٌ اليها اللئام

مَن يَهُن يَسهُل الهوانُ عليه * ما لجُرحٍ بميِّتٍ ايلام

وقال أيضا

أفاضِلُ الناسِ أغراضٌ لذا الزَمن * يَخلو من الهَمّ أخلاهُم من الفِطَن

وقال أيضا

واذا أتتْكَ مَذَمّتى من ناقص * فهي الشهادةُ لى بأنّى كامل

وقال أيضا

ومَن يُنفِق الساعاتِ فى جَمع ماله * مخافةَ فَقْرٍ فالذى فَعَل الفقر

وقال أيضا

ومن نَكَدِ الدنيا على الحرّ أن يرَى * عَدُوّاً له ما من صَداقته بُدّ

وأُكبِرُ نفسى عن جَزاء بغِيبة * وكلّ اغتياب جُهْدُ مَن لاله جُهد

وقال أيضا

من الحلم أن تستعمل الجهل دونه * اذا اتسعت فى الحلم طرق المظالم

وقال أيضا

اذا لم تكن نفس النسيب كأصله * فماذا الذى تغنى كرام المناصب

وقال أيضا

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبى ويهرم
ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله * وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم
لايسلم الشرف الرفيع من الأذى * حتى يراق على جوانبه الدم
والظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم
ومن البلية عذل من لايرعوى * عن جهله وخطاب من لايفهم
والذل يظهر فى الذليل مودة * وأود منه لمن يود الأرقم
ومن العداوة ماينالك نفعه * ومن الصداقة مايضر ويؤلم

وقال أيضا

يرى الجبناء أن العجز عقل * وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة فى المرء تغنى * ولا مثل الشجاعة فى حكيم
وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم

وقال أيضا

والأسى قبل فرقة الروح عجز * والاسى لا يكون بعد الفراق

والغـنى فى يد اللئيم قبيحٌ * قَدْرَ قُبْحِ الكريم فى الاملاق

وقال أيضا

واذا كانت النُفوس كِبارًا * تَعِبَتْ فى مُرادِها الاجسام

وقال أيضا

ولو كان النساء كمَنْ فَقَــدْنا * لَفُضِّلَتْ النساءُ على الرجال
وما التأنيث لاسمِ الشمس عَيْبٌ * ولا التذكيرُ فخــرٌ للهــلال
فان تَفُق الانامَ وأنت منهـم * فانّ المسكَ بعضُ دم الغزال

وقال أيضا

مَن كان فوقَ محل الشمس موضعُه * فليس يَرْفَعــه شئٌ ولا يَضَــع
فقــد يُظَنّ شُجاعا مَن به خَرَقٌ * وقــد يُظَنّ جبانًا مَن به زَمَع
انّ الســلاحَ جميعُ الناس تحمله * وليس كلُّ ذوات المِخْلَب السبُع

وقال أيضا

وما الخوْف الا ما تَخَوّفَه الفتى * ولا الأَمْن الا ماراٰه الفتى أمْنا

وقال أيضا

وحيدٌ من الخلّان فى كل بلدة * اذا عظُم المطلوبُ قلّ المساعد
بذا قضت الايام مابين أهلهـا * مصـائب قوم عند قوم فوائد

* وقال أيضا

وفى تعب من يحسد الشمس ضوءها * ويجهد أن يأتى لها بضريب

وقال أيضا

ومن صحب الدنيا قليلا تقلبت * على عينه حتى يرى صدقها كذبا
ومن تكن الأسد الضوارى جدوده * يكن ليله صبحا ومطعمه غصبا

وقال أيضا

أعيذها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره * اذا استوت عنده الانوار والظلم
اذا رأيت نيوب الليث بارزة * فلا تظنن أن الليث يبتسم
وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة * ان المعارف فى أهل النهى ذمم
شر البلاد مكان لا صديق به * وشر ما يكسب الانسان ما يصم
وشر ما قنصته راحتى قنص * شهب البزاة سواء فيه والرخم

وقال أيضا

لعل عتبك محمود عواقبه * وربما صحت الاجسام بالعلل
لان حلمك حلم لا تكلفه * ليس التكحل فى العينين كالكحل

وقال أيضا

وليس يصح فى الافهام شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

وقال أيضا

وما كمد الحساد شيء قصدته * ولكنه من يزحم البحر يغرق

واطراق طرف العين ليس بنافع * اذا كان طرف القلب ليس بمطرق

وقال أيضا

أبذري ما لرابك من ريب * وهل ترقى الى الفلك الخطوب

وقال أيضا

وما قتل الاحرار كالعفو عنهم * ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلى * مضر كوضع السيف فى موضع الندى

وقال أيضا

وأتعب من ناداك من لا تجيبه * وأغيظ من عاداك من لا تشاكل

وقال أيضا

على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم

وقال أيضا

وما الحسن فى وجه الفتى شرفا له * اذا لم يكن فى فعله والخلائق

وما بلد الانسان غير الموافق * ولا أهله الأدنون غير الاصادق

وقال أيضا

واذا لم تجد من الناس كفوا * ذات خدر تمنت الموت بعلا

واذا الشـيخ قال أُفّ فما مَـــلّ حياةً وانما الضَعْف مَــلّا
آلةُ العَيش صحّـــةٌ وشبابٌ * فاذا ولّيـــا عن المـــرء ولّى

وقال أيضا

واذا ما خلا الجبـــان بأرض * طلب الطعنَ وحْـدَه والنزالا
مَن أراد التماسَ شئٍ غــلاّبا * واغْتصابا لم يلتمسْه سُـــؤالا
كلُّ غادٍ لحاجَـــة يتمنى * أن يكون الغضـــنفرَ الرِّئْبالا

وقال أيضا

الرأىُ قبلَ شَجاعة الشُجعان * هو أولٌ وهى المحـــلّ الثانى
ولربما طَعَن الفـــتى أقرانَه * بالرأى قبل تَطاعُن الأقران
لولا العُقول لكان أدنى ضَيْغَم * أدنى الى شرف من الانسان

وقال أيضا

وعادَ فى طَلَب المَتْروك تاركُهُ * انا لَنَغْفُل والأيام فى الطلب
وما قَضَى أحدٌ منها لُبانَتَـــه * ولا انتهى أرَبٌ الا الى أرب
ومن تَفَكّر فى الدنيا ومُهجته * أقامَه الفكر بينَ العجْز والتعب

وقال أيضا

اذا كنتَ ترضَى أن تعيش بذلّة * فلا تَسْتَعِدّنّ الحسامَ اليمانيا
فما يَنْفع الأُسْدَ الحياءُ من الطوَى * ولا تُتَّقى حـــتى تكونَ ضواريا

اذا الجود لم يُرزق خلاصا من الأذى * فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا

وللنفس أخلاقٌ تدلّ على الفتى * أكان سخاء ما أتى أم تساخيا

وقال أيضا

فما الحـــداثة عن حلمٍ بمانعـة * قد يوجد الحلم فى الشبّان والشيب

وقال أيضا

وما الصارم الهندىّ الا كغيره * اذا لم يفارقه النجاد وغمـــده

وقال أيضا

اذا ساء فعلُ المرء ساءت ظنونُه * وصـدّق ما يعتـاده من توهّـم

وأحـــلمُ عن خلّى وأعـــلمُ أنه * متى أجزه حلما على الجهل يندم

لمن تطلب الدنيـا اذا لم ترد بها * ســـرور محبّ أو اساءة مجرم

وقال أيضا

انما تنجح المقـالة فى المـــرْ * ء اذا وافقت هوًى فى الفؤاد

وقال أيضا

وكلّ امرئ يولى الجميـل محبّبٌ * وكلّ مكان ينبت العـــزّ طيّبُ

ولو جازَ أن يحوُوا عُلاكَ وهبتَها * ولـكن من الاشياء ما ليس يوهب

وقال أيضا

ما كـــل ما يتمـنى المرءُ يدركُه * تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

وقال أيضا

غيرَ أن الفـتى يُلاقى المنـايا * كالحـات ولا يلاقى الهـوانا

واذا لم يكن من المـوت بُدٌّ * فمن العجـز أن تـكون جبانا

كل مالم يكن من الصَّعْب فى الأنـ * ـفُس سَـهْلٌ فيهـا اذا هو كانا

وقال أيضا

لولا المَشَقَّة ساد النـاسُ كلُّهم * الجود يُفْقر والإقــدام قتَّال

وقال أيضا

ولم أرَ فى عُيوب الناس شـيـأ * كنَقْص القـادرين على التمـام

وقال أيضا

وللسرّ منى موضـع لا يناله * نديمٌ ولا يُفْضى اليـه شرابُ

أعزّ مكان فى الدُّنا ظَهْر سابح * وخير جليس فى الزمان كتابُ

وقال أيضا

ومن جَهِلَتْ نفسُه قدرَه * رأى غيرُه منـه مالا يرى

وقال أيضا

أين الذى الهَرَمان من بُنيانه * ما قومُه ما يومُـه ما المصرَع

تتخلّف الآثار عن أصحابهـا * حينًا ويدركهـا الفناء فتتبَع

وقال أيضا

ولم تزل قلّة الانصاف قاطعةً * بين الانام ولو كانوا ذوى رَحِمِ

وقال أيضا

ذريني أنل ما لا ينال من العلى * فصعب العلى في الصعب والسهل في السهل
تريدين لقيان المعالي رخيصة * ولا بد دون الشهد من إبر النحل

قال أبو فراس الحمداني يصف قتال سيف الدولة لاهل قنسرين وقبائل العرب

ولما سار سيف الدين سرنا * كما هيجت آسادا غضابا
أسنته اذا لاقى طعانا * صوارمه اذا لاقى ضرابا
دعانا والأسنة مشرعات * فكنا عند دعوته الجوابا
صنائع فاق صانعها ففاقت * وغرس طاب غارسه فطابا
وكنا كالسهام اذا أصابت * مراميها فراميها أصابا
فلما اشتدت الهيجاء كنا * أشد مخالبا وأحد نابا
وأمنع جانبا وأعز جارا * وأوفى ذمة وأقل عابا
سقينا بالرماح بني قشير * ببطن العنتر السم المذابا
وسرنا بالخيول الى نمير * تجاذبنا أعنتها جذابا
ولما أيقنوا أن لا غياث * دعوه للمغوثة فاستجابا
وعاد الى الجميل لهم فعادوا * وقد مدوا لما يهوى الرقابا
أمر عليهم خوفا وأمنا * أذاقهم به أريا وصابا

أَحَلَّهُم الجزيرةَ بعد يأس * أَخُو حلم اذا ملَّ العقابا
ديارهم انتزعناها اقتسارا * وأرضُهُم اغتصبناها اغتصابا
ولو رُمْنا حميناها البوادى * كما تحمى أسودُ الغاب غابا
اذا ماأرسل الأُمَراءُ جيشا * الى الأعداء أرسلنا الكتابا
أنا ابنُ الضاربين الهامَ قِدْمًا * اذا كَرِه المُحامون الضرابا
ألم تعلَم ومثلُكَ قال حقا * بأنى كنتُ أثقبها شهابا

كتب أبو بكر الخوارزمى الى تلميذله قدظهر عليه الجُدَرى

وصلنى خبر الجُدَرى فنال منى وهَيَّج حَزَنى وراعَ قلبى وأسهر عينى وهذه العلّة وان كانت مُوجِعَه وفى رأى العَين فظيعة شنيعة فانها الى السلامة أقرب وطريقُها الى الحياة أقصد لأنّ عينَ الطبيب تقع عليها وظاهرُ الداء أسلم من باطنه وبارزُ الجُرْح أهون من كامنه ولعَمْرى أنها تورثُ سوادَ اللون وتَذْهَبُ من الوجه بديباجة الحُسْن ولكن ذلكَ يسيرٌ فى جنب السلامة للروح اللطيفة والنفس الشريفة ولستُ أستطيع لكَ غيرَ الدُّعاء لاأسأل صحّتَكَ الا ممن خَلَقَ علّتَكَ وأرى لكَ أن تُحْسن ظنَّكَ بربِّكَ وتستغفر من ذنبكَ وتجعل الصدقة شَفيعَكَ واليقين طبيبَكَ وتعلم أنه لاداءَ أدْوَأُ من أجَل ولا دواءَ أشفَى من مَهَل ولا فِرَاش أوطأُ من أمَل شَفاكَ الله تعالى وحَسْبُكَ به طبيبا *

المقامة الحرزية للبديع الهمذاني

حدثنا عيسى بنُ هشام قال لما بلَغَت بى الغُربة بابَ الأبواب ورضيت من الغنيمة بالاياب ودونه من البحر وثّاب بغاربه ومن السفن عسّاف براكبه استخرتُ الله فى القفول وقعدتُ من الفُلك بمثابة الهُلك ولما ملكنا البحر وجنّ علينا الليل غشيتنا سحابة تمدّ من الامطار حبالا وتحوذ من الغيم جبالا بريح ترسل الامواج أزواجا والامطار أفواجا وبقينا فى يد الحَيْن بين البحرين لا نملك عدة غير الدعاء ولا حيلة الا البكاء ولا عصمة غير الرجاء وطوينا ليلة نابغية وأصبحنا نتباكى ونتشاكى وفينا رجل لا يخضلّ جفنه ولا تبتلّ عينه رخىّ الصدر منشرحه نشيط القلب فرِحه فعجبنا والله كلّ العجب وقلنا له ما الذى آمنك من العطب فقال حرز لا يغرق صاحبه ولو شئتُ أن أمنح كلّا منكم حرزا لفعلت فكلّ رغب اليه وألحّ فى المسألة عليه فقال لن أفعل ذلك حتى يعطينى كلّ واحد منكم دينارا الآن ويعدنى دينارا اذا سلم قال عيسى بن هشام فنقدناه ماطلب ووعدناه ماخطب وآبت يده الى جيبه فأخرج قطعة ديباج فيها حقّة عاج قد ضمّن صدرها رقاعا وحذف كل واحد منا بواحدة منها فلما سلمت السفينة وأحلّتنا المدينة اقتضى الناس ماوعدوه فنقدوه وانتهى

الامرُ الىّ فقال دَعوه فقلتُ لهُ ذلكَ بعد أن تعافَى سرّ حالكَ قال أنا من بلاد الاسكندرية فقلت كيف نصرك الصبرُ وخذلنا فأنشأ يقول

وَيْكَ لولا الصبرُ ما كنـ * ـتُ ملأتُ الكيسَ تبرا
لن ينال المجدَ مَن ضا * ق بما يغشاه صَدْرا
ثم ما أعقبني السا * عةَ ما أعطيتُ ضُرّا
بل به أشتدُّ أزْرًا * وبه أجبُرُ كسرا
ولو انّي اليومَ في الغمْـ * ـرِ لما كُنْت عُذْرا

المقامة البشرية له

حدثنا عيسى بنُ هشام قال كان بشر بن عَوانة العَبدي صُعلوكا فأغار على رَكْب فيهم امرأةٌ جميلة فتزوج بها وقال ما رأيت كاليوم فقالت .

أعجبَ بشرًا حَوَرٌ في عيني * وساعدٌ أبيضُ كاللُّجين
ودونه مسرح طرف العين * خمصانةٌ ترفُل في حِجْلَين
أحسنُ مَن يمشي على رِجْلين * لو ضَمّ بشرٌ بينها وبيني
ادامَ هجرِي وأطال بيني * ولو يقيس زَيْنَها بِزَيْني
لأسفَرَ الصُّبحُ لذي عينين

قال بشر ويحك من عنيت فقالت بنت عمك فاطمة فقال أهي من الحسن بحيث وصفت قالت وأزيد وأكثر فأنشأ يقول

ويحك ياذات الثنايا البيض * ماخلتنى منك بمستعيض
فالآن اذ لوحت بالتعريض * خلوت جوا فاصفرى وبيضى
لاضم جفناى على تغميض * مالم أنل عرضى من الحضيض

فقالت كم خاطب فى أمرها ألحا * وهى اليك ابنة عم لحا

ثم أرسل الى عمه يخطب ابنته ومنعه العم أمنيته فآلى ألا يرعى على أحد منهم ان لم يزوجه ابنته ثم كثرت مضراته فيهم واتصلت معراته اليهم فاجتمع رجال الحى الى عمه وقالوا كف عنا مجنونك فقال لاتلبسونى عارا وامهلونى حتى أهلكه ببعض الحيل فقالوا أنت وذاك ثم قال له عمه انى آليت أن لا أزوج ابنتى هذه الا ممن يسوق اليها ألف ناقة مهرا ولا أرضاها الا من نوق خزاعة وغرض العم كان أن يسلك بشر الطريق بينه وبين خزاعة فيفترسه الاسد لأن العرب قد كانت تحامت عن ذلك الطريق وكان فيه أسد يسمى داذا وحية تدعى شجاعا يقول فيهما قائلهم

أفتك من داذ ومن شجاع * ان يك داذ سيد السباع
* فانها سيدة الافاعى *

ثم انّ بِشْرًا سلكَ ذلك الطريق فما نَصفه حتى لقي الأسد وقَصَ مُهْرَه فنزل وعَقره ثم اخْتَرَطَ سيفه الى الاسد واعترضه وقطّه ثم كتب بدم الاسد على قميصه الى ابنة عمّه

أفاطمُ لو شهدتِ ببطنِ خَبْتٍ * وقد لاقى الهِزَبْرُ أخاكِ بِشْرا

اذًا لرأيْتِ ليثًا زارَ ليثًا * هِزَبْرًا أغْلَبًا لاقى هِزَبْرا

تبَهْنَسَ حين أحجم عنه مُهري * مُحاذرةً فقلتُ عُقِرْتَ مُهرا

أنِلْ قدَميَّ ظهْرَ الارض انى * رأيتُ الارضَ أثبتَ منكَ ظَهرا

وقلتُ له وقد أبدى نصالا * مُحدَّدةً ووَجْهًا مُكْفَهِرّا

يُكَفْكِفُ غيلةً احدى يديه * ويَبْسُطُ للوثوبِ على أُخرى

يُدِلُّ بمخلَبٍ وبحدِّ ناب * وباللحظاتِ تَحْسَبُهُنَّ جَمْرا

وفي يُمناىَ ماضي الحدِّ أبقَى * بمَضْرِبه قِراعُ الموت أُثْرا

ألم يبلُغْكَ ما فعلَتْ ظُباه * بكاظمةَ غداةَ لقيتُ عَمْرا

وقلبي مثلُ قلبكَ ليس يَخشى * مُصاولةً فكيف يخافُ ذُعْرا

وأنتَ تَرومُ للاشبالِ قُوتًا * وأطلبُ لابنةِ الأعمامِ مَهرا

ففيمَ تَسومُ مثلي أن يُولّي * ويجعلَ في يديْكَ النفسَ قَسْرا

نصحتُكَ فالتمسْ ياليثُ غيري * طَعاما إنّ لحمي كان مُرّا

فلما ظنّ أنّ الغشَّ نُصحي * وخالفني كأني قلتُ هُجْرا

مَشَى ومَشَيْتُ من أسَدَيْنِ رَاما * مَرَامًا كان اذ طَلَبَاه وَعْرا
هَزَزْتُ له الحُسامَ فَخِلْتُ أنى * سَلَلْتُ به لدَى الظَّلْماء فَجْرا
وجُدْتُ له بجائشَـــةٍ أرَتْه * بأن كَذَبَتْـــه مامَنَّتْه غَـدْرا
وأطلقتُ المُهَنَّـــد من يمينى * فَقَدَّ له من الاضـلاع عَشْرا
فَخَـــرَّ مُجَدَّلًا بدَمٍ كأنى * هَـــدَمْتُ به بناءً مُشْمَخِرّا
وقلت له يَعِـــــزُّ علىَّ أنى * قتلتُ مُناسِبى جَلَدًا وفَخْرا
ولكن رُمْتَ شـــيأً لم يَرُمْـه * سواكَ فلم أُطِقْ ياليثُ صبـرا
تُحاوِلُ أن تُعَلِّمَنِى فـــرارًا * لَعَمْـر أبيـكَ قد حاولْتَ نُكْرا
فلا تجزع فقـــد لاقيتَ حُرًّا * يُحاذِر أن يُعابَ فَمُتَّ حُـــرًّا

فلما بلغت الابياتُ عَمّه نَدم على مامنعه تزويجها وخشى أن تغتاله الحيّة فقام فى أثَره وبَلَغه وقد مَلَكَتْه سَوْرَة الحيّة فلما رأى عمّه أخذته حَمِيّة الجاهلية فجعل يده فى فَم الحية وحكّم سيفَه فيها فقال

بِشْرٌ الى المجد بعيدٌ هَمُّهْ * لما رآه بالعَـــراء عَمُّـهُ
قد ثكلتْه نفسُـــه وأُمُّهُ * جاشَتْ به جائشةٌ تُهِمُّه
قامَ الى ابنِ للفَـلا يَؤُمُّهُ * فغابَ فيـــه يَدُهُ وكُمُّه
ونفسُه نفسى وسُمِّى سُمُّه

فلما قتل الحَيَّـةَ قال عمّه انى عَرَّضْتُكَ طَمَعًا فى أمرٍ قد ثَنَى اللهُ

عنانى عنـه فارجع لأزوّجكَ ابنتى فلما رجع جعل بِشْرٌ يملأ فمه نخرا حتى طلع أمْرَدُ كشق القمر على فرسه مُدَجَّجًا فى سلاحه فقال بِشْرٌ ياعمّ انى أسمع حسّ صيد وخرج فاذا بغلام على قَيْد فقال ثكلتك أمّكَ يابِشْر أن قتلتَ دودةً وبهيمةً تملأُ ماضغيكَ نخرًا أنتَ فى أمانٍ إن سلّمتَ عمّكَ فقال بشرٌ مَن أنت لا أمّ لكَ قال اليومُ الأسود والموتُ الأحمر فقال بشر ثكلتكَ مَن سلحتكَ فقال يابشر ومَن سلحتكَ وكرّ كلٌّ واحد منهما على صاحبه فلم يتمكن بشرٌ منه وأمكن الغلامَ عشرون طعنةً فى كُليَة بشر كلما مسّه شبا السنان حماه عن بدنه إبقاءً عليه ثم قال يابشر كيف ترى أليس لو أردتُ لأطعمتُكَ أنيابَ الرمح ثم ألقى رُمحه واستلّ سيفَه فضرب بشرًا عشرين ضربة بعرْض السيف ولم يتمكن بشْرٌ من واحدة ثم قال يابشر سلّم عمّكَ واذهب فى أمان قال نعم ولكن بشريطة أن تقول لى من أنت فقال أنا ابنُكَ فقال ياسبحان الله ماقاربْتُ عقيلةً قط فأنّى هذه المحنة فقال أنا ابن المرأة التى دلّتكَ على ابنة عمكَ فقال بشر

تلكَ العصا من هذه العُصَيّه * هـل تلد الحيّــةُ الا الحيّه

وحلفَ لاركب حصانًا ولا تزوّج حصانًا ثم زوّج ابنة عمه لابنه

آداب الصداقة لابن مسكويه

يجب عليكَ متى حصل لكَ صَديقٌ أن تُكْثِر مُراعاته وتُبالغ في تفقّده ولا تَستهين باليَسـير من حقّه عند مُهمّ يعرض له أو حادث يَحْدُث به فأما في أوقات الرخاء فينبغي أن تلْقاه بالوجه الطَلْق والخُلُق الرَحْب وأن تُظْهِر له في عينكَ وحركاتكَ وفي هَشاشـتكَ وارتياحكَ عند مُشاهدته اياكَ ما يَزْداد به في كلّ يوم وكل حال ثقـةً بمودّتكَ وسُكونا اليكَ ويَرى السرور في جميع أعضائكَ التي يظهر السرور فيها اذا لَقيَكَ فانّ التحقّق الشـديد عنـد طَلْعة الصَديق لا يَخْفَى وسُرور الشكل بالشكل أمْرٌ غير مُشْكِل ثم ينبغي أن تَفْعل مثـل ذلكَ بمن تَعْـلَم أنه يُؤْثِره ويُحبّه من صـديقٍ أو وَلَدٍ أو تابعٍ أو حاشيةٍ وتُثْني عليهم من غير اسراف يَخْرج بكَ الى المَلَق الذي يَمْقُتُكَ عليـه ويَظْهَر له منكَ تَكَلُّف فيـه وانما يتم لكَ ذلكَ اذا تَوَاخَيْتَ الصّدق في كل ماتُثْني به عليه والزَم هذه الطريقة حتى لا يَقَع منكَ تَوانٍ فيها بوجه من الوجوه وفي حال من الاحوال فان ذلكَ يَجْلُب المحبة الخالصـة ويُكْسِب الثقة التامّة ويُهديكَ مَحَبّة الغُرباء ومَن لا معرفة لكَ به وكما أنّ الحَمام اذا ألِفَ بُيُوتَنا وآنَسَ لمجالسنا وطاف بها يَجْلُب لنا أشكاله وأمثاله فكذلكَ حالُ الانسان اذا عرفَنا واختلط بنا اختلاط الراغب فينا الآنس بنا بل يزيد على الحيوان الغيْر الناطق

بحُسْن الوَصْف وجميل الثناء ونَشْر المحاسن واعلم أنّ مُشاركة الصَديق في السَّرّاء اذا كنت فيها وان كانت واجبةً عليك حتى لاتستأثرها ولا تختص بشئ منها فانّ مُشاركتَه في الضَّرّاء أوجب وموقعها عنده أعظم وانظر عند ذلك إن أصابتّه نَكْبة أو لحقتْه مُصيبة أو عثَر به الدهر كيف تكون مُواساتُك له بنفسك ومالك وكيف يظهر له تفقُّدُك ومراعاتك ولا تنتظرنّ به أن يسألَك تصريحا أو تعريضا بل اطّلعْ على قلبه واسْبق الى مافي نفسه وشاركْه في مَضَض مالحقه ليَخفّ عنه وان بلغتَ مرتبةً من السلطان والغنَى فاغْمس اخوانَك فيها من غير امتنان ولا تطاوُل وان رأيتَ من بعضهم نُبُوًّا عنك أو نُقصانا مما عهدتَه فداخِلْه زيادةَ مُداخلة واختلط به واجتذبه اليك فانك ان أنفتَ من ذلك أو تداخَلَك شئ من الكِبْر والصَّلَف عليهم انتقض حَبْلُ المودة وانتكثتْ قوتُه ومع ذلك فلستَ تأمَنُ أن يزولوا عنك فتستحي منهم وتُضْطرّ الى قطيعتهم حتى لاتنظر اليهم ثم حافظْ على هذه الشروط بالمداومة عليها لتَبْقَى المودّة على حال واحدة وليس هذا الشرط خاصًّا بالمودّة بل هو مُطّرد في كل ماتُحَصّلُ أعني أن مَركوبك وملبوسك ومنزلك متى لم تُراعها مراعاةً متصلةً فسدت وانتقضت فاذا كانت صورة حائطك وسُطوحك كذلك ومتى غَفَلْتَ أو توانيتَ لم تأمن تَقوُّضَه وتهدُّمَه فكيف ترى أن

تحفو من ترجوه لكل خير وتنتظر مشاركته فى السراء والضراء ومع ذلك فان ضرر تلك يختص بك بمنفعة واحدة وأما صديقك فوجوه الضرر التى تدخل عليك بجفائه وانتقاض مودته كثيرة عظيمة ذلك أنه ينقلب عدوا وتتحول منافعه مضار فلا تأمن غوائله وعداوته مع عدمك الرغائب والمنافع به وينقطع رجاؤك فيما لا تجد له خلفا ولا تستفيد عنه عوضا ولا يسد مسده شئ واذا راعيت شروطه وحافظت عليها بالمداومة أمنت جميع ذلك ثم احذر المراء معه خاصة وان كان واجبا أن تحذره مع كل أحد فان مماراة الصديق تقتلع المودة من أصلها لأنها سبب الاختلاف والاختلاف سبب التباين الذى هربنا منه الى ضده وقبحنا أثره واخترنا عليه الألفة التى طلبناها وأثنينا عليها وقلنا ان الله عز وجل دعا اليها بالشريعة القويمة وانى لأعرف من يؤثر المراء ويزعم أنه يقدح خاطره ويشحذ ذهنه ويثير شكوكه فهو يتعمد فى المحافل التى تجمع رؤساء أهل النظر ومتعاطى العلوم مماراة صديقه ويخرج فى كلامه معه الى ألفاظ الجهال من العامة وسقاطهم ليزيد فى خجل صديقه وليظهر تبلجه وليس يفعل ذلك عند خلوته به ومذاكرته له وانما يفعله حين يظن به أنه أدق نظرا أو أحضر حجة وأغزر علما وأحد قريحة فما كنت أشبهه الا بأهل البغى وجبابرة أصحاب الاموال والمتشبهين بهم من أهل البدع

فان هؤلاء يستحقر بعضُهم بعضا ولا يزال يُصَغِّر بصاحبه ويزدرى على مُرُوءته ويتطلّبُ عيوبَه ويتتبّع عثراته ويُبالِغ كلٌّ واحد فيما يقدر عليه من اساءة صاحبه حتى يؤدّى بهم الحال الى العداوة التامة التى يكون معها السعاية وازالة النعَم وتجاوز ذلك الى سَفْك الدَّم وأنواع الشُرور فكيف يثبُتُ مع المِراء محبةٌ ويُرجَى به أُلْفة ثم احْذَر فى صَديقك ان كنتَ متحققا بعلمٍ أو مُتَحَلّيا بأدب أن تبخَل عليه بذلك الفنّ أو يرى فيك أنكَ تُحبّ الاستبدادَ دونَه والاستئثار عليه فانّ أهل العـلم لايرَى بعضُهم فى بعض مايراه أهلُ الدُّنيا بينَهم ذلكَ أنّ مَتاع الدنيا قليل فاذا تزَاحَم عليـه قومٌ ثلَم بعضُهم حالَ بعض ونَقص حَظّ كل واحد من حظ الآخَر وأما العلم فانه بالضدّ وليس أحد ينقُص منـه مايأخُذه غيرُه بل يزْكو على النفقة ويَربُو مع الصداقة ويَزيد على الانفاق وكثرة الخَرْج فاذا بَخِل صاحب علمٍ بعلمه فانما ذلكَ لاحوالٍ فيه كلُّها قبيحة وهى أنه إمّا أن يكونَ قليلَ البضاعة منه فهو يَخاف أن يفْنَى ماعنده أو يَرِد عليه مالَا يعرفه فيزول تَشَرّفه عنـد الجُهّال واما أنْ يكون مكتسبا به فهو يَخْشَى أن يَضيق مكسبُه به ويَنْقُص حَظّه منه واما أن يكون حَسودا والحسود بعيدٌ من كل فَضيلة لايَوَدّه أحدٌ وانى لاعرف مَن لايرْضَى بأن يَبْخَل بعلم نفسه حتى يَبْخَل بعلم غيره ويُكْثِر عَتْبَه وسَخَطه على مَن

لايُفيد غيرَه من التلاميذ المستحقين لفائدة العلم وكثيرا مايتوصل البعضُ الى أخذ الكتُب من أصحابها ثم مَنْعهم منها وهـذا خُلُق لاتبقى معه مودّة بل يَجلُبُ الى صاحبه عَداوات لايَحْسَبُها ويَقْطَع أطْماعَ اصدقائه من صَـداقته ثم احْذَرْ أن تَنبَسط بأصحابك ومَن يَخْلُوبك من أتباعك وتَحْمل أحدا منهم على ذكْر شئ فى نفسـه ولا تُرَخّص فى عَيْب شى يَتّصل به فَضْـلا عن عَيْبه ولا يَطْمَعَنّ أحدٌ فى ذلك من أُولى أنْسـابك والمُتّصلين بك لا جدًّا ولا هَزْلا وكيف تَحْتَمل ذلك فيه وأنتَ عَيْنُه وقلبُه وخليفتُـه على الناس كلهم بل أنتَ هو فانه ان بَلَغَه شئ مما حَذّرْتُك منه لم يَشُكّ أنّ ذلك كان عن رأيك وهَواك فَينْقَلب عَدُوّا ويَنْفر عنك نُفور الضّدّ فان عرفتَ منـه أنتَ عَيْبًا فوافِقْه عليه مُوافقةً لطيفةً ليس فيها غِلْظة فانّ الطّبيب الرفيق ربمـا يَبلُغ بالدواء اللطيف ما يَبْلُغـه غيرُه بالشّق والقطع والكَيّ بل ربمـا توَصّل بالغذاء الى الشفاء واكتفى به عن المعالجة بالدواء ولستُ أُحبّ أن تُغْضى عمـا تَعْرفه فى صَديقك وأن تترك موافقتَه عليه بهذا الضّرْب من الموافقة فانّ ذلك خيانة منك ومُسامحة فيما يعود ضَرَرُه عليـه ثم احْذَر النّميمة وسَماعَها وذلك أنّ الاشرار يَدْخُلون بين الاخيـار فى صورة النُّصَحاء فيوهمونَهُـم النصيحة ويَنقُلون اليهم فى عُرْض الاحاديث اللذيذة أخبـار أصدقائهم مُحَرّفةً مُمَوّهة حتى

اذا تجاسروا عليهم بالحديث المُختَلَق يُصَرّحون لهم بما يُفْسد موداتهم ويُشَوّه وجوهَ أصدقائهم الى أن يُبْغض بعضُهم بعضا وللقُدَماء فى هذا المعنى كُتُبٌ مؤلَّفَة يُحَذّرون فيها من النميمة ويُشَبّهون صورةَ النَّمام بمَن يَحُكّ باظافيره أصولَ البُنْيان القوية حتى يُؤَثّر فيها ثم لايزال يَزيد ويُمْعن حتى يُدْخل فيها المِعْوَل فيَقْلَعَه من أصله ويَضْربون له الامثال الكثيرة المُشَبّهَة بحديث الثّوْر مع الأسد فى كتاب كَليلةَ ودمْنَة ونحن نكتفى بهذا القَدْر من الايماء لئلا نَخْرُج عَمّا بَنَيْنا عليه مَذْهَبَنا من الايجاز فى الشرح ولستُ أترك مع الايجاز والاختصار تعظيمَ هـذا البـاب وتكريره عليكَ لتعلم أنّ القُـدَماء انما ألَّفُوا فيـه الكتب وضربوا له الامثال وأكثروا فيه من الوَصايا لِمَا وراءَه من النَّفْع العظيم عند السامعين من الاخيـار ولما خافوه من الضّرر الكثـير على مَن يَسْـتَهين به من الأغمار وليُعْلم المَثَل المضروب فى السّباع القوية اذا دخَل عليها الثّعْلَب الرَّوّاغ على ضَـعْفه أهْلَكَها ودَمّرَها وفى المُلوك الحُصَفاء يَدْخُل بينهـم أهل النميمة فى صورة الناصحين حتى يُفْسدوا نيّتَهم على وُزَرائهم المُبالغين فى نصيحتهم المجتهدين فى تثبيت مُلْكهم الى أن يَغْضَبوا عليهم ويَصرفوا بها عُيونَهم عنهم ويَصيروا من مَحبّتهم وايثارهم على آبائهم وأولادهم الى أن لايَمْلَؤُا عُيونَهم منهم والى أن يَبْطشوا بهم قتلا وتَعْذيبا وهم غيرُ

مُذْنبين ولامُجْتَرمين ولا مُستحقين الا الكرامة والاحسان فاذا بلغ بهم من الافساد والاضرار مابلّغوه من هؤلاء فبالأَحْرَى أن يَبْلُغوه منا اذا لم يجدوه فى أصْدقائنا الذين اخترناهم على الأيام وادّخرْناهم للشدائد وأحْللْناهم محلّ أرواحنا وزدْناهم تفضّلا واكراما ويتبيّن لك من جميع ماقدّمناه أنّ الصداقة وأصناف المحبّات التى تتمّ بها سعادة الانسان من حيث هو مَدَنِىٌّ بالطبع انما اختلفتْ ودخل فيها ضُروب الفَساد وزال عنها معنى التّأَتّى وعرض لها الانتشار حتى احتَجْنا الى حفْظها والتَعَب الكثير بنظامها من أجْل النّقائص الكثيرة التى فينا وحاجَتنا الى اتمامها مع الحوادث التى تَعْرض لنا من الكَوْن والفساد فانّ الفضائل الخُلْقيّة انما وُضِعَت لاجل المُعاملات والمُعاشَرات التى لايَتم الوُجود الانسانى الا بها ذلكَ أنّ العَدْل انما احتيج اليه لتصحيح المعاملات وليَزولَ به معنَى الجَوْر الذى هو رَذيلة عند المُتعاملين وانما وُضعَت العفّة فَضيلة لاجل اللذات الرديئة التى تَجْنى الخيانات الفظيعة على النفْس والبَدَن وكذلكَ الشجاعةُ وُضعت فضيلةً من أجل الامور الهائلة التى يجب أن يُقْدم الانسانُ عليها فى بعض الاوقات ولايَهْرُب منها وعلى هذا جميع الاخلاق المرضية التى وصَفناها وحَضَضْنا على اقتنائها وأيضا فانّ جميع هذه الفضائل تحتاج الى أسباب خارجة من الاموال واكتسابها من وُجوهها

ليمكنه أن يفعل بها فعل الأحرار والعادل يحتاج الى مثل ذلك ليجازى
من عاشره بجميل ويكافئ من عامله باحسان وجميعها لاتقوم الا بالابدان
والأنفس وما هو خارج عنها على حسب تقسيمنا السعادات فيما مضى
وكلما كانت الحاجات كثيرة احتيج الى المواد الخارجة عنا أكثر فهذه حالة
السعادات الانسانية التى لاتتم لنا الا بالافعال البدنية والاحوال المدنية
وبالأعوان الصالحين والأصدقاء المخلصين وهى كما تراها كثيرة والتعب بها
عظيم ومن قصر فيها قصرت به السعادة الخاصة به ولذلك صار الكسل
ومحبة الراحة من أعظم الرذائل لأنهما يحولان بين المرء وبين جميع
الخيرات والفضائل وينسلخان الانسان من الانسانية ولذلك ذممنا بعض
المتوسمين بالزهد اذا تفردوا عن الناس وسكنوا الجبال والمفازات واختاروا
التوحش الذى هو ضد المدنية لانهم ينسلخون عن جميع الفضائل
الخلقية التى عددناها كلها وكيف يعف ويعدل ويسخو ويشجع من
فارق الناس وتفرد عنهم وعدم الفضائل الخلقية وهل هو الا بمنزلة الجماد
والميت وأما محبة الحكمة والانصراف الى التصور العقلى واستعمال الآراء
الالهية فانها خاصة بالجزء الالهى من الناس وليس يعرض لها شىء من
الآفات التى تعرض للمحبات الأخر الخلقية وضروب الفساد ولذلك قلنا
انها لاتقبل النميمة ولا نوعا من أنواع الشرور لأنها الخير المحض وسببها

الخير الأوّل الذى لا تَشُوبه مادة ولا تَلْحَقه الشُّرور التى فى المادة وما دام الانسان يستعمل الأخلاق والفضائل الانسانية فانها تَعُوقه عن هذا الخير الاوّل وهذه السعادة الالهية ولكن ليس يَتم له الا بتلك ومن أَصَلّ تلك الفضائل بنفسه ثم اشتغلَ عنها بالفضيلة الالهية فقد اشتغل بذاته حقًّا ونَجا من مُجاهَدات الطبيعة وآلامها ومن مجاهدات النفس وقُواها وصار مع الارواح الطّيبة واختلط بالملائكة المقرّبين فاذا انتقل من وجوده الاول الى وجوده الثانى حصل فى النعيم الابَدى والسرور السرمدى

وقال ابن حَمْديس الأنْدَلُسى فى وصف بركة

عليها أشجار من ذهب وفضة وعلى حافاتها أسود قاذفة بالمياه

وضَراغِم سَكَنَتْ عَرينَ رِآسة * تَرَكَتْ خَرير الماء فيه زَئيرا

فكأنما غَشّى النُّضارُ جُسومَها * وأذابَ فى أفْواهها البَلُّورا

أُسْدٌ كأنّ سُكونَها مُتَحرِكٌ * فى النفس لو وَجَدَتْ هناكَ مُثيرا

وتَذَكَّرَتْ فتكاتِها فكأنما * أقْعَتْ على أدبارها لتثورا

وتَخالُها والشمس تَجْلُو لونَها * نارًا وألْسُنَها اللواحِسَ نورا

فكأنما سَلَّتْ سُيوفَ جداوِل * ذابَتْ بلا نار فَعُدْن غَديرا

وكأنما نَسج النسيمُ لمائه * دِرْعًا فَقَدَّر سَرْدَها تقديرا

وبَديعة الثمرات تَعبُرُ نحوَها * عيناىَ بحرَ عجائبٍ مَسجورا

شَجَرِيَّةٌ ذَهَبِيَّــةٌ نَزَعَتْ الى * سِحْـرٍ يُؤَثِّرُ فى النُّهَى تأثيرا

قد سُرِّجَتْ أغصانُها فكأنما * قَبَضَتْ بهنَّ من الفَضاء طُيورا

وكأنما تأبى لِوَقْعِ طَيْرِها * أنْ تَسْتَقِلَّ بنَهْضِها وتَطيرا

من كل واقعةٍ تَرى منقارَها * ماءً كَسَلْسالِ اللُّجَيْنِ نَميرا

خُرْسٌ تُعَدُّ من الفصاح فان شَدَتْ * جَعَلَتْ تُغَرِّدُ بالمياه صَفيرا

وكأنما فى كل غصنٍ فضةٌ * لانَتْ فأرسلَ خَيْطُها مجرورا

وتَرِيكَ فى الصهريج مَوْقِعَ قَطْرِها * فوق الزبرجد لؤلؤًا منثورا

ضَحِكَتْ محاسنُه اليكَ كأنما * جُعِلَتْ لها زُهْرُ النجوم ثُغورا

ومُصَفَّحِ الأبواب تِبْرًا نَظَرُوا * بالنقش فوق شُكوله تنظيرا

واذا نظرتَ الى غرائب سَقْفِه * أبصرتَ روضًا فى السماء نَضيرا

وعَنَتْ به صُنَّاعُها أقلامَها * فأرَتْكَ كلَّ طَريدةٍ تصويرا

وكأنما للشمس فيه لِيقةٌ * مَشَقُوا بها التزويقَ والتشجيرا

وكأنما اللازَوَرْدُ فيه مُخَرَّمٌ * بالخطّ فى ورق السماء سطورا

مَرْثِيةُ أبى الحسن الأنبارى للوزير أبى طاهر

لما أُسْتَعِر الحرب بين عزّ الدولة بن بُوَيْه وابن عمه عَضُد الدولة ظفر عَضُد الدولة بوزير عزّ الدولة أبى طاهر محمد بن بَقِيّة فسَمَله وشَهَّره وعلى رأسه بُرْنُس ثم طَرَحه للفِيَلة فَقَتَلته ثم صَلَبه عند داره بباب الطاق

وعمره نيف وخمسون سنة ولما صُلب رثاه أبو الحسن محمد بن عمران يعقوب الانبارى أحد العُدول ببغداد بهذه القصيدة الغرّاء فلما وقف عليها عَضُد الدولة قال وددتُ لو أنى المصلوب وتكون هذه القصيدة فىّ

عُلُوٌّ فى الحياة وفى الممات * لحقٌّ تلك احدى المعجزات
كأنّ الناس حولك حين قاموا * وفودُ نَداكَ أيامَ الصلات
كأنكَ قائمٌ فيهم خطيبا * وكلّهمُ قيامٌ للصّلاة
مَدَدْتَ يديكَ نحوَهُم احتفاءً * كمدّهما اليهم بالهبات
ولما ضاق بطنُ الارض عن أن * يضُمّ عُلاكَ من بعد الوَفاة
أصاروا الجوّ قبرَكَ واستعاضوا * عن الأكفانِ ثوبَ السافيات
لعُظْمكَ فى النفوس بقيتَ تُرْعَى * بحُرّاس وحُفّاظ ثقات
وتُوقَد حولَكَ النيرانُ ليلا * كذلكَ كنتَ أيامَ الحياة
ركبتَ مَطيةً من قبلُ زَيْدٌ * عَلاها فى السنين الماضيات
وتلكَ قضيّةٌ فيها تأسٍّ * تُباعد عنكَ تعيير العُداة
ولم أرَ قبلَ جِذْعكَ قطُّ جِذْعا * تمكّنَ من عناق المَكْرُمات
أسأتَ الى النوائب فاستثارت * فأنتَ قتيلُ ثأر النائبات
وكنتَ تُجير من صَرْف الليالى * فصار مُطالبا لكَ بالتِّرات
وصَيَّر دهرُكَ الاحسانَ فيه * الينا من عظيم السيئات

وكنتَ لمَعْشر سَعدًا فلما * مضيتَ تفرّقوا بالمُنحِسات
غليلٌ باطنٌ لك فى فؤادى * يخفَّفُ بالدّموع الجاريات
ولو أنى قَدَرْتُ على قيام * بفرضك والحُقوق الواجبات
ملأْتُ الأرضَ من نظم القوافى * ونُحْتُ بها خلافَ النائحات
ولكنّى أُصَبِّر عنك نفسى * مخافة أن أُعَدّ من الجُناة
وما لك تُرْبةٌ فأقول تُسْقَى * لانك نُصْبُ هَطْل الهاطلات
عليك تحيةُ الرحمن تترى * برَحْمات غَوَاد رائحات

وقال محمد بن زُرَيق البغدادى وكان قصد الأَنْدَلُس فى طلب الغنى فلم يرجع لبغداد رحمة الله عليه

لاتَعْذُليه فانّ العَذْل يُولعه * قد قُلْتِ حقًّا ولكن ليس يَسْمعه
جاوزْتِ فى لَوْمه حَدًّا أضرَّ به * من حيث قدّرْتِ أنّ اللَّوم ينْفعُه
فاستعملى الرفْق فى تأنيبه بدلًا * من عُنْفه فهو مُضْنَى القلب مُوجَعه
قد كان مُضطلعا بالخَطْب يحْمله * فضُيِّقَتْ بخُطوب البَين أضْلُعُه
يكفيه من لَوْعة التَفْنيد أنّ له * من النّوى كلّ يوم ما يُرَوّعه
ما آبَ من سَفَر الا وأزعجه * رأىٌ الى سَفَر بالعزْم يَجْمَعه
كأنما هو من حِلّ ومُرْتَحَل * مُوكَّلٌ بفضاء الارض يذْرَعه
اذا الزِّماعُ أراه فى الرحيل غنًى * ولو الى السِّنْد أضحى وهو يُزْمِعُه

تأبى المطامع الا أن تُجشِّمه * للرزق كدًّا وكم ممن يودّعه
وما مجاهدة الانسان توصله * رزقًا ولا دعة الانسان تقطعه
والله قسّم بين الخلق رزقهم * لم يخلق الله مخلوقا يُضيّعه
لكنهم مُلئوا حرصًا فلست ترى * مسترزقا وسوى الغايات يقنعه
والسعي في الرزق والارزاق قد قُسمت * بَغْيٌ ألا إنّ بَغْيَ المرء يَصْرَعه
والدهر يُعطي الفتى ما ليس يطلبه * يوما ويمنعه من حيث يُطمعه
أستودع الله في بغداد لي قمرا * بالكرخ من فلك الازرار مطلعه
ودّعته وبودّي لو يودّعني * صفو الحياة وأني لا أودّعه
وكم تشفّع أني لا أفارقه * وللضرورات حالٌ لا تُشفّعه
وكم تشبّث بي يوم الرحيل ضحًى * وأدمعي مستهلات وأدمعه
لا أكذب الله ثوب العذر منخرق * عني بفرقته لكن أرقّعه
أني أوسع عذري في جنايته * بالبين عنه وقلبي لا يوسّعه
أُعطيت مُلكا فلم أُحسن سياسته * كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابسًا ثوب النعيم بلا * شكر الاله فعنه الله ينزعه
اعتضت عن وجه خلّي بعد فرقته * كأسا أجرّع منها ما أجرّعه
كم قائل لي ذنب البين قلت له * الذنب والله ذنبي لست أدفعه
هلّا أقمت فكان الرُّشد أجمعه * لو أنني يوم بان الرشد أتبعه

انى لأقطع أيامى وأُنفدُها * بحسرة منه فى قلبى تُقطّعه
عَن اذا هجع النُّوَّام بتُّ له * بلَوعة منه ليلى لستُ أهجَعُه
لايطمئن لجَنْبى مضْجَعٌ وكذا * لايطمئن له مُذْ بِنْتُ مضجعُه
ما كنتُ أحسب أنّ الدهر يفجعنى * به ولا أنّ بى الايامُ تفجعه
حتى جرى الدهر فيما بيننا بيَد * عَسْراءَ تمنعُنى حظّى وتمنعُه
بالله يامنزل القَصْف الذى درست * آثارُه وعفَتْ مذ غبتُ أربعُه
هل الزمانُ مُعيدٌ فيكَ لذّتنا * أم الليالى التى أمْضَتْه تُرْجِعُه
فى ذمّة الله مَن أصبحتَ منزلَه * وجادَ غيثٌ على مَغْناكَ مَرْعُه
مَن عنده لىَ عهدٌ لايضيّعُه * كما له عهدُ صدق لاأُضيّعه
ومَن يُصَدِّع قلبى ذِكْرُه واذا * جرى على قلبه ذِكرى يصدّعه
لأَصْبِرَنّ لدهر لايمتّعُنى * به ولا بِىَ فى حال يمتعه
علما بأنّ اصطبارى معْقبٌ فَرَجا * وأضيقُ الامر ان فكّرْتَ أوسَعه
علّ الليالى التى أضْنت بفُرقتنا * جسمى ستجمعنى يوما وتجمعه
وان تَنَل أحدا منا منيّتُه * فما الذى بقضاء الله يصنعه

قال أبو العلاء المعرى يفتخر

ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعل * عَفاف واقدام وحَزْم ونائل
أعندى وقد مارستُ كل خفية * يُصدَّق واشٍ أو يُخيَّب سائل

تُعَـدّ ذُنوبى عنـد قوم كثيرةً * ولا ذنبَ لى الا العُلَى والفضائل

كأنى اذا طُلْتُ الزمانَ وأهـلَه * رَجعتُ وعندى للانام طَوائل

وقد سار ذكرى فى البلاد فَمَن لهم * باخفاء شمسٍ ضوؤُها متكامل

يُهِمُّ الليالى بعضُ ماأنا مُضمِر * ويُثقِل رَضْوَى دونَ ماأنا حامل

وانى وان كنتُ الاخيـرَ زمانُه * لآتٍ بما لم تَستطعه الاوائل

وأَغدو ولو أنّ الصباحَ صَوارمٌ * وأَسْرى ولو أنّ الظلام جحافل

وانى جواد لم يُحَـلّ لجامُه * ونَصْلٌ يَمانٍ أَغْفَلَتْه الصياقل

فان كان فى لُبْس الفتى شرفٌ له * فما السيفُ الاّ غِمْدُه والحمائل

ولى مَنطِقٌ لم يَرْضَ لى كُنْهَ منزلى * على أننى بَيْنَ السِمَاكَيْن نازل

لَدَى موطِنٍ يشتاقه كل سـيّد * ويَقْصُر عن ادراكه المُتَناوِل

ولمّا رأيتُ الجهلَ فى الناس فاشيا * تجاهلتُ حتى ظُنّ أنىَ جاهل

فواعَجَبا كم يدّعى الفضلَ ناقص * ووا أسفَا كم يُظهر النقصَ فاضل

وكيف تَنام الطيرُ فى وُكُناتها * وقد نُصبت للفَرْقَدين الحبائل

يُنافس يومى فىّ أمسى تَشرُّفا * وتَحسُد أسحارى علىّ الاصائل

وطال اعترافى بالزمان وصَرْفه * فلستُ أُبالى مَن تَغُول الغوائل

فلو بانَ عَضْدى ماتأسّف مَنكِبى * ولو مات زَنْدى ما بَكَتْه الانامل

اذا وَصَف الطائىَّ بالبُخل مادرٌ * وعَيَّرَ قُسًّا بالفَهاهة باقل

وقال السُّهى للشمس أنتِ ضئيلة * وقال الدُّجى للصبح لونُك حائل
وطاولت الأرضُ السماءَ سفاهة * وفاخرت الشهبَ الحصى والجنادل
فياموتُ زُرْ انّ الحياةَ ذميمةٌ * ويانفسُ جدّى انّ دهرك هازل

ومن شعر أبى الحسن التِهامى

قصيدته الفريدة البالغة فى بابها غاية لم يبلغها سواه: التى يرثى فى أولها صغيرا له أجاب داعى ربه ويفتخر فى آخرها بفضله ويشكو زمانه وحاسديه وهى هذه

حُكْمُ المنيّــة فى البرية جار * ما هــذه الدنيا بدار قـرار
بيْنا يُرى الانسانُ فيها مُخْبِرا * حتى يُرى خبَرًا من الاخبار
طُبِعَتْ على كَدَر وأنتَ تُريدُها * صَفْوًا من الأقذار والاكدار
ومُكَلِّف الأيام ضِدَّ طباعها * مُتَطَلِّب فى الماء جَذْوَةَ نار
واذا رَجَوْتَ المستحيلَ فانما * تَبْنِى الرجاءَ على شَفيرٍ هار
فالعيشُ نومٌ والمنيّة يقظةٌ * والمرءُ بينهما خيالٌ سار
فاقضوا مآربكم عِجالًا انما * أعماركم سفرٌ من الاسفار
وتراكضوا خيلَ الشباب وبادروا * أن تُسْتَرَدّ فانهنّ عوار
فالدهر يَخْدَع بالْمُنَى ويُغِصّ ان * هَنّا ويَهْدِم ما بَنَى ببَوار
ليس الزمانُ وان حَرَصْتَ مُسالمًا * خُلُقُ الزمانِ عداوةُ الاحرار

انى وُتِرْتُ بصارمٍ ذى رَونَقٍ * أعْــدَدْتُه لطِــلابةَ الاوتار
والنفسُ إن رَضِيت بذلكَ أو أبَتْ * مُنْقَادة بأزِمَّــة المقــدار
أُثْــنى عليــه بأثْرِه ولوأنَّه * لم يُغْتَبَــطْ أثنيتُ بالآثار
يا كوكباً ما كان أقْصرَ عُمْــرَه * وكذاكَ عُمْرُ كواكبِ الاسحار
وهلالَ أيامٍ مضَى لم يَسْتَدِرْ * بدرًا ولم يُمْهَــل لوقت سرار
عَجِل الخُسوفُ عليه قبلَ أوانه * فمحاه قَبْــل مَظنَّــة الابدار
واســتُلَّ من أترابه ولِداته * كالمُقْلَة اسْتُلَّتْ من الاشفار
فكأنَّ قلــبى قَــبْرُه وكأنه * فى طَيِّــه ســرٌّ من الاسرار
ان يُغْتَبَطْ صــغَرًا فَرُبَّ مُقَمّمٍ * يَبْدو ضَــئيلَ الشخص للنُّظّار
انّ الكواكبَ فى عُلُوّ محلّها * لَتُرَى صغارًا وهى غير صــغار
وَلَدُ المُعَزّى بعضُــه فاذا مضى * بعضُ الفتى فالكلُّ فى الآثار
أَبكيه ثم أقول معتـــذرا له * وُفِّقْتَ حين تَرَكتَ أَلْأَمَ دار
جاوَرْتُ أعــدائى وجاوَرَ رَبَّهُ * شَــتَّانَ بين جِواره وجوارى
أشكو بعادَكَ لى وأنتَ بموضعٍ * لولا الردَى لَسَمِعْتَ فيه مَزارى
والشرقُ نحوَ الغرب أقربُ شُقَّةً * من بُعدِ تلكَ الخمسة الاشبار
هيهاتَ قد عَلِقَتكَ أسبابُ الردَى * واغتالَ عمرَكَ قاطعُ الاعمــار
ولقد جَرَيْتَ كما جريتُ لغايةٍ * فبلغــتَها وأبوكَ فى المضمار

فاذا نطقتُ فأنت أولُ منطقى * واذا سكتُّ فأنت فى اضمارى

أُخفى من البُرحاء نارًا مثلَ ما * يُخفى من النار الزنادُ الوارى

وأُخفّض الزفرات وهى صواعد * وأُكفكفُ العبرات وهى جوار

وشهابُ نار الحُزن ان طاوعتُه * أورى وان عاصيتُه متوارى

وأكُفُّ نيرانَ الأسى ولربما * غُلب التصبرُ فارتمتْ بشرار

ثوبُ الرياء يشفُّ عما تحتَه * واذا التحفتَ به فانكَ عار

قَصُرتْ جفونى أم تباعَدَ بينُها * أم صُوِّرتْ عينى بلا أشفار

جَفَتِ الكرى حتى كأنَّ غرارَه * عند اغتماض العين وخزُ غرار

ولو استزارتْ رقدةً لَطَحا بها * ما بينَ أجفانى من التيار

أُحيِى الليالى التمَّ وهى تُميتنى * ويُميتُهنّ تبلُّج الاسحـــار

حتى رأيت الصُّبحَ تهتكُ كفُّه * بالضوء رفرفَ خيمــة كالقار

والصبحُ قد غمرَ النجومَ كأنه * سيلٌ طغَى فطفَا على النُّوَّار

لو كنتَ تمنعُ خاضَ دونكَ فتيةٌ * منَّا بحارَ عوامــل وشفار

ودحَوا فُوَيقَ الأرض أرضًا من دَم * ثم انثَنوا فبنَوا سماءَ غُبار

قومٌ اذا لبسوا الدروعَ حسبتَها * خُلُجًا تُمَدُّ بها أكُفُّ بحار

لو شرَّعوا أيمانَهم فى طولها * طعنوا بها عوضَ القَنا الخطّار

جَنَبوا الجيادَ الى المَطىِّ وراوَحوا * بين السُّروج هُناكَ والأكوار

وكأنما مَلَوُا عيابَ دُروعهم * وغُمود أنْصُلهم سَرابَ قِفار
وكأنما صَــنَعُ السَوابغ عَزَّهُ * ماءُ الحــديد فصاغ ماءَ قَرار
زَرَدًا فأحكم كُلَّ مَوْصل حَلْقَة * بحَبابه فى موضع المسمار
فتَسَرْبَلُوا بمُتون ماء جامــد * وتَقَنَّعــوا بحَبــاب ماء جار
أُسْــدٌ ولكن يُؤْثِرون بزادهم * والأُسْــدُ ليس تَدين بالايثار
يَتَزَيَّن النادى بحُسْن وُجوههم * كتَزَيُّن الهـالات بالأقمار
يتعطفون على المُجاور فيهـــمُ * بالمُنْفسات تعطُّفَ الآظْـــآر
من كل مَن جعل الظُّبَى أنصارَه * وكَرُمْنَ واستغنَى عن الانصار
واذا هواعتقَلَ القنـاةَ حَسبتَها * صِلًّا تأبَّطَه هـــزَبْرٌ ضار
والليثُ ان ثاورتَه لم يَعْتَمــد * الّا على الأنيــاب والاظفار
زَرَدُ الدلاص من الطعان بُرِيحهُ * فى الجَحفَــل المُتضايق الجرّار
مابين ثوب بالدماء مُضَمَّــخ * زَلِق ونَقْــع بالطِّراد مُثــار
والهُونُ فى ظلّ الهُوَيْنا كامنٌ * وجَلالة الأَخْطار فى الاخطار
تَنْدَى أَسِرَّةُ وجهه ويمينُــه * فى حالة الاعسار والايسار
ويَمُدُّ نحوَ المَكْرُمات أناملًا * للـرزق فى أثنائهن مَجـــار
يَحْوِى المَعالى كاسبا أو غالبا * أبدًا يُدارَى دونها ويُدارِى
قدلاح فى ليل الشباب كواكبٌ * ان أُمْهِلَتْ آلَتْ الى الاسفار

وتلهّبُ الاحشاء شيّب مَفْرَقى * هذا الضيــاءُ شُواظُ تلك النار
شابَ القَذال وكلُّ غصن صائرٌ * فَيْنانُه الاحْوَى الى الازهار
والشِبْهُ مُنجذبٌ فلِمْ بيضُ الدُّمَى * عن بيض مَفْرَقه ذواتُ نفار
وتَوَدّ لو جعلت ســوادَ قلوبها * وسوادَ أعْيُنِها خضابَ عــذار
لاتنْفِر الظَبيات عنه فقد رأت * كيف اختلاف النبت فى الأطوار
شــيآن ينْقَشعان أوّلَ وهْلة * ظلُّ الشــباب وخُلّة الأشرار
لاحبّذا الشيبُ الوفىّ وحبــذا * ظلُّ الشــباب الخائن الغدّار
وطَرِى من الدنيا الشبابُ ورَوْقُه * فاذا انقضَى فقد انقضت أوطارى
قَصُرَت مسافتُه وما حسناته * عندى ولا آلاؤه بقصـــار
نزدادُ همَّا كلما ازددنا غــنًى * والفقر كُلّ الفقر فى الاكثار
مازاد فوقَ الزاد خُلّفَ ضائعا * فى حادث أو وارث أو عار
إنّى لأرحمُ حاسدىّ لحَــرّما * ضمنت صُدورهمُ من الأوغار
نَظَروا صَنيع الله بى فعُيونُهم * فى جنة وقلوبُهـــم فى نار
لاذنبَ لى قد رمتُ كَتْم فضائلى * فكأنما برقعْتُ وجـــهَ نهار
وســترْتُها بتواضُعى فتطلعت * أعناقُها تعلو على الاســتار
ومنَ الرجال مَعالمٌ ومَجاهـــل * ومن النجوم غوامضٌ ودَرارى
والناسُ مشتبهون فى إيرادهم * وتفاضُلُ الأقوام فى الاصدار

عمّرى لقد أوطأتُهم طُرُق العُلا * فَعَمُوا فلم يَقفوا على آثارى

لو أبصَروا بقلوبهم لاستبصَروا * وعَمى البصائر من عَمَى الأبصار

هَلَّا سَعَوْا سَعْىَ الكرام فأدركوا * أو سَلَّمــوا لِمَواقــع الأقــدار

وفَشَتْ خيانات الثقات وغيرِهم * حتى اتَّهَمْنا رؤيةَ الأبصــار

ولَرُبما اعْتَضَد الحليم بجاهلٍ * لاخــيرَ فى يُمْنَى بغــير يَسار

الأرجوزة التى استخلصها تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى من كتاب الصادح والباغم

العَيْشُ بالرزق وبالتقــدير * وليس بالرأى ولا التــدبير

فى الناس مَن تُسْعِدُه الأقدار * وفعــلُه جميعُــه إدبار

مَن عَرَف الله أزالَ التُهَمَة * وقال كلُّ فعــله للحكمــة

مَن أنكرَ القضاءَ فهو مُشركُ * إنّ القضــاء بالعباد أملَكُ

ونحــن لانُشْركُ بالله ولا * نَقْنَطُ من رحمته إذ نُبتَلَى

عارٌ علينا وقبيحٌ ذِكْــر * أن نجعل الكُفْر مكان الشكر

وليس فى العــالم ظلمٌ جارى * اذ كان ما يجرى بأمر البارى

وأسعدُ العــالَم عنــد الله * مَن ساعَدَ الناسَ بفضل الجاه

ومَن أغاثَ البائسَ الملهوفا * أغاثَه اللهُ اذا أُخيفــا

إنّ العظيمَ يدفع العظيما * كما الجسيمُ يحمل الجسيما

ذانّ من خلائق الكرام * رحمة ذى البلاء والأسقام

وانّ من شرائط العُــلُوّ * العطفَ فى البؤس على العدوّ

قدقَضَت العُقول أنّ الشفقه * على الصديق والعدوّ صدقه

وقد عَلمْتَ واللبيبُ يعـــلم * بالطبع لايُرْحَم مَن لايَرْحَم

والمــرءُ لايدرى متى يُمْتَحن * وانه فى دهره مُرْتَهَـــن

وان نجا اليومَ فما ينجو غدا * لا يأمن الآفات الا ذو الرّدَى

لاتَغْترِرْ بالخفض والسلامه * فانما الحياة كالمُدامــــه

والعمرُ مثلُ الكأس والدهرُ القذرْ * والصفْوُ لابُدَّ له من الكَدَر

وكلُّ انسان فــــلا بُدّ لَهُ * من صاحب يَحْمل ما أثقلَه

جَهْدُ البلاء صحبة الاضداد * وانها كىٌّ على الفـــؤاد

أعظمُ ما يَلْقَى الفتى من جَهْد * أن يُبْتَلَى فى جنسه بالضّـدّ

وانما الرجالُ بالاخـــوان * واليـــدُ بالساعد والبَنان

لاتَحْقِر الصُّحْبــةَ الا جاهلُ * أومارقٌ عن الرشاد غافلُ

صُحبــةُ يومٍ نَسَبٌ قريبُ * وذمّـــةٌ يحفظُها اللبيب

ومُوجِبُ الصداقة المُساعده * ومقتضى المودّة المُعاضده

لاسيما فى النُوَب الشدائد * والمحن العظيمــة الأوابد

والمــرءُ يُحْيِي أبدا أخاه * وهو اذا ماعدّ من أعـــداه

وانّ مَن عاشَرَ قومًا يوما * ينصُرُهـم ولا يَخاف لَوْما

وانّ مَن حارَبَ مَن لا يَقْوَى * لحَرْبِه جَرّ اليه البَـلْوَى

فحارِبِ الأَكْفَاء والاقرانا * والمرءُ لا يُحارِب السـلطانا

واقْنَعْ اذا حارَبْتَ بالسلامه * واحذَرفعالًا توجِبُ الندامه

والتاجرُ الكَيِّس فى التجاره * مَن خاف فى مَتْجَره الخساره

يَجْهَد فى تحصيل رأس ماله * ثم يَروم الربْحَ باحتيـاله

وان رأيتَ النصر قد لاحَ لكا * فلا تُقَصِّرْ واحترز أن تَهلكا

واسْبِقْ الى الأجود سَبْقَ الناقد * فسَبْقُكَ الخَصْمَ من المَكايد

وانتهز الفُرصة انّ الفرصه * تَصير إن لم تنتهزْها غُصّه

كم بَطـرَ الغالب يوما فترك * عنه التوقّى واستهانَ فهلكْ

ومَن أضاعَ جُنْدَه فى السلْم * لم يحفظوه فى لقاء الخَصْم

وانّ من لا يَحْفَظ القُـلوبا * يُخْذَلُ حين يَشْهَد الحُروبا

والجُنْدُ لا يَرْعَوْنَ مَن أضاعهم * كَلّا ولا يَحْمون مَن أجاعهم

وأضعفُ الملوكِ طُرًّا عَقْدًا * مَن غَرّه السلْمُ فأقْصَى الجندا

والحزم والتدبيرُ رُوح العزم * لا خيرَ فى عزم بغـير حزم

والحزم كل الحزم فى المُطاوله * والصبر لا فى سرعة المزاوله

وفى الخطوب تَظهر الجواهرُ * ما غَلَبَ الأيامَ الا الصابر

لاتيأسنْ من فَرَجٍ ولطف * وقُوّةٍ تَظهر بعد ضَعْف

فربما جاءك بعدَ الياس * رَوْحٌ بلا كَدٍّ ولا التماس

فى لمحة الطَرف بُكاءٌ وضَحِكٌ * وناجذٌ بادٍ ودمعٌ يَنْسفكْ

تَنال بالرِّفق وبالتأنى * مالم تَنَل بالحِرص والتَعَنّى

ماأحسنَ الثباتَ والتّجلُّدا * وأقبحِ الحَيْرةَ والتبلُّدا

ليس الفتَى الا الذى إن طَرَقَهْ * خَطْبٌ تَلقّاه بصَبْرٍ وثقه

اذا الرَزايا أقبلت ولم تَقِفْ * فثَمّ أحوالُ الرجال تختلف

وكم لقِيتُ لَذّةً فى زمنى * فأصْبِرُ الآنَ لهَذى المحَن

فالموتُ لايكون الا مَرّةً * والموتُ أحْلَى من حياةٍ مُرّة

انى من الموت على يَقين * فاجْهَد الآن لما يَقِينى

صَبْراً على أهوالها ولا ضَجَرْ * وربما فازَ الفتى اذا صَبَرْ

لايجزَع الحُرّ من المصائب * كلا ولا يَخضَع للنوائب

فالحرّ للعبْء الثقيل يحْمِلُ * والصّبْرُ عند النائبات يَجْمُلُ

لكل شئٍ مدةٌ وتنقضى * ماغَلَبَ الايامَ الا مَن رَضى

قد صَدَق القائلُ فى الكلام * ليس النُّهى بعِظَم العظام

لاخَيْرَ فى جسامة الأجسام * بل هو فى العُقول والافهام

فالخيْل للحرب وللجَمال * والابْل للحَمْل وللترحال

لا تحتقر شيأ صغيرا يحتقر * فربما أسالت الدم الابر
لا تخرج الخصم فنى اخراجه * جميع ما تكره من لجاجه
لا تطلب الفائت باللجاج * وكن اذا كويت ذا انضاج
فعاجز من ترك الموجودا * طماعة وطلب المفقودا
وفتش الامور عن أسرارها * كم نكتة جاءتك مع اظهارها
لزمت للجهل قبيح الظاهر * وما تطوت حسن السرائر
ليس يضر البدر فى سناه * أن الضرير قط لا يراه
كم حكمة أضحت بها المحافل * نافقة وأنت عنها غافل
ويغفلون عن خفى الحكمه * ولو رأوها لأزالوا التهمه
كم حسن ظاهره قبيح * وسمج عنوانه مليح
والحق قد تعلمه ثقيل * أبوه إلا نفر قليل
والعاقل الكامل فى الرجال * لا ينثنى لزخرف المقال
ان العدو قوله مردود * وقلما يصدق الحسود
لا تقبل الدعوى بغير شاهد * لاسيما ان كان من معاند
أيؤخذ البرىء بالسقيم * والرجل المحسن باللئيم
كذاك من يستنصح الأعادى * يردونه بالغش والفساد
إن أكل من ترى أذهانا * من حسب الاساءة الاحسانا

وادْفَعْ اساءَةَ العدَى بالحُسْنَى * ولاتَخَلْ يُسْرَاكَ مثْلَ اليُمْنَى

وللرجال فاعْلَمَنْ مَــكايدُ * وخدَعٌ مُنْكَرَةٌ شَــدائد

فالنَــدْبُ لايَخْضَعُ للشدائد * قطّ ولا يَغْتَــاظ بالمــكايد

فَرَقِّع الخَرْقَ بلطف واجتَهد * وامكُر اذا لم ينفع الصدقُ وكِد

فهكذا الحازم اذ يَكيـــد * يَبْلُــغ فى الأعداء مايُريد

وهو بَرِىءٌ منهم فى الظاهر * وغَــيرُهُ مُخْتَضِب الاظـافر

والنَبْهُ مَن يُصلِح أمْرَ نفسه * ولو بقتل وُلْده وعرْســه

فانّ مَن يقصد قَلْع ضِرْسه * لم يَعتمد الا صلاحَ نفســه

وانّ مَن خَصَّ اللئيمَ بالنَدَى * وجدْته كمن يُرَبّى أسَــدا

وليس فى طَبْع اللئيم شُكْر * وليس فى أصل الدنىء نَصْر

وانّ مَن ألزَمَــه وكَلّفَــه * ضدّ الذى فى طبعه ماأنْصَفَه

كذاكَ مَن يَصْطَنع الجُهّالا * ويؤثر الأرذال والانذالا

لو أنكم أفاضِــلٌ أحرار * ماظَهَرَتْ بينــكم الأسرار

انّ الاصولَ تَجذب الفُروعا * والعِرْقَ دَسّاسٌ اذا أُضيعا

ما طابَ فَرْعٌ أصلُه خبيث * ولا زَكا مَن مَجْدُه حديث

قد يُدرِكون رُتَبًا فى الدنيا * ويبلُغون وَطَرًا من بُقْيا

لـكنهم لايبلُغون فى الكرم * مبلَغ مَن كان له فيها قدم

وكل مَن تماثلتْ أطرافُهُ * في طيبها وكرمت أسلافه

كان خليقا بالعُلى وبالكرم * وبرعتْ في أصله حُسْنُ الشيم

لولا بنو آدم بين العالَم * مابانَ للعقول فضل العالِم

فواحدٌ يُعطيك فضلا وكرم * فذاك من يكفُرُه فقد ظلم

وواحدٌ يعطيك للصنائعة * أو حاجة له اليك واقعه

لاتشرهنّ الى حطام عاجل * كم أكلة أودت بنفس الآكل

واحذر أخيّ باقى من الشَرَه * وقس بما رأيته مالم تره

فليس من عقل الفتى أو كرمه * افسادُ شخص كامل لقرمه

والبغيُ داءٌ ماله دواء * ليس لملك معه بقاء

والبغي فاحذره وخيمُ المرتع * والعجبُ فاتركه شديدُ المصرع

والغدر بالعهد قبيحٌ جدا * شر الورى من ليس يرعى العهدا

عند تمام الأمر يبدو نقصه * وربما ضر الحريص حرصُه

وربما ضرك بعض مالكا * وساءك المحسن من رجالكا

والمرءُ يُنْذِي نفسه بوفره * عساه أن ينجو به من أسره

لا تعطين شيأ بغير فائده * فانها من السجايا الفاسده

فى خواص مصر العامة لها لعبد اللطيف البغدادى

انّ أرض مصر من البلاد العجيبة الآثار الغريبة الاخبار وهى واد يكتنفه جبَلان شرقىّ وغربىّ والشرقى أعظمُهما يبتــدئان من أسوان ويتقاربان باسنا حتى يكادا يتماسّان ثم ينفرجان قليلا قليلا وكلما امتدّا طولا انفرجا عرضا حتى اذاحاذيا الفُسْطاط كان بينهما مسافة يوم فما دونه ثم يتباعدان أكثر من ذلك والنيلُ ينساب بينهما ويتشعب باسافل الارض وجميعُ شُعَبه تَصُبّ فى البحر المالح

وهذا النيل له خاصّتان الاولى بُعْد مرماه فانا لانعلم فى المعمورة نهرا أبعد مسافةً منه لانّ مَبادئَه عُيون تأتى من جبل القمر وزعموا ان هذا الجبل وراء خط الاستواء باحدى عشرة درجة ونصف درجة وعرض اسوان وهى مبــدأ أرض مصر اثنتان وعشرون درجة وعرض دمياط وهى أقصى أرض مصر احدى وثلاثون درجة وثلث درجــة فتكون مسافة النيــل على خط مستقيم ثلاثا وأربعين درجة تنقص سدسا ومساحة ذلك تقريبا تسعمائة فرسخ هــذا سوى مايأخذ من التعريج فان اعتبر ذلك تضاعفت المساحة جدا

والخاصة الثانية انه يزيد عند نُضوب سائر الانهار ونَشيش المياه لانه يبتــدئ بالزيادة عند انتهاء طول النهار وتتناهى زيادته عنــد الاعتدال

الخريفى وحينئذ تُفتح الترع وتَفيض على الاراضى وعلّة ذلك ان مواد زيادته أمطار غزيرة دائمة وسيول متواصلة تُمدّه فى هذا الاوان فان أمطار الاقليم الاول والثانى انما تَغْزُر فى الصَّيف والقَيظ

وأما أرض مصر فلها أيضا خَواصّ منها انه لايقع بها مطر الا مالا احتفال به وخصوصا صَعيدها فاما أسافلها فقد يقع بها مطر جَوْد لكنه لا يفى بحاجة الزراعة وأما دمْياط والاسكندرية وما داناهما فهى غزيرة المطر ومنه يشربون وليس بارض مصر عين ولا نهر سوى نِيْلها

ومنها أن أرضها رملية لاتصلح للزراعة لكنه يأتيها طينٌ أسودُ عَلِكٌ فيه دُسومة كثيرة يُسمى الأبْليز يأتيها من بلاد السودان مختلطا بماء النيل عند مَدّه فيستقر الطين وينْضُب الماء فيُحرَث ويزرع وكل سنة يأتيها طين جديد ولهذا تزرع جميع أراضيها ولا يراح شئ منها كما يفعل فى العراق والشام لكنها تُخالَف عليها الاصناف وقد لحظت العرب ذلك فانها تقول اذا كثرت الرياح جادت الحراثة لانها تجيء بتراب غريب وتقول أيضا اذا كثرت المؤتفكات زكا الزروع ولهذه العلة تكون أرض الصعيد زَكيّة كثيرة الاتاء والرَيْع اذ كانت أقربَ الى المبدأ فيحصل فيها من هذا الطين مقدار كثير بخلاف أسفل الأرض فانها أُساقَةٌ مَضْوية اذ كانت رقيقة ضعيفة الطين لانه يأتيها الماء وقد راق وصَفَا ولا أعرف

شبيها بذلك الا ما حكى لى عن بعض جبال الاقليم الاول ان الرياح تأتيه وقت الزراعة بتراب كثير ثم يقع عليه المطر فيتلبد فيُحرث ويُزرع فاذا حُصد جاءته رياح أخرى فنسفته حتى يعود أجرد كما كان أولا

ومنها ان الفصول بها متغيرة عن طبيعتها التى لها فان أخص الاوقات باليُبس فى سائر البلاد أعنى الصيف والخريف تكثر فيه الرطوبة بمصر عند نيلها وفيضه لانه يمد فى الصيف ويُطبق الارض فى الخريف فأما سائر البلاد فان مياهها تنش فى هذا الاوان وتغور فى أخص الاوقات بالرطوبة أعنى الشتاء والربيع ومصر اذا ذاك تكون فى غاية القُحولة واليُبس ولهذه العلة تكثر عفوناتها واختلاف هوائها وتغلب على أهلها الامراض العفنية الحادثة عن اخلاط صفراوية وبلغمية وقلما تجد فيهم أمراضا صفراوية خالصة بل الغالب عليها البلغم حتى فى الشبان والمحرورين وأكثر أمراضهم فى آخر الخريف وأول الشتاء لكنها يغلب عليها سلامة العاقبة وتقل فيهم الامراض الحادة والدموية الوحية واما أصحاؤهم فيغلب عليهم الترهل والكسل وشُحوب اللون وكُودته وقلما ترى فيهم مشبوب اللون ظاهر الدم وأما صبيانهم فضاوون يغلب عليهم الدمامة وقلة النضارة وانما تحدث لهم البدانة والقسامة غالبا بعد العشرين وأما ذكاؤهم وتوقد أذهانهم وخفة حركاتهم فلحرارة

بلدهم الذاتية لأن رطوبته عرضية ولهذا كان أهل الصعيد أنحل جسوما وأجف أمزجة والغالب عليهم السمرة وكان ساكنو الفسطاط الى دمياط أرطب أبدانا والغالب عليهم البياض

ولما رأى قدماء المصريين أن عمارة أراضيهم انما هي بنيلها جعلوا أول سنتهم أول الخريف وذلك عند بلوغ النيل الغاية القصوى من الزيادة

ومنها أن الصبا محجوبة عنهم بجبلها الشرقي المسمى المقطم فانه يستر عنها هذه الريح الفاضلة وقلما تهب عليهم خالصة اللهم الا نكباء ولهذا اختار قدماء المصريين أن يجعلوا مستقر الملك منف ونحوها مما بعد عن هذا الجبل الشرقي الى الغربي واختار الروم الاسكندرية وتجنبوا مواضع الفسطاط لقربه من المقطم فان الجبل يستر عما في لحفه أكثر مما يستر عما بعد منه ثم ان الشمس يتأخر طلوعها عليهم فيقل في هوائهم النضج ولذلك تجد المواضع المنكشفة للصبا من أرض مصر أحسن حالا من غيرها ولكثرة رطوبته تتسارع العفن اليها ويكثر فيها الفأر ويتولد من الطين والعقارب تكثر بقوص وكثيرا ما تقتل بلسبها والبق المنتن والذباب والبراغيث تدوم زمانا طويلا ومنها أن الجنوب اذا هبت عندهم في الشتاء والربيع وفيما بعد ذلك كانت باردة جدا ويسمونها المريسي

لمرورها على أرض المريس وهى من بلاد السودان وسبب بردها مرورها
على برك ونقائع والدليل على صحة ذلك انها اذا دامت أياما متوالية
عادت الى حرارتها الطبيعية وأسخنت الهواء وأحدثت فيها يبسا

من لامية العجم لمؤيد الدين الطغرائى

اصالة الرأى صانتنى عن الخطل * وحلية الفضل زانتنى لدى العطل
مجدى أخيرا ومجدى أولا شرع * والشمس راد الضحى كالشمس فى الطفل
فيم الاقامة بالزوراء لا سكنى * بها ولا ناقتى فيها ولا جملى
ناء عن الاهل صفر الكف منفرد * كالنصل عرى متناه عن الخلل
فلا صديق اليه مشتكى حزنى * ولا حبيب اليه منتهى جذلى
طال اغترابى حتى حن راحلتى * ورحلها وقنا العسالة الذبل
وضج من لغب نضوى وعج لما * يلقاه قلبى ولج الركب فى عذلى
أريد بسطة كف أستعين بها * على قضاء حقوق للعلى قبلى
والدهر يعكس آمالى ويقنعنى * من الغنيمة بعد الكد بالقفل
وذى شطاط كصدر الرمح معتقل * بمثله غير هياب ولا وكل
حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت * بقسوة البأس منه رقة الغزل
طردت سرح الكرى عن ورد مقلته * والليل أغرى سوام النوم بالمقل
والركب ميل على الاكوار من طرب * صاح وآخر من خمر الكرى ثمل

فقلت أدعوك للجُلَّى لتنصرنى * وأنت تخذلنى فى الحادث الجلل
تنام عينى وعين النجم ساهرة * وتستحيل وصبغ الليل لم يحل
حب السلامة يثنى همّ صاحبه * عن المعالى ويغرى المرء بالكسل
فإن جنحت اليه فاتخذ نفقًا * فى الارض أو سلّما فى الجو فاعتزل
ودع غمار العلى للمقدمين على * ركوبها واقتنع منهن بالبلل
يرضى الذليل بخفض العيش مسكنة * والعز بين رسيم الاينق الذلل
فادرأ بها فى نحور البيد جافلة * معارضات مثانى اللجم بالجدل
ان العلى حدثتنى وهى صادقة * فيما تحدث أن العز فى النقل
لو أن فى شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل
أهبت بالحظ لو ناديت مستمعا * والحظ عنى بالجهال فى شغل
لعله إن بدا فضلى ونقصهم * لعينه نام عنهم أو تنبه لى
أعلل النفس بالآمال أرقبها * ما أضيق العيش لولا فسحة الامل
لم أرض بالعيش والايام مقبلة * فكيف أرضى وقد ولت على عجل
غالى بنفسى عرفانى بقيمتها * فصنتها عن رخيص القدر مبتذل
وعادة النصل أن يزهى بجوهره * وليس يعمل إلا فى يدى بطل
ما كنت أوثر أن يمتد بى زمنى * حتى أرى دولة الاوغاد والسفل
تقدمتنى أناس كان شوطهم * وراء خطوى اذ أمشى على مهل

هـذا جزاء امرئ أقرانه درجوا * من قبله فتمنى فسحة الأجـل
وان علانى من دونى فـلا عجب * لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل
فاصبر لها غير محتال ولا ضجر * فى حادث الدهر ما يغنى عن الحيل
أعدى عدوك أدنى من وثقت به * فحاذر الناس واصحبهم على دخل
فانما رجـل الدنيا وواحدها * من لا يعول فى الدنيا على رجل
وحسن ظنك بالايام معجـزة * فظن شرا وكن منها على وجل
غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت * مسافة الخلف بين القول والعمـل
وشان صدقك بين الناس كذبهم * وهـل يطابق معوج بمعتـدل
ان كان ينجع شئ فى ثباتهم * على العهود فسبق السيف للعذل
ياواردا سؤر عيش كلـه كدر * أنفقت صفوك فى أيامك الأول
فيم اعتراضك لج البحر تركبـه * وأنت تكفيك منه مصة الوشل
ملك القناعة لا يخشى عليه ولا * يحتاج فيه الى الأنصار والخول
ترجو البقاء بدار لا ثبات لها * فهـل سمعت بظل غير منتقـل
ويا خبـيرا على الأسرار مطلعا * اصمت ففى الصمت منجاة من الزلل
قد رشحوك لأمر ان فطنت له * فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

قال الطغرائي يفتخر

أبى الله أن أسمو بغير فضائلي * اذا ما سما بالمال كل مسوّد

وان كرمت قبلي أوائل أسرتي * فاني بحمد الله مبدأ سؤددي

ينمّ لاجلي المهر ان يكب مرة * بجدّي وان ينهض بجدّي يحمد

وما منصب الا وقدري فوقه * ولو حطّ رحلي بين نسر وفرقد

اذا شرفت نفس الفتى زاد قدره * على كل أسنى منه ذكرا وأمجد

كذاك حديد السيف ان تصف جوهرا * فقيمته أضعافه وزن عسجد

تكاد ترى من لا يقاس بحاده * بشسعى اذا ماضمّنا صدر مشهد

وما المال الا عارة مستردة * فهلا بفضلي كاثروني وتحتدى

اذا لم يكن لى فى الولاية بسطة * يطول بها باعى وتسطو بها يدى

ولا كان لى حكم مطاع أجيزه * فأرغم أعدائي وأكبت حسّدى

فأعذر ان قصرت فى حق مجتد * وآمن أن يعتادنى كيد معتد

أألكف ولا أكفي وتلك غضاضة * أرى دونها وقع الحسام المهند

ولولا تكاليف العلى ومغاوم * ثقال وأعقاب الاحاديث فى غد

لأعطيت نفسى فى التخلى مرادها * فذاك مرادى مذ نشأت ومقصدى

من الحزم أن لا يتجر المرء بالذى * يعانيه من مكروهة فكأن قد

اذا جلدى فى الامر خان ولم يعن * مريرة عزمى ناب عنه تجلّدى

وَمن يَسْتَعِن بالصبر نال مُرادَه * ولو بعـدَ حينٍ انه خيرُ مُسعد

المقامة الاولى الصَنْعانية

حدّث الحارث بن هَمّام قال لما اقتعدْتُ غاربَ الاغتراب وأنأتني المَــتْرَبة عن الأتراب طَوّحتْ بي طوائحُ الزمن الى صَــنعاء اليمن فدخلتُها خاويَ الوِفاض باديَ الانْفـاض لا أَمْلكُ بُلْغــه ولا أجد في جِرابي مُضْغــه فطفقْتُ أجوب طُرُقاتِها مثْـلَ الهائم وأَجُول في حَوْماتها جَوَلانَ الحائم وأَرُود في مَسارح لَمَحاتي وَمسايح غَدَواتي ورَوْحاتي كريما أُخْلِق له ديباجَتي وأبُوح اليــه بحاجَتي أو أديبا تُفَرِّج رُؤيَتُــه غُمّتي وتُروي روايَتُــه غُلّتي حتى أدّتْني خاتمةُ المَطاف وهَــدَتْني فاتحــةُ الألْطـاف الى نادٍ رَحيب مُحْتَوٍ على زحام ونَحيب فوَلَجْتُ غابَةَ الجَمْع لأَسبرَ مَجْلَبةَ الدَمْع فرأيت في بُهْرَةِ الحَلْقَة شَخْصا شَخْتَ الخِلْقَة عليــه أُهْبَة السِــياحة وله رَنّة النِيـاحة وهو يَطْبَع الأسْجاع بجَواهر لَفْظه ويَقْرَعُ الأسماع بزَواجر وَعْظه وقد أحاطَت به أخْلاط الزُمَر احاطَةَ الهالة بالقَمَر والاكْمام بالثَمَر فدَلَفْتُ اليــه لأَقْتَبس من فوائده وأَلْتَقطَ بعضَ فرائده فسمعتُــه يقول حينَ خَبّ في مَجاله وهَــدَرَتْ شَقاشقُ ارتجاله أيُّها السّادر في غُلَوائه السّادل ثَوْبَ خُيَلائه الجامح في جَهالاته الجانح الى خُزَعْبِـلاته إلامَ تَسْتَمِرّ

على غيّك وتستمرئ مرعى بغيك وحتّام تتناهى فى زهوك ولا تنتهى عن لهوك تبارز بمعصيتك مالك ناصيتك وتجترئ بقبح سيرتك على عالم سريرتك وتتوارى عن قريبك وأنت بمرأى رقيبك وتستخفى من مملوكك وما تخفى خافيــة على مليكك أتظن أن ستنفعك حالك اذا آن ارتحالك أو ينقـذك مالك حين توبقك أعمالك أو يغنى عنك ندمك اذا زلت قدمك أو يعطف عليك معشرك يوم يضمك محشرك هلا انتهجت محجة اهتدائك وعجلت معالجة دائك وفللت شباة أعتدائك وقدعت نفسك فهى أكبر أعدائك أما الحمام ميعادك فما إعدادك وبالمشيب انذارك فما اعذارك وفى اللحد مقيلك فما قيلك والى الله مصيرك فمن نصيرك طالما أيقظك الدهر فتناعست وجذبك الوعظ فتقاعست وتجلت لك العبر فتعاميت وحصحص لك الحق فتماريت وأذكرك الموت فتناسيت وأمكنك أن تؤاسى فما آسيت تؤثر فلسا توعيه على ذكر تعيه وتختار قصرا تعليه على بر توليه وترغب عن هاد تستهديه الى زاد تستهديه وتغلب حب ثوب تشتهيه على ثواب تشتريه يواقيت الصلات أعلق بقلبك من مواقيت الصلاة ومغالاة الصدقات آثر عندك من موالاة الصدقات وصحاف الألوان أشهى اليك من صحائف الأديان ودعابة الأقران آنس لك من

تلاوة القرآن تأمر بالعرف وتنهك حماه وتحمى عن النكر ولا تتحاماه وتتزحزح عن الظلم ثم تغشاه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ثم أنشد

تبا لطالب دنيا * ثنى اليها انصبابه
ما يستفيق غراما * بها وفرط صبابه
ولو درى لكفاه * مما يروم صبابه

ثم انه لبد عجاجته وغيض مجاجته واعتضد شكوته وتأبط هراوته فلما رنت الجماعة الى تحفزه ورأت تأهبه لمزايلة مركزه أدخل كل منهم يده فى جيبه فأفعم له سجلا من سيبه وقال اصرف هذا فى نفقتك أو فرقه على رفقتك فقبله منهم مغضيا وانثنى عنهم مثنيا وجعل يودع من يشيعه ليخفى عليه مهيعه ويسرب من يتبعه لكى يجهل مربعه (قال الحارث بن همام) فاتبعته مواريا عنه عيانى وقفوت اثره من حيث لا يرانى حتى انتهى الى مغارة فانساب فيها على غرارة فأمهلته ريثما خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمت عليه فوجدته مثافنا لتلميذ على خبز سميذ وجدى حنيذ وقبالتهما خابية نبيذ فقلت له يا هذا أيكون ذاك خبرك وهذا مخبرك فزفر زفرة القيظ وكاد يتميز من الغيظ ولم يزل يحملق الى حتى خفت أن يسطو على فلما أن خبت ناره وتوارى أواره أنشد

لَبِسْتُ الخميصة أبغي الخبيصه * وأنشبْتُ شِصّي في كل شيصه
وصيّرتُ وعظي أحبولةً * أريغُ القنيص بها والقنيصه
وألجأني الدهر حتى ولجتُ * بلطف احتيالي على الليث عيصه
على أنني لم أهَبْ صرفه * ولا نبضتْ لي منه فريصه
ولا شرعتْ بي على مورد * يدنّس عرضي نفسٌ حريصه
ولو أنصف الدهرُ في حكمه * لما ملّك الحكمَ أهلَ النقيصه

ثم قال لي ادنُ فكُلْ وإن شئت فقم وقُلْ والتفتُّ الى تلميذه وقلت عزمتُ عليك بمن تستدفع به الأذى لتخبرني من ذا فقال هذا أبو زيد السروجي سراج الغرباء وتاج الأدباء فانصرفتُ من حيث أتيتُ وقضيتُ العجب مما رأيتُ

المقامة الثالثة الدينارية

روى الحارث بن همام قال نظمني وأخداناً لي نادٍ لم يخب فيه منادٍ ولا كبا قدحُ زنادٍ ولا ذكت نار عناد فبينا نحن نتجاذب أطراف الأناشيد ونتوارد طُرف الأسانيد اذ وقف بنا شخصٌ عليه سمل وفي مشيته قزل فقال يا أخاير الذخائر وبشائر العشائر عِموا صباحا وأنعموا اصطباحا وانظروا الى من كان ذا ندىً وندىً وجدةٍ وجدىً وعقار وقرىً ومقار وقرى فما زالت به قطوب الخطوب وحروب الكروب وشرر شر الحسود

وأنْيَابُ النُوَب السُود حتى صَفِرَتْ الرَاحَه وقَرِعَتْ السَاحَه وغارَ المَنبع ونَبا المَرْبَع وأقْوَى المجْمَع وأقَضّ المَضْجَع واستحالت الحال وأعْوَل العيال وخَلَتْ المَرابط ورَحِم الغابط وأوْدَى الناطقُ والصامتُ ورَثَى لَنا الحاسدُ والشامتُ وآلَ بِنا الدَهْرُ الموقِع والفَقْر المُدْقِع الى أن احْتَذَيْنا الوَجَى واغْتَذَيْنا الشَجَى واستَبطَنّا الجَوَى وطَوَيْنا الأحْشاءَ على الطَوَى واكْتَحَلْنا السُهاد واستَوْطَنّا الوَهاد واستَوْطَأْنا القَتاد وتَناسَيْنا الأقْتاد واستَطَبْنا الحَيْنَ المُجْتاح واستَبْطَأْنا اليومَ المُتاح فهل من حُرٍّ آسٍ أو سَمْحٍ مُواس فوالذى استَخْرَجَنى من قَيْلَة لقد أمْسَيْتُ أخا عَيْلَة لا أمْلِكُ بَيْتَ لَيْلَة (قال الحارث بن همام) فأوَيْتُ لمَفاقره ولَوَيْتُ الى استنْباط فقَره فأبْرَزْتُ دينارا وقلت له اختبارا ان مَدَحْتَه نَظْما فهو لكَ حَتْما فانبَرى ينشد فى الحال من غير انتحال

أكْرِمْ به أصْفَرَ راقَتْ صُفْرَتُهْ * جَوّابَ آفاقٍ تَرامَتْ سَفْرَتُهْ
مأثورةٌ سُمْعَتُه وشُهْرَتُهْ * قد أُودِعَتْ سِرَّ الغِنَى أسِرَّتُهْ
وقارَنَتْ نُجْحَ المَساعى خَطْرَتُهْ * وحُبِّبَتْ الى الأنامِ غُرَّتُهْ
كأنَّما من القُلوب نُقْرَتُهْ * به يَصُولُ مَن حَوَتْه صُرَّتُهْ
وانْ تَفانَتْ أو تَوانَتْ عِتْرَتُهْ * يا حَبَّذا نُضارُه ونَضْرَتُهْ
وحَبَّذا مَغْناتُه ونُصْرَتُهْ * كم آمِرٍ به اسْتَتَبَّتْ امْرَتُهْ

ومُـتْرَف لولاهُ دامَتْ حسرتُه * وجَيْش هَـمّ هزمَتْـه كرّتُه
وبَدْرِ تَمّ أنزلَتـــه بدرتُه * ومُستَشيط تتلظى جَمْـرتُه
أسرَّ نجواهُ فلانَتْ شِـرّتُه * وكم أسِـيرٍ أسلمَتْـه أسرتُه
أنقَـذَه حتى صَفَتْ مَسَرّتُه * وحَقّ مولًى أبدعَتْـه فطـرتُه

لولا التُّقَى لقلتُ جلّتْ قدرتُه

ثم بَسَطَ يَدَه بعـدَ ما أنْشَـدَه وقال أنجزَ حُرٌّ ما وعَد وسَحَّ خالٌ اذ رَعَد فَنَبَذْتُ الدينار اليه وقلت خُذْه غيرَ مأسُوف عليه فوضَعَه في فيه وقال بارِكْ اللهم فيه ثم شَمّرَ للانثناء بعد توفِيَة الثناء فنشأت لى من فُكاهَتِه نَشوةُ غَرام سَهَّلَتْ عَلَىَّ ائتناف اغْترام فجرّدتُ دينارًا آخر وقُلْتُ هل لكَ في أن تَذُمّه ثم تَضُمّه فأنشد مُرْتجلا وشَدَا عَجِلا

تَبًّـا لَهُ من خادعٍ مُمَاذِق * أصْفَرَ ذى وَجْهَيْنِ كالمُنَافِق
يَبْدُو بِوَصْـفَيْن لِعَيْنِ الرامِق * زِينةِ مَعْشُوق ولَوْنِ عاشِـق
وحُبُّه عنـد ذَوِى الحَقـائِق * يَدْعُو الى ارْتِكاب سُخْطِ الخالق
لولاهُ لم تُقْطَع يَمِـينُ سارِق * ولا بَدَتْ مَظْلَمَةٌ من فاسِـق
ولا اشْمَأَزّ باخِلٌ من طـارِق * ولا شَكَا المَطُولُ مَطْلَ العائِق
ولا اسْتُعِيذَ من حَسُودٍ راشِق * وشَرُّ ما فيــه من الخَـلائِق
أنْ ليس يُغْنى عنكَ في المَضايِق * الّا اذا فَـرّ فِـرارَ الآبِق

وَأَهًا لِمَنْ يَقْذِفُه من حالق * ومن اذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قَوْلَ المحق الصادق * لا رأىَ فى وَصْلكَ لى ففارق

فقلت له ما أغْزَرَ وبلَكْ فقال والشَّرْطُ أملَكْ فنفحته بالدينار الثانى وقلتُ له عوذْهما بالمثانى فألقاهُ فى فمه وقرنه بتوأمه وانكفأ يحمد مغداه ويمدح النادى ونداه (قال الحارث بن همام) فناجانى قلبى بأنه أبو زيد وأنّ تعارُجه لكَيْد فاستعدته وقلتُ له قد عُرفْتَ بوشيك فاستقم فى مشيك فقال ان كنتَ ابنَ همام فحُيّيتَ باكرام وحييتَ بين كرام فقلتُ أنا الحارث فكيف حالُك والحوادث فقال أتقلب فى الحالين بؤس ورخاء وأنقلب مع الريحين زعزع ورخاء فقلتُ كيف ادّعيتَ القزل وما مثلُكَ من هزل فاستسر بشره الذى كان تجلى ثم أنشد حين ولّى

تعارجتُ لارغبةً فى العرج * ولكن لأقرع باب الفرج
وأُلقىَ حبلى على غاربى * وأسلكَ مسلكَ من قد مرج
فان لامنى القومُ قلتُ اعذروا * فليس على أعرجٍ من حرج

المقامة الحادية والعشرون الرازية

(حدث الحارث بن همام) قال عُنيتُ مُذْ أحكمتُ تدبيرى وعرفتُ قبيلى من دبيرى بأن أُصغى الى العظات وأُلغى الكلمَ المحفظات

لأتحلّى بمحاسن الأخلاق وأتخلّى عما يَسِم بالاخلاق وما زلتُ آخُذُ نفسي بهـذا الأدب وأُنجِدُ به جمرةَ الغضب حتى صار التّطبّع فيه طباعا والتكلّف له هوى مُطاعا فلما حللتُ بالرّيّ وقد حللتُ حُبى الغيّ وعرفتُ الحَيّ من اللّيّ رأيتُ بها ذاتَ بُكرة زُمرةً في أثر زُمرة وهم منتشرون انتشار الجراد ومستنّون استنان الجياد ومتواصفون واعظًا يقصدونه ويُحلّون ابن سمعون دونه فلم يتكاءدني لاستماع المواعظ واختبار الواعظ أن أُقاسي اللاّغط وأحتمل الضاغط فأصحبتُ اصحابَ المطاوعه وانخرطتُ في سلك الجماعه حتى أفضينا الى نادٍ جمع الاميرَ والمأمور وحشد النبيه والمغمور وفي وسط هالته ووسط أهلّته شيخٌ قد تقوّس واقعنسس وتقلّس وتطلّس وهو يصدع بوعظ يشفي الصدور ويلين الصخور فسمعته يقول وقد اقتنبت به الحقول ابن آدم ما أغراك بما يغرّك وأضراك بما يضرّك وألهجك بما يطغيك وأبهجك بما يطريك تُعنى بما يعنيك وتُهمل ما يعنيك وتنزع في قوس تعدّيك وترتدي الحرص الذي يرديك لا بالكفاف تقتنع ولا من الحرام تمتنع ولا للعظات تستمع ولا بالوعيد ترتدع دأبُك أن تتقلّب مع الاهواء وتخبط خبط العشواء وهمّك أن تدأب في الاحتراث وتجمع التراث للوراث يُعجبك التكاثرُ بما لديك ولا تذكرُ ما بين يديك

وتَسْعَى أبدًا لغاريك ولا تُبالي ألكَ أم عليك أتظنّ أن ستُترك سُدى وأن لا تُحاسَب غدًا أم تحسب أنّ الموت يَقْبَل الرِّشا أو يميّز بين الاسد والرَّشا كلّا واللّه لن يدفع المَنُون مالٌ ولا بَنُون ولا ينفع أهلَ القُبور سوى العمل المبرور فطوبى لمن سمع ووعى وحقّق ما ادّعى ونهى النفس عن الهوى وعلم أنّ الفائز من ارعوى وأن ليس للانسان الا ما سَعى وأنّ سعيه سوف يُرى ثم أنشد انشادَ وَجِل بصوتٍ زَجِل

لعَمرك ما تُغني المَغاني ولا الغنى * اذا سَكَن المُثري الثّرى وثوى به
فجُدْ في مَراضي اللّه بالمال راضيًا * بما تقتني من أجره وثوابه
وبادرْ به صَرْفَ الزمان فانه * بمخلبه الأشغى يَغُول وناب
ولا تأمن الدهرَ الخؤونَ ومكرَهُ * فكم خامل أخنى عليه ونابه
وعاصِ هوى النفس الذي ما أطاعهُ * أخو ضَلّةٍ الا هوى من عقابه
وحافظْ على تقوى الاله وخوفه * لتنجو مما يُتّقى من عقابه
ولا تَلْهَ عن تذكار ذنبك وابكه * بدمعٍ يُضاهي المُزْن حالَ مَصابه
ومثّلْ لعينيك الحِمامَ ووقعه * وروعة ملقاه ومطعم صابه
وانّ قُصارى منزل الحيّ حفرةٌ * سينزلها مستنزلًا عن قبابه
فواهًا لعبدٍ ساءه سوءُ فعله * وأبدى التلافي قبل اغلاق بابه

قال فقلّل القوم بين عبرةٍ يَذْرونها وتوبةٍ يُظهرونها حتى كادت

الشمس تزول والفريضة تعول فلما خشعت الأصوات والتأم الانصات واستكنت العبرات والعبارات استصرخ مستصرخ بالامير الحاضر وجعل يجأر اليه من عامله الجائر والامير صاغ الى خصمه لاه عن كشف ظلمه فلما يئس من روحه استنهض الواعظ لنصحه فنهض نهضة الشمير وأنشد معرضا بالأمير

عجبا لراج أن ينال ولاية * حتى اذا ما نال بغيته بغى
يسدى ويلحم فى المظالم والغا * فى وردها طورا وطورا مولغا
ما ان يبالى حين يتبع الهوى * فيها أأصلح دينه أم أوتغا
ياويحه لو كان يوقن أنه * ما حاله الا تحول لما طغى
أو لو تبين ماندامة من صغى * سمعا الى افك الوشاة لما صغا
فانقد لمن أضحى الزمام بكفه * وتغاض إن ألغى الرعاية أو لغا
وارع المرار اذا دعاك لرعيه * ورد الأجاج اذا جالك السغا
واحمل أذاه اذا أمضك مسه * وأسال غرب الدمع منك وأفرغا
فليضحكنك الدهر منه اذا نبا * عنه وشب لكيده نار الوغى
وليتركن به الشمات اذا بدا * متخليا من شغله متفرغا
ولتأوين له اذا ما خده * أضحى على ترب الهوان ممرغا
هذا له ولسوف يوقف موقفا * فيه يرى رب الفصاحة ألثغا

ولَيُحْشَرَنّ أذلّ من قمع الفَلا * ويُحاسَبَنّ على النقيصة والشَغا
ويُؤاخذنّ بما اجتنى ومن اجتنى * ويُطالبَنّ بما احتسى وبما ارتغى
ويُناقَشَنّ على الدقائق مثل ما * قد كان يَصْنَع بالورى بل أبلغا
حتى يَعَضّ على الولاية كفّه * ويَوَدّ لو لم يَسْتَغ منها ما بَغى

ثم قال أيها المُتوشّح بالولايه المُترشّح للرعايه دَع الادلال بدولتك والاغترار بصَولتك فان الدولة ريح قُلّب والامرة برق خُلّب وان أسعد الرُعاة من سعدت به رَعيّته وأشقاهم فى الدارين من ساءت رعايته فلا تلهُ عن يَذَر الآخرة ويلْغها ويُحبّ العاجلة ويَتَبَغها ويَظلم الرعيّة ويُؤذيها واذا تولّى سعى فى الارض ليُفسد فيها فوالله ما يَغفُل الديّان ولا تُهمَل بالانسان ولا تُلغَى الاساءة ولا الاحسان بل سيُوضَع لك الميزان وكما تدين تُدان قال فوجَم الوالى لما سمع وامتُقع لونه وانتُقع وجعل يتأفف من الامرة ويُردف الزفرة بالزفرة ثم عمد الى الشاكى فأشكاه والى المشكو منه فأشجاه وألطف الواعظ وحبّاه واستدعى منه أن يَغشاه فانقلب عنه المظلوم منصورا والظالم محسورا وبرز الواعظ يتهادى بين رُفقته ويتباهى بفوز صفقته واعتقبته أخطو متقاصرا وأُريه لحا باصرا فلما استشفّ ما أُخفيه وتفطّن لتقلّب طرفى فيه قال خير دليليك من أرشد ثم اقترب منى وأنشد

أنا الذي تعرفه يا حارثُ * حدثُ ملوكٍ فكهٌ منافثُ

أطربُ ما لا تطرب المثالثُ * طوراً أخو جدّ وطوراً عابثُ

ما غيّرتني بعدك الحوادثُ * ولا التحى عودي خطبٌ كارثُ

ولا فرى حدّي نابٌ فارثُ * بل مخلبي بكل صيد ضابثُ

وكلّ سرحٍ فيه ذئبي عائثُ * حتى كأني للأنام وارثُ

سامهم وحامهم ويافث

(قال الحارث بن همام) فقلت له تالله انك لأبو زيد ولقد قمت لله ولا عمرو بن عبيد فهش هشاشة الكريم اذا أم وقال اسمع يا ابن أم ثم انشأ يقول

عليك بالصدق ولو أنه * أحرقك الصدق بنار الوعيد

وابغ رضى الله فأغبى الورى * من أسخط المولى وأرضى العبيد

ثم انه ودع أخدانه وانطلق يسحب أردانه فطلبناه من بعد بالري واستنشرنا خبره من مدارج الطي فما فينا من عرف قراره ولا درى أي الجراد عاره

نخبة من وصية ابن سعيد المغربي لابنه وقد أراد السفر

أودعك الرحمن في غربتك * مرتقباً رحماه في أوبتك

فلا تطل حبل النوى انني * والله أشتاق الى طلعتك

واختصر التوديعَ أخذًا فما * لى ناظرٌ يقوى على فرقتك

واجعل وصاتى نُصب عين ولا * تبرح مدى الايام من فكرتك

خلاصة العمر التى حنكت * فى ساعة زفت الى فطنتك

فللتجاريب أمور اذا * طالعتها تشحذ من غفلتك

فلا تنم عن وعيها ساعة * فانها عون الى يقظتك

وكل ما كابدته فى النوى * اياك أن يكسر من همتك

فليس يدرى أصل ذى غربة * وانما تعرف من شيمتك

وامش الهوينا مظهرا عفة * وابغ رضا الأعين عن هيئتك

وانطق بحيث العى مستقبح * واصمت بحيث الخير فى سكتتك

ولج على رزقك من بابه * واقصد له ماعشت فى بكرتك

ووف كلا حقه ولتكن * تكسر عند الفخر من حدتك

وحيثما خيمت فاقصد الى * صحبة من ترجوه فى نصرتك

وللرزايا وثبة مالها * الا الذى تذخر من عدتك

ولا تقل أسلم لى وحدتى * فقد تقاسى الذل فى وحدتك

ولتجعل العقل محكا وخذ * كلا بما يظهر فى نقدتك

واعتبر الناس بألفاظهم * واصحب أخا يرغب فى صحبتك

كم من صديق مظهر نصحه * وفكره وقف على عثرتك

اياك أن تقربه انه * عون مع الدهر على كربتك

وأنم عنق النبت قد زاره * غب الندى واسم الى قدرتك

ولا تضيع زمنا ممكنا * تذكاره يذكي لظى حسرتك

والشر مهما استطعت لا تأته * فانه حور على مهجتك

يابنى الذى لاناصح له مثلى ولا منصوح لى مثله قد قدمت لك في هذا النظم ما ان اخطرته بخاطرك فى كل أوان رجوت لك حسن العاقبة ان شاء الله تعالى وان أخف منه للحفظ وأعلق بالفكر وأحق بالتقدم قول الاول

يزين الغريب اذا ما اغترب * ثلاث فمنهن حسن الادب

وثانية حسن أخلاقه * وثالثة اجتناب الريب

واصغ يابنى الى البيت الذى هو يتيمة الدهر وسلم الكرم والصبر

ولو أن أوطان الديار نبت بكم * لسكنتم الاخلاق والادابا

اذ حسن الخلق أكرم نزيل والادب أرحب منزل ولتكن كما قال بعضهم فى أديب متغرب وكان كلما طرأ على ملك فكأنه معه ولد واليه قصد غير مستريب بدهره ولا منكر شيأ من أمره واذا دعاك قلبك الى صحبة من أخذ بمجامع هواه فاجعل التكلف له سلما وهب فى روض أخلاقه هبوب النسيم وحل بطرفه حلول الوسن وانزل بقلبه نزول

المسرة حتى يتمكن لك وداده ويخلص فيك اعتقاده وطهر من الوقوع فيه لسانك وأغلق سمعك ولا ترخص فى جانبه لحسود لك منه يريد ابعادك عنه لمنفعة أو حسود له يغار لتجمله بصحبتك ومع هذا فلا تغتر بطول صحبته ولا تمهد بدوام رقدته فقد ينبهه الزمان ويتغير منه القلب واللسان وانما العاقل من جعل عقله معيارا وكان كالمرآة يلقى كل وجه بمثاله وفى أمثال العامة من سبقك بيوم فقد سبقك بعقل فاحتذ بأمثلة من جرب واسمع الى ماخلد الماضون بعد جهدهم وتعبهم من الاقوال فانها خلاصة عمرهم وزبدة تجاربهم ولا تتكل على عقلك فان النظر فيما تعب فيه الناس طول أعمارهم وابتاعوه غاليا بتجاربهم يربحك ويقع عليك رخيصا وان رأيت من له عقل ومروءة وتجربة فاستفد منه ولا تضيع قوله ولا فعله فان فيما تلقاه تلقيحا لعقلك وحثا لك واهتداء وليس كل ما تسمع من أقوال الشعراء يحسن بك أن تتبعه حتى تتدبره فان كان موافقا لعقلك مصلحا لحالك فراع ذلك عندك والا فانبذه نبذ النواة فليس لكل أحد يتبسم ولا كل شخص يكلم ولا الجود مما يعم به ولا حسن الظن وطيب النفس مما يعامل به كل أحد ولله در القائل

ومالى لا أوفى البرية قسطها * على قدر مايعطى وعقلى ميزان

وإياكَ أن تُعطيَ من نفسكَ الا بقَدَر فلا تُعامل الدونَ بمعاملة الكُفْء ولا الكُفْءَ بمعاملة الأعْلَى ولا تُضَيِّعْ عُمْرَكَ فيمن يُعاملكَ بالمطامع ويُثيبُكَ على مَصْلحة حاضرة عاجلة بغائبة آجلة ولا تَجْفُ الناسَ بالجملة ولكن يكونُ ذلكَ بحيث لايلحَق منه مَلَل ولاضَجَر ولا جَفاء فتى فارَقْتَ أحدًا فعلى حُسْنَى فى القَوْل والفعل فانكَ لاتَدْرى هل أنتَ راجعٌ اليه فلذلكَ قال الاول (ولما مَضَى سَلْمٌ بَكَيْتُ على سَلْم) واياكَ والبيتَ السائر

وكنتَ اذا حللتَ بدار قَوْم * رَحَلْتَ بخزْية وتركتَ عارا

واحْرص على ماجَمع قول القائل ثلاثةٌ تُبْقِى لكَ الوُدَّ فى صَدر أخيكَ أن تَبْدَأه بالسَّلام وتُوَسِّع له فى المجلس وتَدْعوه بأَحَبّ الأسماء اليه واحذَرْ كل مابَيّنه لكَ القائل كل ماتَغْرسُه تَجْنيه الا ابن آدم فاذا غَرَسْتَه يَقْلَعُكَ وقول الآخر ابن آدَمَ ذئب مع الضَعْف أَسَدٌ مع القُوة واياكَ أن تَثْبت على صُحبة أَحَد قبل أن تُطيل اخْتباره . ويحكى أن ابن المُقَفع خَطَب من الخليل صُحْبتَه فجاوَبه انّ الصُّحبة رقّ ولا أضَع رِقّى فى يَدَيْكَ حتى أعرف كيفَ مَلَكَتُكَ واسْتَمِلْ من عين مَن تُعاشره وتَفَقّد فى فَلَتات الألْسُن وصَفَحات الأَوْجُه ولا يَحْملْكَ الحياء على السكوت عما يَضُرّكَ أن لاتُبيّنه فانّ الكلام سلاح السَّلْم وبالأنين يُعرَف أَلَمُ الجُرح واجعل لكل أَمْر أخَذْتَ فيه غايةً تجعلُها نهايةً لكَ

وخُذْ من الدهر ما أتاكَ به * مَن قرَّ عيْنًا بعيْشه نَفَعه

اذ الافكار تجلُب الهُموم وتُضاعف الغُموم وملازمة القُطوب عُنْوان المَصائب والخُطوب يَسْتريب به الصاحب ويَشمت العَدُوّ والجانب ولا تَضُرّ بالوساوس الّا نَفْسكَ لأنّكَ تَنْصُر بها الدهر عليكَ ولله در القائل

اذا ما كنتَ للاحزان عَونًا * عليكَ مع الزمان فَمَنْ تَلُوم

مع انه لايَرُدُّ عليكَ الغائبَ الحُزْن ولا يَرْعَوِي بطُول عَتْبكَ الزَمَنُ ولقد شاهدْتُ بغَرْناطَةَ شخْصًا قد ألفتْه الهُموم وعَشقَتْه الغُموم ومن صغَره الى كبَره لاتَراه أبدا خَليًا من فكْرَة حتى لُقب بصَدْر الهَمّ ومن أعْجب ما رأيتُه منه انه يتَنكّد فى الشدّة ولا يتعلّل بأن يكونَ بعدَها فَرَج ويتَنكّد فى الرَّخاء خوفا من أن لايَدُوم ويُنشد

* تَوَقَّعْ زَوالًا اذا قيلَ تَمّ * وينشد * وعند التَناهى يقْصُر المُتَطاول *

وله من الحكايات فى هذا الشأن عجائب ومثل هذا عمره مخسور وعُمْر ضَاعا ومتى رفعَكَ الزمانُ الى قوم يَذُمّون من العلْم ماتُحسنه حَسَدًا لكَ وقَصْدًا لتَصْغير قدْركَ عندكَ وتزْهيدا لكَ فيه فلا يَحْملكَ ذلكَ على أن تَزْهد فى علْمكَ وترْكن الى العلْم الذى مَدَحُوه فتكونَ مثْلَ الغُراب الذى أعْجبه مَشْيُ الحَجَلة فرامَ أن يتَعَلّمه فصَعُب عليه ثم أراد أن يرجع الى مَشْيه فنَسيه فبقى مُخبَّل المَشْى كما قيل

انّ الغُراب وكان يَمْشى مِشْيَةً * فيما مَضَى من سالف الأَجْيال
حَسَدَ القَطا وأرادَ يمشى مَشْيَها * فأصابَهُ ضَـــرْبٌ من العُقّال
فأضَــلَّ مِشْيَتَه وأخطأَ مَشْيَها * فلذاكَ كَنَّوْه أبا مِرْقال

ولا يُفْسِدْ خاطِرَكَ مَن جعل يَذُمُّ الزمان وأهْلَه ويقول مابَقِىَ فى الدنيا كريم ولا فاضل ولا مكان يُرتاح فيه فانّ الذين تَرَاهُم على هذه الصفة أكثر ما يكونون ممن صَحِبَــه الحِرْمان واستَحقَّتْ طَلْعَتُه الهوان وأبْرَموا على النـاس بالســؤال فَمَقَتُوهُــم وعَجَزوا عن طَلَب الامور من وُجُوهها فاسْتَراحُوا الى الوُقُوع فى الناس وأقاموا الأَعْذار لأنْفُسهم بقَطْع أسْبابهم ولا تُزِلْ هذين البيتين من فكْرِكَ

لِنْ اذا مانِلْتَ عِزًّا * فأخُو العـــزِّ يَلينُ
واذا نابَكَ دَهْـــرٌ * فكما كنتَ تكونُ

والامثال تُضْرَب لذى اللُّبّ الحكيم وذُو البَصَر يَمْشى على الصراط المستقيم والفَطِن يَقْنَع بالقَليل ويَسْتَدِلّ باليَسير والله سبحانه خَليفتى عليكَ لاربَّ سواه

الجـامع الازهـــر

هذا الجامع أول مسجد أُسّس بالقاهرة والذى أنشأه القائد جوهر الكاتب الصَقَلىّ مَولَى الامام أبى تميم مَعَدّ الخليفة أمير المؤمنين المُعزّ

لدين الله لما اختط القاهرة وشرع فى بناء هذا الجامع فى يوم السبت لست بقين من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وكمل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة احدى وستين وثلاثمائة وجمع فيه وكتب بدائر القبة التى فى الرواق الاول وهى على يمنة المحراب والمنبر مانصه بعد البسملة مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الاكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى وذلك فى سنة ستين وثلاثمائة وأول جمعة جمعت فيه فى شهر رمضان لسبع خلون منه سنة احدى وستين وثلاثمائة ثم ان العزيز بالله أبا منصور نزار بن المعز لدين الله جدد فيه أشياء وفى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة سأل الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس الخليفة العزيز بالله فى صلة رزق جماعة من الفقهاء فأطلق لهم مايكفى كل واحد منهم من الرزق الناض وأمر لهم بشراء دار وبنائها فبنيت بجانب الجامع الازهر فاذا كان يوم الجمعة حضروا الى الجامع وتحلقوا فيه بعد الصلاة الى أن تصلى العصر وكان لهم أيضا من مال الوزير صلة فى كل سنة وكانت عدتهم خمسة وثلاثين رجلا وخلع عليهم العزيز يوم عيد الفطر وحملهم على بغلات ويقال ان بهذا الجامع طلسما فلا يسكنه عصفور ولا يفرخ به وكذا سائر الطيور

من الحَمام واليَمام وغيره وهو صورة ثلاثة طيور منقوشة كل صورة على رأس عمود فمنها صورتان فى مقدم الجامع بالرواق الخامس منها صورة فى الجهة الغربية فى العمود وصورة فى احدى العمودين اللذين على يسار مَن استقبَلَ سُدّة المُؤَذّنين والصورة الاخرى فى الصحن فى الاعمدة القبلية مما يلى الشرقية ثم ان الحاكم بأمر الله جَدّده ووقف على الجامع الازهر وجامع المقس والجامع الحاكى ودار العلم بالقاهرة رباعًا بمصر ثم ان المستنصر جدد هذا الجامع أيضا وجدده الحافظ لدين الله وأنشأ فيه مقصورة لطيفة تُجاور البابَ الغربى الذى فى مقدم الجامع بداخل الرواقات عُرِفت بمقصورة فاطمة من أجل ان فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها رؤيت بها فى المنام ثم انه جُدّد فى أيام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى كتاب سيرة الملك الظاهر لما كان يوم الجمعة الثامن عشر من ربيع الاول سنة خمس وستين وستمائة أقيمت الجمعة بالجامع الازهر بالقاهرة وسبب ذلك ان الامير عز الدين أيدمر الحلى كان جار هذا الجامع من مدة سنين فرعى وفقه الله حرمة الجار ورأى أن يكون كما هو جاره فى دار الدنيا انه غدا يكون ثوابُه جارَه فى تلك الدار ورسم بالنظر فى أمره وانتزع له أشياء مغصوبة كان شئ منها فى أيدى جماعة وحاط أموره حتى جمع

له شيأ صالحا وجرى الحديث فى ذلك فتبرع الامير عز الدين له بجملة مستكثرة من المال الجزيل وأطلق له من السلطان جملة من المال وشرع فى عمارته فعمّر الواهى من أركانه وجدرانه وبيّضه وأصلح سقوفه وبلّطه وفرشه وكساه حتى عاد حَرَما فى وسط المدينة واستجدّ به مقصورة حسنة وأثر فيه آثارا صالحة يثيبه الله عليها وعمل الامير بيلبك الخازندار فيه مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الامام الشافعى رحمه الله ورتب فى هذه المقصورة محدّثا يُسْمِع الحديث النبوى والرقائق ووقف على ذلك الاوقاف الدارّة ورتّب به سبعة لقراءة القرآن الكريم ورتّب به مدرّسا أثابه الله على ذلك ولما تكمل تجديده تحدث فى اقامة جمعة فيه فنودى فى المدينة بذلك واستخدم له الفقيه زين الدين خطيبا وأقيمت الجمعة فيه فى اليوم المذكور وحضر الأتابك فارس الدين والصاحب بهاء الدين على بن حنا وولده الصاحب فخر الدين محمد وجماعة من الامراء والكبراء وأصناف العالم على اختلافهم وكان يوم جمعة مشهودا ولما فرغ من الجمعة جلس الامير عز الدين الحلى والاتابك والصاحب وقرئ القرآن ودعى للسلطان وقام الامير عز الدين ودخل الى داره ودخل معه الامراء فقدّم لهم كل ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين وانفصلوا وكان قد جرى الحديث فى أمر جواز الجمعة فى الجامع

وما ورد فيه من أقاويل العلماء وكتب فيها فتيا أخذ فيها خطوط العلماء بجواز الجمعـة فى هـذا الجامع وإقامتها فكتب جماعة خطوطهم فيها وأقيمت صـلاة الجمعة به واستمرت ووجد النـاس به رفقا وراحة لقربه من الحارات البعيدة من الجامع الحاكى قال وكان سقف هـذا الجامع قد بنى قصيرا فزيد فيه بعد ذلك وعلا ذراعا واستمرت الخطبة فيه حتى بنى الجامع الحاكى فانتقلت الخطبة اليه فان الخليفة كان يخطب فيه خطبة وفى الجامع الازهر خطبة وفى جامع ابن طُولُون خطبة وفى جامع مصر خطبة وانقطعت الخطبة من الجامع الازهر لما استبدّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالسلطنة فانه قلد وظيفة القضاء لقاضى القضاة صـدر الدين عبـدالملك بن درباس فعمل بمقتضى مذهبـه وهو امتناع اقامة الخطبتين للجمعة فى بلد واحد كما هو مذهب الامام الشافعى فأبطل الخطبة من الجامع الازهر وأقر الخطبة بالجامع الحاكى من أجل انه أوسع فلم يزل الجامع الازهر معطلا من اقامة الجمعـة فيه مائة عام من حين استولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى ان أعيدت الخطبة فى أيام الملك الظاهر بيبرس كما تقـدم ذكره ثم لما كانت الزلزلة بديار مصر فى ذى الحجة سـنة اثنتين وسـبعمائة سقط الجامع الازهر والجامع الحاكى وجامع مصر وغيره فتقاسم امراء الدولة عمارة الجوامع

فتولى الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عمارة الجامع الحاكى وتولى
الامير سلار عمارة الجامع الازهر وتولى الامير سيف الدين بكتمر الجوكندار
عمارة جامع الصالح فجددوا مبانيها وأعادوا ماتهدم منها ثم جددت عمارة
الجامع الازهر على يد القاضى نجم الدين محمد بن حسين بن على الاسْعَرْدى
محتسب القاهرة فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة ثم جددت عمارته
فى سنة احدى وستين وسبعمائة عند ماسكن الامير الطواشى سعد الدين
بشير الجامدار الناصرى فى دار الامير فخر الدين أبان الزاهدى الصالحى
النجمى بخُطّ الابارين بجوار الجامع الازهر بعد ماهدمها وعمرها داره
التى تعرف هنالك الى اليوم بدار بشير الجامدار فأحَبّ لقُرْبه من الجامع
أن يُؤَثّر فيه أثرا صالحا واستأذن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد
ابن قلاوون فى عمارة الجامع وكان أثيرا عنده مُخَصَّا به فأذن له فى ذلك
وكان قد استجدّ بالجامع عدّة مَقاصير ووُضِعَتْ فيه صناديق وخزائن حتى
ضَيّقته فأخرج الخزائن والصناديق ونَزَع تلك المقاصير وتَتَبّع جُدْرانه
وسقوفه بالاصلاح حتى عادت كأنها جديدة وبَيّض الجامع كله وبلّطه
ومنع الناس من المرور فيــه ورتب فيه مصحفا وجعل له قارئا وأنشأ
على باب الجامع القبلى حانوتا لتسبيل الماء العذب فى كل يوم وعمل فوقه
مَكْتَب سبيلٍ لاقراء أيتام المسلمين كتابَ الله العزيز ورتب للفقراء المجاورين

طعاما يُطْبخ كل يوم وأنزل اليه قدورا من نحاس جعلها فيه ورتب
فيه درسا للفقهاء من الحنفية يجلس مُدَرِّسهم لالقاء الفقه فى المحراب
الكبير ووقف على ذلك أوقافا جليلة باقية الى يومنا هذا ومؤذنو الجامع
يدعون فى كل جمعة وبعد كل صلاة للسلطان حسن الى هذا الوقت
وفى سنة أربع وثمانين وسبعمائة وُلّى الامير الطواشى بَهادُر المقدّم على
المماليك السلطانية نَظَرَ الجامع الازهر فتنجَّزَ مرسومَ السلطان الملك
الظاهر برقوق بأنّ من مات من مجاورى الجامع الازهر عن غير وارث
شرعى وترك موجودا فانه يأخُذُه المجاورون بالجامع ونقش ذلك على
حجر عند الباب الكبير البحرى وفى سنة ثمانمائة هدمت منارة الجامع
وكانت قصيرة وعُمِّرت أطول منها فبلغت النفقة عليها من مال السلطان
خمسة عشر ألف درهم نُقْرة وكملت فى ربيع الآخر من السنة المذكورة
فَعُلِّقت القناديل فيها ليلة الجمعة من هذا الشهر وأُوقدت حتى اشتعل
الضوء من أعلاها إلى أسفلها واجتمع القراء والوعاظ بالجامع وتَلَوْا ختمة
شريفة ودَعَوا للسلطان فلم تزل هذه المئذنة الى شوال سنة سبع عشرة
وثمانمائة فهُدمت لمَيْل ظَهَرَ فيها وعُمل بَدَلها منارة من حجر على باب
الجامع البحرى بعد ما هُدم الباب وأعيد بناؤه بالحجر وركبت المنارة
فوق عقده وأُخذ الحجر لها من مدرسة الملك الاشرف خليل التى كانت

تجاه قلعة الجبل وهدمها الملك الناصر فرج ابن برقوق وقام بعمارة ذلك
الامير تاج الدين الشَّوْبَكِيّ والى القاهرة ومحتسبها الى أن تمت فى جمادى
الآخرة سنة ثمان عشرة وثمانمائة فلم تقم غير قليل ومالت حتى كادت
تسقط فهدمت فى صفر سنة سبع وعشرين وأعيدت وفى شوّال منها
ابتـدئ بعمل الصهريج الذى فى وسط الجامع فوجد هنالك آثار فسقية
ماء ووجد أيضا رمم أموات وتم بناؤه فى ربيع الاول وعمل باعلاه مكان
مرتفع له قبة يُسَبَّل فيه الماء وغُرِس بصحن الجامع أربع شجرات فلم
تفلح وماتت ولم يكن لهذا الجامع ميضأة عند مابنى ثم عملت ميضأته
حيث المدرسة الاقبغاوية الى أن بنى الامير أقبغا عبـدالواحد مدرسته
المعروفة بالمدرسة الاقبغاوية هنالك وأما هذه الميضأة التى بالجامع الآن
فان الامير بدر الدين جنكل بن البابا بناها ثم زيد فيها بعد سنة عشر
وثمانمائة ميضأة المدرسـة الاقبغاوية وفى سنة ثمان عشرة وثمانمائة
ولى نظر هـذا الجامع الامير سودوب القاضى حاجب الحجاب فجرت
فى أيام نظره حوادث لم يتفق مثلها وذلك انه لم يزل فى هذا الجامع منذ
بنى عدة من الفقراء يلازمون الاقامة فيه وبلغت عدتهم فى هذه الايام
سبعمائة وخمسين رجلا مابين عجم وزيالعة ومن أهل ريف مصر ومغاربة
ولكل طائفـة رواق يعرف بهم فلا يزال الجامع عامرا بتلاوة القرآن

ودراسته وتلقينه والاشتغال بأنواع العلوم الفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ وحلق الذكر فيجد الانسان اذا دخل هذا الجامع من الانس بالله والارتياح وترويح النفس مالا يجده فى غيره وصار أرباب الاموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفلوس اعانةً للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى وكل قليل تُحمل اليهم أنواع الاطعمة والخبز والحلاوات لاسيما فى المواسم فأمر فى جمادى الاولى من هذه السنة باخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من الاقامة فيه واخراج ما كان لهم فيه من صناديق وخزائن وكراسى المصاحف زعما منه ان هذا العمل مما يثاب عليه وما كان الا من أعظم الذنوب وأكثرها ضررا فانه حل بالفقراء بلاء كبير من تشتت شملهم وتعذر الاماكن عليهم فساروا فى القرى وتبذلوا بعد الصيانة وفقد من الجامع أكثر ما كان فيه من تلاوة القرآن ودراسة العلم وذكر الله ثم لم يرضه ذلك حتى زاد فى التعدى وأشاع أن أناسا يبيتون بالجامع ويفعلون فيه منكرات وكانت العادة قد جرت بمبيت كثير من الناس فى الجامع ما بين تاجر وفقيه وجندى وغيرهم منهم من يقصد بمبيته البركة ومنهم من لا يجد مكانا يُؤويه ومنهم من يَستروح بمبيته هنالك خصوصا فى ليالى الصيف وليالى شهر رمضان فانه يمتلئ صحنه وأكثر رواقاته فلما كانت ليلة

الاحد الحادى عشر من جمادى الآخرة طرق الامير سودوب الجامع بعد العشاء الآخرة والوقت صيف وقبض على جماعة وضربهم فى الجامع وكان قد جاء معه من الأعوان والغلمان وغوغاء العامّة ومن يريد النهب جماعة تحَل بمن كان فى الجامع أنواع البلاء ووقع فيهم النهّب فأُخذَت فُرُشهم وعمائمهم وفُتِّشَت أوساطهم وسُلبوا ما كان مربوطا عليها من ذهب وفضـة وعمل ثوبا أسودَ للمنبر وعَلَمَين مُزَوَّقين بلغت النفقة على ذلك خمسة عشر ألف درهم على مابلغنى فعاجل الله الامير سودوب وقبض عليه السلطان فى شهر رمضان وسجنه بدمشق

ذكر جامع دِمَشق المعروف بجامع بنى أُمَيّة

وهو أعظم مساجد الدنيا احتفالا وأتقنها صناعة وأبدعها حسنا وبهجة وكمالا ولا يُعلم له نظير ولا يوجَد له شبيه وكان الذى تولى بناءه واتقانه أمير المؤمنـين الوليـد بن عبد الملك بن مروان ووَجّه الى ملك الروم بقسطنطينية يأمره أن يبعث له الصُّنّاع فبعث اليـه اثنى عشر ألف صانع وكان موضع المسجد كنيسـة فلما افتتح المسلمون دمشق دخل خالد بن الوليـد رضى الله عنه من احدى جهاتها بالسيف فانتهى الى نصف الكنيسة ودخل أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه من الجهة الغربيـة صلحا فانتهى الى نصف الكنيسة فصنع المسلمون من نصف

(تمت الفهرست)

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم ونستعينك ونصلى ونسلم على صفوتك من خليقتك سيدنا ومولانا محمد الذى آتيته جوامع الكلم وأنزلت عليه كتابك المبين معجزا لجميع العالمين وعلى آله وصحبه الذين قاموا بهديه خير قيام فاشرقت بهم أنوار المدنية القويمة على جميع الانام .

أما بعد فهذا كتاب قد جمعناه لتلاميذ المدارس الثانوية وصدرناه بمقدمة طويلة بينا فيها حالة اللغة العربية قبل الاسلام وبعده وسعتها لتدوين العلوم على كثرتها واختلافها وفضلها على المدنية التى عمت جميع الممالك الاسلامية إبان عظمتها واتساعها ثم أتبعنا ذلك بتراجم بعض المشهورين من الشعراء والكتاب والخطباء والعلماء ثم أثبتنا بعض المختارات من النثر والنظم فى كل عصر لتكون معتمد التلاميذ فى معرفة كثير من مفردات اللغة النافعة وأساليبها الحسنة المختلفة ومعانيها الشريفة وتراكيبها المتينة فصار هذا الكتاب بذلك كتاب أدب ومطالعة ومختارات للحفظ يجد فيه التلميذ ضالته التى ينشدها وبغيته التى يطلبها

ولما كانت كل أعمال الانسان فى ابتدائها ناقصة لم تصل الى درجة كمالها كان لنا الامل فى أن يكون هذا الكتاب فى المستقبل أكمل مما هو عليه الآن بعد اعادة طبعه والله الموفق .

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

